بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم

إعداد
رجب نصر موسى الأنس

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.
2007م

سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم

إعداد

رجب نصر موسى الأنس

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 22/10/ 2007م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التواقيع
- الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة / مشرفاً رئيساً	-------------------
الأستاذ الدكتور اسماعيل أمين نواهضة / ممتحناً خارجياً	-------------------
- الدكتور عودة عبدعودة عبد الله / ممتحناً داخلياً	-------------------

الإهداء

إلى الأنبياء أشد الناس ابتلاءً

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين

إلى الذين ابتلوا فصبروا وصابروا وثبتوا فما وهنوا وما استكانوا

إلى الأجيال المؤمنة السائرة على الدرب لتتعظ وتعتبر

إلى روح والديّ رحمهما الله رحمة واسعة وأسكنهما فسيح جناته، وجمعنا بهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر

إلى زوجتي الوفية أم مؤمن، التي حملت معي هموم الحياة، ووقفت إلى جانبي، فكانت لي نعم العون في كل ملمة وخير سلوان في كل محنة

إلى أولادي (حبه ومؤمن ومهدي وضحى ودانية) الذين أبتهل إلى الله -سبحانه- أن يكلأهم بالعناية والرعاية وأن يزدهم علماً ونوراً وهداية

أهدي هذه الرسالة

الباحث

شكر وتقدير

أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة الذي أكرمني الله تعالى به للإشراف على هذه الرسالة، ولقد كان –حفظه الله– مثالاً حسناً للأخلاق الفاضلة، ونموذجاً حياً للصدق والإخلاص والتواضع والكرم وبشاشة الوجه.

ولقد أفادني بتوجيهاته النيرة، وآرائه السديدة، وتعليقاته النفيسة، ومنحني من وقته ما ذلّل أمامي عقبات كثيرة في هذا البحث.

فالله أسأل أن يثيبه وأن يجزيه أحسن الجزاء، وأن يطيل عمره في طاعته وأن يبارك له في وقته وأهله وماله.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى أصحاب الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور اسماعيل أمين نواهضة والدكتور عودة عبد عودة عبد الله لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر إلى أساتذتي واخواني الذين قدّموا لي يد العون والمساعدة ووقفوا معي بكل ما يملكون من أجل إتمام هذه الرسالة.

الباحث

فهرس المحتويات

سُنَّة الابتلاء في القرآن الكريم

إعداد

رجب نصر موسى الأنس

إشراف

الأستاذ الدكتور محمد حافظ الشريدة

الملخص

جاء هذا البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، تحدثت في الفصل الأول عن معنى السنن الإلهية، ومفهوم الإبتلاء، ومعنى المحنة والفتنة، ثم بينت سنة الله في التمحيص وأنها سنةٌ عامةٌ وفي الناس كافة.

وفي الفصل الثاني: تناولت فيه مظاهر الإبتلاء من خلال بيان الإبتلاء في المال، والإبتلاء في الجسد، والإبتلاء في الولد، والإبتلاء في الزوجة مع ذكر نماذج على ذلك.

وفي الفصل الثالث: تناولت فيه ضروب الابتلاء وألوانه، كالابتلاء في العقيدة، والابتلاء في الطاعة، والابتلاء في النعم، وذكرت نماذج على ذلك.

وفي الفصل الرابع: تناولت الحديث عن الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وبينت الأساليب التي يتبعها الطواغيت في الصّد عن الدعوة ودين الحق وذكرت نماذج على ذلك.

وفي الفصل الخامس: تناولت الحديث عن الابتلاء في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم وأصحابه- في المدينة المنورة وبينت صوراً من ابتلاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في الغزوات، وذكرت على ذلك نموذجين هما غزوة أحُد وغزوة الخندق، ثم ذكرت صوراً ونماذج من ابتلاء المؤمنين بمكر المنافقين. وختمت الدراسة ببيان أهمية وضرورة التشبث بالصبر والعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال بنقاط محددة.

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلــه إلا الله وحــده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالحق والهدى والرشاد، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وترك أمَّته على المحجة البيّضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ونصلي ونــسلم على رسول الله الذي ابتلي بأنواع الابتلاء فصبر وشكر، وجاهد في الله حق جهاده حتى انتصر، ورضي الله عن صحابته المبتلين الأخيار، الذين فتنوا فصدقوا، وصبروا وثبتوا، فما وهنوا ومــا استكانوا، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد،

فإن القرآن العظيم هو كتاب الله المبين، الذي أنزله الله ربُّ العالمين على رسوله صلى الله عليه وسلم هدى وموعظة للمتقين وهو مصدر الإسلام الأول، عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً، وآداباً، حــدد الله فيه معالم الطريق، وأصول العدل، ومناهج الخير، وضــوابط الــسلوك، وقواعــد الهدايــة والتــــشريع "[illegible]"(1).

وهو دستور الإسلام الجامع، الذي فصَّل الله فيه الحقوق والواجبات، ونظم العلاقات والمعاملات، وشرع الحدود والأحكام: "...[illegible]"(2)؛ ولذلك يجب أن ننهلُ من معينه نظام الحياة؛ لأن فيه السعادة ويهدي للتي هي أقــــــــوم "[illegible]"(3).

(1) المائدة: آية 16.
(2) فصلت: آية 41-42.
(3) الإسراء: آية 9.

فإنه لا يخفى على أحد أن الحياة الدنيا مليئة بالمحن والابتلاءات، وأن كل مؤمن ومؤمنة عرضة لكثير منها، فمرة يُبتلى بنفسه، وقد يبتلى بماله، واحياناً يبتلى بأهله، وهكذا تتقلب عليه الأقدار من لدن حكيم عليم، وإذا لم يحمل المؤمن النظرة الصحيحة للابتلاء فسيكون زللُه أكبر من صوابه، ولا سيما أن بعض المصائب تطيش منها العقول لضخامتها وفجاءتها، عياذاً بالله. فكان لا بدّ من توجيه الشباب المسلم إلى المفهوم السليم للابتلاء، ورسم الصورة الواضحة له، لتصحيح التصور عندهم لسُنّة الابتلاء في هذه الحياة، ومن ثم تصحيح موقفهم حتى يبصّروا بطبيعة الطريق، ويُوطّنوا نفوسهم على ما يعترضهم من محن وابتلاءات، ويخفف على المبتلين ما يقاسونه من تعب ونصب وعنت.

أهمية البحث

الموضوع عبارة عن دراسة قرآنية لسنّة من سنن الله تعالى في الحياة التي لا تتوقف، ما دام هناك صراع بين الحق والباطل، ومن هنا كانت الكتابة لهذه الرسالة، لتسلية كل مصاب ومبتلى مهما بلغ مصابه، فأبيّن من خلالها بعض سنن الابتلاء التي ربما غفل عنها بعض الناس –هداهم الله– ونسوا أو تناسوا أنّ الله لا يبتلينا ليعذبنا، بل ليرحمنا. وأن على المؤمن أن ينظر إلى الابتلاء سواء كان فقداناً للمال أو الصحة أو الأهل –من خلال الكتاب والسنة على أنه: امتحان وابتلاء، وقسمة وقدر، وخير ونعمة، ومحطة تمحيص وتميز، ورفع درجات، وعلامة حب ورأفه، وذلك من خلال تتبع النصوص القرآنية التي أشارت إليها وتتحدث عنها بنظرة شاملة متكاملة لهذه السنّة الحياتية، وتحديد منهج لحياة الإنسان وسلوكه على ضوئها، ولا يخفى على أحد ما لهذا الموضوع من الأهمية، خاصة وأن الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل –وفي هذه الأيام على وجه الخصوص– عاشت وما زالت تعيش هذه القضية، (قضية سُنة الابتلاء والمحن والفتن).

ولا شك في أن فهم هذا الموضوع فهماً قرآنياً متكاملاً هو من الأهمية بمكان من خلال تتبع النصوص والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ذات الصلة بالموضوع، ومعرفة الزاد الواقي في الصبر والثبات والتمسك بالعقيدة من تنكب هذه السنّة الرّبانية.

أسباب اختياري لهذا الموضوع

1. أثناء تلاوتي للقرآن الكريم كنت أقف عند آيات كثيرة في ابتلاء المؤمنين وكنت أسأل نفسي دائماً: ما هو الابتلاء؟ وما هي المحنة؟ وما هي الفتنة؟ وما الحكمة في ذلك الابتلاء؟ فكان هذا أكبر دوافع لدراسة هذا الموضوع.

2. هناك آيات كريمة في كتاب الله تتحدث عن رسل الله وقصصهم مع أقوامهم وما فيها من مواقف عنيفة كان يواجهها كل منهم في طريق الدعوة إلى الله تعالى، فقد كانوا يواجهون الضلال والعمى والطغيان والهوى ويتلقون على أيدي أعداء الله الاضطهاد والتهديد والطرد والتشريد والإعراض، فهذا العنت الذي كان يلقاه أنبياء الله قد دفعني إلى تقصّي أسبابه والبحث عن غايته وأهدافه ليطمئن القلب وتهدأ النفوس.

3. ما يُصيب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من ابتلاءات ومحن في العصر الراهن دفعني للكتابة حول هذا الموضوع لشحن الهمم، وبيان أسباب هذه المحن والابتلاءات وأبواب الفرج، والدروس والعبر المستفادة منها، والسلوك إلى جانب الحق والثبات والصبر والتمسك بالعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال.

فبعد التوكل على الله، عَزَمْتُ على الكتابة في هذا الموضوع.

أهداف البحث

1. تجلية بعض ظواهر المحن والابتلاء وموقف الإنسان منها.

2. محاولة الكشف عن ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم والسنّة النبوية التي تخدم الموضوع.

3. معالجة بعض التصورات الخاطئة حول هذا الموضوع.

منهج البحث:

لقد كانت كتابتي في هذا الموضوع ضمن المنهج الاستقرائي والتحليلي التزمت به قدر الإمكـــان وهذا المنهج يتلخص فيما يلي:

1. الرجوع إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلا.
2. الحرص على التزام الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائليها، وبذل الجهد فـــي نقـــل قول كل قائل من مصدره قدر المستطاع.
3. الحرص على تدعيم البحث بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة التي تخدم الموضوع ونصوص العلماء مع تميز كل ذلك بعلامات التنصيص والأقواس.
4. بيان مواضيع الآيات القرآنية من المصحف الشريف وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية مع إثبات ذلك في الحاشية.
5. تخريج الأحاديث النبوية الواردة في ثنايا البحث من كتب الحديث المـــشهورة واعتمـــدت الرويات الصحيحة وعزوتها إلى مصادرها.
6. عملت تراجم مختصرة للأعلام الواردة اسماؤهم في ثنايا البحث في الحاشية مـــع ذكـــر المصادر في ذلك.
7. شرح المصطلحات والكلمات الغريبة الواردة في البحث.
8. الاستعانة بكتب المعاجم واللغة لشرح ما ورد من مفردات في هذا البحث.
9. شرح الآيات ذات الصلة بالموضوع لتوضيح الفكرة المطلوبة في الأمثلة والنماذج فـــي البحث.
10. الرمز إلى المصدر والمرجع الذي لم يذكر الطبعة (د.ط) والذي لم يـــذكر ســـنة النـــشر (د.ت).

11. توثيق المصادر والمراجع وفق المتعارف عليه في البحث العلمي حيث يكون توثيقاً كاملاً عند أول ورود له، ثم اكتفي باسم المؤلف "الشهرة" والكتاب والجزء والصفحة إذا ورد مرة أخرى مع الإشارة إليه كمرجع سابق.

12. وضعت فهارس علمية في آخر الرسالة لتسهل الاستفادة منها وهي كالآتي:

- مسرد الآيات القرآنية.
- مسرد الأحاديث النبوية.
- مسرد الأعلام.
- المصادر والمراجع.
- ترجمة لملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.

الدراسات السابقة:

لا بدّ من التعريج على الجهود السابقة والدراسات التي بذلت في موضوع المحن والابتلاء اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم ولأهل السبق بسبقهم، وفي حدود معرفتي أن هذا الموضوع لم يفرد في الكتب القديمة ببحث مستقل إلا من خلال ما أشار إليه علماء التفسير والحديث والسيرة والتاريخ وغير ذلك من الكتب.

وبعد الاطّلاع والنظر في الكتب والدراسات التي توفّرت لدي، مع الإقرار بقلة إطلاعي لم أجد من بحث هذا الموضوع بالشكل والمنهج الذي أريد بحثه، ولم يصل إلى علمي قيام أحد الباحثين بذلك، وأما الكتب الحديثة فقد كتبت في الموضوع بعض الكتيبات، ونشرت بعض المقالات المتفرقة هنا وهناك، لذا فإنني أذكر باختصار أهم تلك الجهود والدراسات التي خلّفها الباحثون في موضوع سُنة الابتلاء.

1. "ظاهرة المحنة – محاولة لدراسة سننية"– د.خالص جلبي، دار القلم، الكويت، ط1.

2. "غزوة أحُد في الكتاب والسنة" رسالة د. الحسيني أبو فرحة، وتكلم فيها عن فلسفة الابتلاء في ضوء القرآن والسنة.

3. "الابتلاء والمحن في الدعوات" د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط1، 1996م.

4. "الابتلاء في القرآن الكريم" رسالة، محمد يوسف أحمد دوفش، عمان، الأردن، الجامعة الأردنية، 1988م، "غير منشورة".

حيث تحدث في التمهيد لرسالته عن الإبتلاء في التصور البشري، ففي الفصل الأول تناول الحديث عن الإبتلاء وسنن الله في الكون وضرب على ذلك نماذج على هذه السنن، كسنن الله في الآفاق والأنفس والطاقة البشرية، وأن الابتلاء لا يتجاوز طاقة الإنسان، ثم تحدث عن خصائص هذه السنن، وأن الإبتلاء سنة جارية. وفي الفصل الثاني تكلم عن حكم الإبتلاء وأسبابه ونتائجه، وفي الفصل الثالث بيّن بعض ألوان الإبتلاء كالإبتلاء بالشر والخير، وإبتلاء الخلق بعضهم ببعض، والإبتلاء بالتكليف الذي بيّن فيه أنه لون من ألوان الإبتلاء، وأنه ينسجم مع الفطرة الإنسانية، وفي الفصل الرابع ذكر فيه نماذج حول الإبتلاء كما في حياة الإنبياء السابقين وفي حياة أتباع الأنبياء.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن أقسّمه إلى مقدّمة، وخمسة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: الإبتلاء وسنة الله في التمحيص، وقد جاء في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السنن الإلهية.

المبحث الثاني:مفهوم الإبتلاء، ومعنى المحنة والفتنة.

المبحث الثالث: سنة التمحيص.

أما الفصل الثاني: تناولت فيه مظاهر الإبتلاء، ويتضمن تمهيداً وأربعة مباحث:

المبحث الأول: الإبتلاء في المال، وبحثت فيه النقاط التالية:

- المال مال الله والإنسان مستخلف فيه.
- المال عصب الحياة ووسيلة لمرضات الله.
- فتنة الابتلاء في المال.
- ابتلاء الناس بالتفاوت فيما بينهم.
- تتابع نعم الله على العصاة استدراج لهم.
- ذكرت نماذج على الإبتلاء في المال:

الأول: قصة قارون.

الثاني: قصة صاحب الجنتين.

المبحث الثاني: الإبتلاء في الجسد، فقد ذكرت نماذج على الإبتلاء في الجسد:

الأول: ابتلاء أيوب عليه السلام، والثاني: ابتلاء الرسول صلى الله عليه وسلم في جسده.

المبحث الثالث: الإبتلاء في الولد، وتحدثت فيه عن التحذير من فتنة الأولاد والأزواج والأموال، وذكرت نمودج على الإبتلاء في الولد ابن نوح عليه السلام.

المبحث الرابع: الإبتلاء في الزوجة، عرضت نماذج على الإبتلاء في الزوجة، نموذج زوجة نوح وزوجة لوط عليهما السلام.

أما الفصل الثالث: فقد بيّنت فيه الابتلاء وضروبه، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن الابتلاء في قوة العقيدة، وذكرت على ذلك نموذجين: الأول: ابتلاء أيوب عليه السلام، والثاني:ابتلاء أصحاب الأُخدود.

المبحث الثاني: تناولت فيه الابتلاء في الطاعة، فأشرت إلى ابتلاء إبراهيم عليه السلام بتكاليف خاصة، وتكلّمت عن ابتلائه بذبح ولده ثم تحدثت عن ابتلاء يونس عليه السلام.

المبحث الثالث: الابتلاء في النعم، فقد عرضت فيه صوراً من ابتلاء بني إسرائيل بالنعم، وابتلاء أصحاب الجنة وأنهم كانوا في غفلة عن ذكر الله تعالى وشكره.

أما الفصل الرابع: فقد خصصته للحديث عن الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله ويتضمن تمهيداً وخمسة مباحث.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن نماذج وصور للاستهزاء والسخرية والقصد من السخرية والاستهزاء، وأنه أسلوب واحد على مر العصور.

المبحث الثاني: الاتهام بالكذب، عرضت فيه صوراً من أساليب الطواغيت في الصد عن سبيل الدعوة إلى الله.

المبحث الثالث: التعذيب بالضرب والجلد، تناولت فيه ذكر أساليب التعذيب والجلد، وذكرت نماذج وأحداث من السيرة النبوية.

المبحث الرابع: التهديد بالقتل والتنكيل، عرضت فيه نماذج وصوراً من التهديد.

المبحث الخامس: نماذج من الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله، تحدثت فيه عن نموذجين:

الأول: ابتلاء موسى عليه السلام، والثاني: ابتلاء عيسى عليه السلام.

أما الفصل الخامس: الابتلاء في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة المنورة، تحدثت فيه عن المحن والابتلاءات التي تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويتضمن هذا الفصل مبحثين:

المبحث الأول: ويتحدث عن صور من ابتلاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الغزوات وذكرت على ذلك مثالين: الأول: ابتلاء المؤمنين في غزوة أحد، فبينت أنها لما انتصر المسلمون يوم أُحُد، خرج الرماة على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فترتب على ذلك أن كَرّ واثخن المشركون على المسلمين وقتلوا منهم سبعين صحابياً وأوذي الرسول صلى الله عليه وسلم وأثخن أصحابه بالجراح.

الثاني: ويتحدث عن ابتلاء المؤمنين في غزوة الخندق، فوضحت أن الله تعالى ابتلى المؤمنين هنالك بالشدة والخوف، والجوع، وشدة البرد، والحصار، حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وزلزلوا زلزالاً شديداً.

المبحث الثاني: ويتحدث عن صور من ابتلاء المؤمنين بمكر المنافقين، تحدثت فيه عن ابتلاء المؤمنين بمكر المنافقين واقتصرت في ذلك على عرض نموذجين رئيسين هما:

1. تعرض المنافقين لنساء المسلمين بالأذى.
2. زعيم المنافقين يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها نتائج البحث وضرورة التشبث بالصبر والعقيدة مهما تكن الظروف والأحوال، وأن أساس نجاح أي عمل هو الإيمان والإخلاص والصبر، ولخصت ذلك بشكل نقاط.

هذا ما فتح الله عليّ، ويسّر لي تحريره، وتوثيق مسائله، في هذا الموضوع "ظواهر المحن والابتلاء في القرآن الكريم" وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت من توضيح هذا الموضوع وتسليط الأضواء على ما فيه من دروس وعبر ومعالم في طريق الدعاة إلى الله تعالى.

وقد بذلت ما استطعت من جهد في إعداد هذا البحث، فإن كنت قد أصبت في بحثي هذا فذلك من فضل الله تعالى وعظيم توفيقه، وإن كنت قد أخطأت فذلك مني ومن الشيطان، وأسأل الله العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني المؤمنين، وأن يرزقني حسن القبول، وأن يهيئ لي من أمري رشداً، إنه سميع قريب مجيب.

الفصل الأول

الإبتلاء وسُنَّة الله في التمحيص

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: السنن الإلهية

المبحث الثاني: مفهوم الإبتلاء

1. **معنى المحنة**
2. **معنى الفتنة**

المبحث الثالث: سُنة التمحيص

المبحث الأول

السنن الإلـهية

معنى السنن في اللغة:

قال الراغب: "وسن الحديد: إسالته وتحديده، والمِسَن: ما يُسن به –أي يحدد به"[1].

وفي لسان العرب: "وسنها الله للناس: أي بينَّها، وسنَّ الله سُنَّة: أي طريقاً قويماً"[2].

وفي تهذيب اللغة: "ويقال: هذه سنَّة الله: أي حكمه وأمره ونهيه، لأنه أُريد به الفعل"[3].

وقال الجرجاني[4]: السنة هي الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية"[5].

وفي معجم ألفاظ القرآن: "سُن الشيء – بالبناء للمجهول– صُبَّ في قالب، والسنة: الطريقة والخطة المتبعة. و"سنة الله: ما جرى به نظامه في خلقه"[6].

السنن: جمع سُنَّة، وهي الطريقة المعبرة والسيرة المتبعة، أو المثال المتّبع، قيل: إنها من قولهم سّن الماء: أي والى صبَّه، فشبهت العرب الطريقة المستقيمة بالماء المصبوب، فإنه لتوالي أجزائه على نهج واحد يكون كالشيء الواحد[7].

---

(1) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1992، ص244-245.

(2) ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين بن مكرم الافريقي المصري: **لسان العرب**، بيروت، د.ط، 1990، 225/13.

(3) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقق يعقوب بن عبد النبي، الدار المصرية، القاهرة، 303/12-304.

(4) الجرجاني: هو علي بن محمد بن علي الجراجاني الحسين الحنفي، متكلم بارز ولد في جراجان سنة 740هـ وتوفي في شيراز 816هـ، انظر: كحّالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دمشق، ط1، 1957م، 216/4.

(5) الجرجاني، علي بن محمد الشريف: **التعريفات**، مكتبة لنبان، ساحة رياض الصلح، لبنان، 1969م، ص237.

(6) **معجم ألفاظ القرآن**، 602/1. مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للتأيف، ط2، القاهرة، 1970.

(7) رضا: محمد رشيد (ت1935م)، **تفسير القرآن الحكيم** "المشهور بتفسير المنار" الهيئة المصرية للكتاب، 1972م، 140/4.

معنى السنن في الاصطلاح:

سنة الله: "هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعـــالهم ومـــوقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[(1)].

السنن: جمع سنة وهي الطريقة المستقيمة المعبدة، والسيرة المتبعة من قولهم سن المـــاء إذا والاه صبه، شبهت به السنة لتوالي أجزائها على نهج واحد، وفلان على الـــسنة، أي: علـــى طريـــق الاستواء لا يميل إلى شيء من الأهواء. وهي ما سنه الله في الأمم المكذبة من وقائع[(2)].

وفي محاولتهم إعطاء مفهوم اصطلاحي لسنة الله، قال الراغب: "وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته"[(3)].

وفي التعريفات قال الجرجاني: "والسنة في الشريعة هي الطريقة المسلوكة في الدين مـــن غيـــر افتراض ولا وجوب"[(4)].

ولعل أقرب هذه التعريفات ما جاء في معجم ألفاظ القرآن، وهو أن سنة الله: "ما جرى به نظامه في خلقه".

وحتى نتوصل إلى تعريف أشمل لا بد لنا من الرجوع للآيات القرآنية التـــي وردت فيهـــا هـــذه الكلمة، وبالرجوع إلى هذه الآيات نجد أن لفظة "سنة" وردت بصيغة الجمع –سنن– فـــي آيتـــين هما: قوله تعالى: "‰% z=M6 Ë` %6â3Ñ 'Ö0ô"[(5)]، وقوله: "r/ã‰%ƒ9 Ñ6àN 'ß`Y $%Ÿƒ/ ` Ë` %6î 6àN"[(6)]. وهذا يدل على أنها مجموعة طرق قدرها الله لعباده.

---

(1) زيدان، عبد الكريم: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993، ص13.

(2) انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 139/3. وانظر: الشوكاني: **فتح القدير**، 383/1. المراغي: **تفسير المراغي**، 74/4. الزمخشري: **الكشاف**، 409/1.

(3) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص244–245.

(4) الجرجاني: **التعريفات**، مرجع سابق، ص2378.

(5) آل عمران: آية (137).

(6) النساء: آية (26).

والآيات تشير إلى أن هذه السنن جرت في حق الأولين، ولا يستثنى منها أحد من العالمين، وأنه لا تبديل لها ولا تحويل، وهذا يدل على شمولها للخلق أجمعين،ويفيد أنها مطردة وثابتة إلى يــوم الدين قال تعالى: "ûïÏ‰©$'Î ‹ $pZß" "šú üÏ9r F{$# àM¨Zß ôMÒB ô‰)ù (#rßqãƒ bÎr"[(1)]، وقال عــز وجــل: "‰%ÿB `=ù ûïÏ9rF{$# ÇMYß ž×v)Î šc r鏤Zƒ @gù"، وقال سبحانه: "#‹r‰ß)B #Y‰% ‹ $ #ôB& b%.r @ø6% `Ï (#öq=z"[(2)]، وقال ســبحانه: "`9r @ø6% `Ï ÇM=z ô‰% ÓÉ$‹ $pZß" "x ƒÏ‰ö7s? ‹ $ÏMY ÿ9 %ÿ#B `9r Wƒ Ï‰ö7s? ‹ $ÏMY ÿ9"[(3)]. وقال ســبحانه: "‰%ÿ#B ÿ9 $ÏZ ‹ $?ƒÏ‰ö7s?"[(4)].

مما سبق يمكننا تعريف السنن بأنها: مجموعة الطرق القويمة، والنظم الثابتة القائمة على أمر الله وحكمته، والتي تسير الحياة وفقها، وينتظم أمر هذا الكون بما فيه ومن فيه من خلالها، ونلاحــظ أن هذه الكلمة يدور معناها على معنى "الطريقة المتبعة" فيكون المعنى "ســنة الله" أي الطريقــة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شــرع الله وأنبيائــه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة، وهذا يعني أن معنى "السنة" هو معنى "القانون العام" من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة.

العلم بالسنن الإلهية:

لقد وجه القرآن الكريم المسلمين نحو الوعي بعــالم الــشهادة؛ فحــثهم علــى النظــر والتــدبر والاستقراء، والكشف عن قوانين المادة وسنن الاجتماع، كما نبه إلى بنــاء الحــضارة وكيفيــة المحافظة عليها من السقوط.

وقد أرشد القرآن إلى هذه السنن، فذكرها نصا في بعض الأحيان في مثل قوله تعــال: "ô‰s% ôMn=yz `Ï Nä3Î=ö6s% ×ûs]ß (#r çÅ¡s ûÎ ÇÚöF{$# (#rãÝàR$$sù y#ø‹x. šc%x. èpt7É)»tã tûüÎ/Éj‹s3ßJø9$#"[(5)]، ولم يذكرها أحياناً نصاً، وإنما فهمت من النص دلالة وفحوى في مثل قوله تعــالى: "r9)‰$¡Yn=ö™ö‘r& `ÏB y7Î=ö7s% 7ô6% `Ï ùs$-$ ïÏ%©!$# šú"

---

(1) الأنفال: آية (38).
(2) الأحزاب: آية (38).
(3) فاطر: آية (43).
(4) الفتح: آية (23).
(5)آل عمران: آية 137.

[illegible]"، وذكرها تارة مضافة إلى الله تعالى في مثل قولــه: "[illegible]"[1]، [illegible][2].

وذكرها تارة أخرى مضافة إلى أقوام في مثل قوله تعـــالى: "[illegible]"[3].

وللإشارة، فإن هذه السنن تعمل مجتمعة ومتسلسلة، فيكون في حصيلتها في الحياة البشرية ما هو كائن بقدر الله عز وجل[4].

وقد نبه الله جل ثناؤه المسلمين إلى أن هذه السنن صارمة، تتسم بالاطراد والشمول والثبات، كما فـــي قولـــه تعـــالى: "[illegible]"[5]، وقوله تعالى: "[illegible]"[6]، فينبغي إذن معرفتها وتدبرها واستيعابها والاستفادة منها، لقولـــه تعـــالى: "[illegible]"[7]، ومن خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نفهم التاريخ على حقيقته، ونعرف عوامل البناء والأمن والاســتقرار والتقدم، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف، على أن هــذه الــسنن مرتبطــة بـــالأمر والنهي، والطاعة والمعصية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك، فالإنــسان إذاً أتـــى بـــالأمر واجتنب النهي، ووقف عند حدود الله، أصاب خير السنة الربانيـــة، إذا أهمـــل الأمـــر وخالفـــه، وارتكب النهي عنه، ووقع في حدود الله، أصاب شر السنة الربانية[8].

---

(1) الأنعام: آية 10.

(2) غافر: آية 85.

(3) الكهف: آية 55.

(4) انظر: امحزون، محمد: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم من خلال السيرة الصحيحة**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2002، ص35.

(5) فاطر: آية 43.

(6) الإسراء: آية 77.

(7) النساء: آية 26.

(8) انظر: السلمي، محمد بن صامل: **كيف نفسر التاريخ** مجلة البيان، ع50، 1992، س98.

وقد انتبه إلى أثر السنن في المجتمعات والاعتبار بها ابن تيمية فقال: " ومن هذا الباب صـــارت قصص المتقدمين عبرة لنا، ولولا القياس واطراد فعله وسنته، لم يـــصبح الاعتبـــار بهـــا، لأن الاعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن"(1).

إن معرفة اثر السنن في الأنفس والمجتمعات ضروري لمعرفة طبيعة هذا الدين وطبيعة الجاهلية المقابلة، فمن سنن الاجتماع البشري التي يشهد بها الواقع المحسوس والتـــاريخ المـــسطور: "إن الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام، والتي واجهها الداعية محمـــد صـــلى الله عليه وسلم بدعوته، والتي واجهها الدعاة في كل زمان وفي كل مكان، هذه الجاهلية لم تكن قـــط متمثلة في نظرية مجردة، بل كانت متمثلة في تجمع حركي مستقل عن غيره في مجتمع خاضـــع لتصورات وقيم ومفاهيم وتقاليد وعادات، وهو مجتمع عضوي، بين أفراده ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون، الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بـــإرادة واعيـــة أو غيـــر واعيـــة للمحافظة على وجوده والدفاع عن كيانه، والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجـــود وهذا الكيان في صورة من صور التهديد"(2).

ومن هنا تأتي أهمية ربط عمل الدعاة بالجهد والعمل وفق السنن التي لا تحـــابي فـــرداً علـــى حساب فرد آخر، أو مجتمعاً على حساب مجتمع آخر، "لقد كتب الله على نفسه النصر لأوليائـــه، حملة رايته وأصحاب عقيدته... ولكنه علق هذا النصر بكمال حقيقـــة الإيمـــان فـــي قلـــوبهم، وباستيفاء مقتضيات الإيمان في تنظيمهم وسلوكهم، وباستكمال العدة التي في طاقـــاتهم، وببـــذل الجهد الذي في وسعهم، فهذه سنة الله عز وجل، وسنته لا تحابي أحداً، فأما حين يقصرون فـــي أحد هذه الأمور، فإن عليهم أن يتقبلوا نتيجة التقصير، فإن كونهم مسلمين لا يقتضي خرق السنن وإبطال الناموس، فإنما هم مسلمون لأنهم يطابقون حياتهم كلها على السنن"(3).

---

(1) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، ت728هـــ: **جامع الرسائل**، تحقيق محمد رشاد، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط،د.ت ص55.

(2) قطب، سيد: **معالم في الطريق**، درا الشروق، ط1، 1981، ص54.

(3) قطب، السيد: **في ظلال القرآن**،دار الشروق ،طـــ15 1988 2 /513.

ومرجع ذلك إلى أن السنن الربانية في الحياة البشرية دقيقة كل الدقة، منتظمة أشد الانتظـــام، لا تحيد ولا تميل ولا تجامل ولا تحابي، ولا تتأثر بالأماني، وإنما بالأعمـــال، وهـــي فـــي دقتهـــا وانتظامها وجديتها كالسنن الكونية سواء بسواء(1).

وفيما يلي نذكر نموذجين على السنن الإلهية:

وسأتحدث عن نموذجين على السنن الإلهية، الأول: مداولة الأيام بين الناس، والثاني: التدافع بين الناس.

الأول: مداولة الأيام بين الناس:

من السنن الربانية: مداولة الأيام بين الناس، من الشدة إلى الرخاء، ومن الرخاء إلى الشدة، ومن النصر إلى الهزيمة، ومن الهزيمة إلى النصر، قال تعـــالى: "[illegible]"(2).

وهذه السنن نافذة بحسب ما تقتضيه سنة تغيير مـــا بـــالأنفس: "[illegible]"(3).

وهنا يضع الله عز وجل أيدينا على سر عظيم، وهو ارتبـــاط المداولـــة بـــين الأمـــم والـــدول والمجتمعات مع التغيير النفسي والذاتي في الأمة، فسقوط الحضارات ونهوضـــها، والأمـــم فـــي ارتفاعها وهبوطها، مرتبطة بهذا التغيير النفسي في مسارها عبر التاريخ والحاضر والمـــستقبل، وهي سنة ماضية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل(4).

---

(1) قطب، محمد: **حول التفسير الإسلامي للتاريخ**، المجموعة الإعلامية، د.ت، 1988، ص120.
(2) آل عمران: آية 140.
(3) الأنفال: آية 53.
(4) أمحزون: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة النبوية**، مرجع سابق ص43.

يقول رشيد رضا في تفسير المنار: "إن أنعم الله تعالى على الأقوام والأمم منوطة ابتداءً ودواماً بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد، وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الشؤون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها، كانت تلك النعم ثابتة بثباتها، ولم يكن الرب الكريم ينتزعها منهم انتزاعاً بغير ظلم ولا ذنب، فإذا هم غيروا ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق وما يترتب عليها من محاسن الأعمال، غير الله عندئذ ما بأنفسهم وسلب نعمته منهم"[1].

وهذا السلب يكون بالإدالة عليهم، بتسليط عدو عليهم يستأصل شأفنتهم، ويكون ذلك سبباً في انهيارهم وزوال ملكهم جزاء فسقهم وعصيانهم، ومن أسباب زوال النعم: أن يفشوا فيهم الظلم وعدم إقامة العدل، والجهر بالمعاصي، فيأخذهم الله عز وجل بالسنين، ويبتليهم بالأمراض والفقر، ويجعل بأسهم بينهم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علينا بوجهه فقال: "يا معشر المهاجرين! خمس خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم الميكال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولا نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم يحكم أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم"[2].

وقد تكون الإدالة على المسلمين بتخلف النصر عنهم حين يتركون طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يطمعون في الغنيمة كما حدث في غزوة أحد، أو حين يركنون لكثرة العدد ويعجبون بأنفسهم وينسون سندهم الأصيل كما وقع في غزوة حنين، وحينئذ تكون الدولة والغلبة بصفة مؤقتة، لحكمة هي استكمال حقيقة الإيمان ومقتضاه من الأعمال، ومتى تحقق ذلك جاء النصر، لأن الهزيمة في معركة لا تكون هزيمة إلا إذا تركت آثارها في النفوس هموداً وكلالاً

---

(1) رضا، محمد رشيد (ت1935): **تفسير القرآن الحكيم** المشهور بتفسير المنار، الهيئة المصرية للكتاب، 1972، 10/ 37.

(2) اخرجه ابن ماجه في صحيحه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ): **صحيح ابن ماجة**، كتاب الفتنة، رقم الحديث (4019)، 1332/2. الألباني ناصر الدين ، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي دمشق 1972 167/1

وقنوطاً، فأما إذا بعثت الهمة وأذكت الشعلة وبصّرت بالمزالق، وكشفت عـــن طبيعـــة العقيـــدة وطبيعة الطريق، فهي المقدمة الأكيدة للنصر الأكيد"[1].

إن سنة النصر لا تتخلف متى استوفت الشروط وأهمها الاستقامة على منهج الله بطاعـــة أمـــره واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعـــالى: " [illegible] "[2]، وقال عز وجل ذكـــره: " [illegible] "[3].

وجاءت عوامل النصر جلية واضحة في قوله تعـــالى: " [illegible] "[4]، ولكن إذا تخلفت هذه الأسباب تخلف النصر بطبيعة الحـــال، وربما حلت الهزيمة، لأن سنن الله تعالى لا تحابي ولا تجامل أحداً من الخلق، ولا تجاري أهواء البشر، وإنما تساير أعمالهم، وإن الذين يرثون الكتاب بالاسم وشهادة الميلاد، ولا يترجمون مـــا فيه من الأوامر والنواهي واقعاً سلوكياً، ثم يقولون: سيغفر لنا! لا يستجيب الله عز وجـــل لهـــم حتى يعودوا إلى العمل بما امرهم الله فـــي كتابـــه المنـــزل " [illegible] "[5]،[6].

وبناء على ذلك، فإن السنن لا تحيد ولا تميل مع الأماني، وإنما تتأثر بالأعمال الجيدة والجهـــود المنظمة والمخططات المحكمة للوصول إلى النتائج المحددة المطلوبة.

---

(1) فايز، أحمد: **طريق الدعوة في ظلال القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985، ص347.
(2) محمد: آية 7.
(3) الصافات: الآيات 171-173.
(4) الأنفال: آية 45-46.
(5) الأعراف: آية 169.
(6) قطب، محمد: **حول التفسير الإسلامي للتاريخ**، ص102.

وفي هذا الصدد يقول رشيد رضا: "فجاء القرآن يبين للناس أن مشيئة الله تعالى في خلقه إنما تنفذ على سنن حكيمة وطرائق قويمة، فمن سار على سننه في الحرب مثلاً، ظفر بمشيئة الله وإن كان ملحداً أو وثنياً، ومن تنكبها خسر وإن كان صديقاً أو نبياً، وعلى هذا يتخرج انهزام المسلمين في وقعة أحد"[1].

ومعنى ذلك: أنه لا يمكن أن يكون النصر بغير اتخاذ الأسباب سواءً تعلق الأمر بالمؤمنين أو الكفار.

ولكن قد يتبادر إلى الذهن سؤال وجيه وهو: ماذا يحدث لو وافق المسلمون السنن الإلهية في التغير واستيفاء شروط النصر، فاخذوا بالأسباب، واستكملوا الإعداد للجهاد، غير أن أعداءهم كانوا أكثر كفاءة منهم تخطيطاً وتنظيماً وقوة؟

إن المؤمنين حين يغيروا ما بأنفسهم ويستكملون أدوات النصر لا يضيرهم تفوق الأعداء عليهم، لأن سنة أخرى تتدخل وهي وعد الله بالتمكين والنصر لعباده المؤمنين، قال تعالى: "$ZtÌ™öä ß)9r

ûÇ S $Yøã $)m šc ‰.r ¨(qã•ô_ ‰ ûïÏ%©!$# `B $Zð)FR$ù Ms)ZÉ$ Oèdrâ$ f ù NÍgÎBö‰ 4<) x R'â 7 î6‰ `B

b‰. b)r Nãè B `ãR Ô9‰ ¨(þã$% ‹ $`B ÖFù Nã9 b‰. bîù Nã) bqÅ/Žlƒ ûïÏ%©!$# :"[2]، وقولـــه: ûüZÏBsß9$

`9r þJ»šÉ$Pöƒ Nà6 Y÷/ Nãtt ª! $ù ûüZÏBsß9$ `B NãèZð Rr Nãøæ Ðtç GóR Ô9‰ ¨(þã$% ÈšÅR ûïÌÿ»3ù

$‹R%‰9$Óó4Štø$ 'Î ¨(qãZB#ä šú ïÏ%©!$ $Y=R'â ûÇ ZY9 $R)" :قولـــه[3] " x ‹î™ ûüZÏBsß9$ '?ã ûïÌÿ»3ù ª! $Ÿèø

Pöƒr $ãqà)ƒ ß»g©R$ "[4].

وقد يتأخر ويبطئ نصر الله لحكمة ما، لكن في نهاية المطاف فهو آت لا محالة، قال تعالى: "Lm" Ó@ß™9$ § «øŠ$#Œ) ®Lm" ¨(þZßr @ß™9$ § «øŠ$#Œ) ®Lm

Qö)$Çã $ZR'Ù š•ãŸr ã$±®`B Óf £ ãù $RŽÇR Nèdä$_ ¨(qçÉà2 ‰% Nã& ¨(þZßr @ß™9$

ûüBÌ ð ß9$ "[5][6].

---

(1) رضا، **تفسير المنار**، 141/4.

(2) الروم: آية 47.

(3) النساء: آية 141.

(4) غافر: آية 51.

(5) يوسف: آية 110.

(6) امحزون: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**، ص45-46.

الثاني: سنة التدافع:

ومن السنن الجارية التي أوضحها القرآن الكريم: سنة التدافع أو سـنة الـصراع بـين الحـق والباطل: وهي سنة مترتبة على سنة الإعداد والاستعداد، كما أنها ماضية عبر التاريخ الإنـساني الطويل، وباقية حتى يرث الله الأرض وما عليها، قـال تعـالى: "3` •ã$¨Z9$# ïĝã š• ﾉ‘ b¾Ÿ2 $Br Mïm§ ` B žw) šú üÿÎ6Ý¡ bqä9#“ƒ Ÿwr ž‰ïn°r pBé& ¨$Z9$# Ÿ@yèyf: 7ﾉ‘ ä$© qør Ç¨È šc qß#Î=tFèB $gèd¨r R4tÍ ﾉ‘ 7 "[1]. ويحتدم الصراع نتيجة هذا الاختلاف لإقرار الحق أو إقرار الباطل.

معنى التدافع:

جاء في لسان العرب[2]: "الدفع الإزالة بقوة، يقال دفعة دفعاً ودفاعاً، ودافع عنـه بمعنـى دفـع، ونقول: دفع الله عنك المكروه دفعاً ودفاعاً، ودافع الله عنك السوء دفاعـاً وتـدافع القـوم: دفـع بعضهم دفعاً، والمدافعة: المزاحمة، والاندفاع المضي في الأمر".

وجاء في المعجم الوسيط[3]: دفع الشيء إذا نحاه وأزاله بقوة، وفي القـرآن الكـريم: "Nëdqã“gù ¨$Y9$‹ï $ßRöš Ÿwöqs9r ä$±„ $£ÏB ¼çJ¯ãr pJò6 Ïtø:$# š• ùB¯Ò9$#ª! $#çµ9?#äur šV qä` Ï¼ãš Ÿ@F%r «! $Âc ÎóÎ/ "šú üÏJ=»èø9$# ’?ã @ôÒù r&r ©!$# £Å6 »9r Ùß öF$ÏN‰ ¡ ÿ©<Ù è7Î OßÒè/"[4]، ودفـع القـول: "رده بالحجة. ودفع فلاناً إلى كذا: اضطره، دافع عنه مدافعة ودفاعاً، حامى عنه وانتصر له، ودافعـه زاحمه. ويقال هو سيد قومه غير مدافع: أي غير مزاحم، وتدافع القوم: دفع بعضهم بعضاً، وهذا الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظـاهرين إلى يوم القيامة[5].

---

(1) هود: الآيتان: 118-120.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، 441/9 وما بعدها.

(3) مصطفى، إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، 1961، 288/1.

(4) البقرة: آية 251.

(5) رواه مسلم في **صحيح مسلم بشرح النووي**، محي الدين أبو زكريا بن شرف الدمشقي (ت676هـ): كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حديث رقم (4927) دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1996، 67/13.

وهذه الطائفة المنصورة تجتمع فيها أسباب النصر المعنوي والمادي التي خلقها الله عز وجل من علم صحيح، وسلوك مستقيم، وأخذ بالمقدمات التي جعلها الله وسـيلة موصـلة إلـى نتائجهـا المرجوة، وإلا فإن مجرد الإيمان بعقيدة أهل السنة والجماعة دون الأخـذ بالأسـباب التمكـين ومقدماته المادية، ودون الالتزام بسنن الله الكونية الصارمة لا يضمن ولا يكفل الظهور والتمكين في الأرض الذي وعد الله به عباده الصادقين[1].

والتدافع بين الحق والباطل في حقيقته تدافع بين أصحاب الحـق وأصـحاب الباطـل أي بـين المؤمنين وبين غيرهم، لأنهم هم الذين يحملون معاني الحق أو معاني الباطـل ويـسعون إلـى إظهار هذه المعاني في الخارج وإقامة شؤون الحياة على أساسها يحصل التعـارض والتـزاحم والتدافع بين الفريقين بين اصحاب الحق وأصحاب الباطل أي بين المؤمنين وبين غيرهم.

والتدافع بين الحق والباطل أي بين أصحابهما أمر لا بد منه وحتمي لأنهما ضدان، والـضدان لا يجتمعان، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعـه وإزالتـه، أو فـي الاقـل إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة، فأهل الباطل لا يكفيهم بقاؤهم على بـاطلهم وإنما يسعون إلى محق الحق وأهله وإزالة هذا الحق بالقوة وصد الناس عنه ببذل المال وبالقتـال وبكل ما يرون فيه قوة وقدرة لتحقق ما يريدون، وهذا هو شأن الباطل وقوته، تطغيه هذه القـوة فتدفعه إلى إزالة الحق وأهله ولو بالقوة، قال تعـالى: "[illegible]"[2][3].

(1) انظر المصري، محمد عبد الهادي: **أهل السنة والجماعة،(معالم الانطلاقة الكبرى)**، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط3، 1989، ص52.

(2) البقرة: آية 217.

(3) زيدان، عبد الكريم: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق ص45-46.

وإذا كان الامر كما ذكرنا من شأن الباطل وقوته التي تطغيه وأهله فلا بد للحق من قوة تحميــه من طغيان الباطل وأهله، وتمكن أهل الحق من محق الباطل والغلبة على أهله، ولهــذا امــر الله تعالى أهل الحق بإعداد القوة لإرهاب أهل الباطل ومنعهم من التحرش بأهل الحق، قال تعــالى: "`Ë ûïÌ z#är Ñà2 ï‰ãr «! $ï‰ã ¾ïnÎ šc qçÜdè@ø¿Ü‰$Å$/ħ Æ Ër ϱ§è `Ë OßèÜGõ'$$B N§9 #r‰ã&r šc qß=âÊ Ÿw OßR&r Ñ3ö) $ qã«! $®‹<î™ † Î ãó« `Ë (qàÿZè$Br ÑßŠ=è/ ª! $ÑßRqß=è? Ÿw Oßþ.r߃"[1].

قضت سنة الله تعالى في تدافع الحق والباطل أن الغلبة للحق وأهلــه، وأن الانــدحار والمحــق للباطل وأهلــه، قــال تعــالى: "ª! $®ð/r 7Î¿ 4?ã Oßþ ª! $î±„ bÎù $Ÿ¾. «! $'?ã 3"Žlù$bqä9qà)ƒ Pr&" "ír‰Á9$ÏN#‹/Î Oš¾æ ¼çR) ÿ¾ïn6»J‡3Î ¨,t ø$‘,ïär Ÿ@Ü»6ø$"[2].

أي ومن عادة الله تعالى إبطال الباطل وتقرير الحق، وأنه لا يثبت الباطل ولا يديمه ولكن يــسلط عليه الدمار[3]، وسنة الله تعالى في نصر المؤمنين لا تتخلف أبداً لأنها إخبار من الله تعالى وهــو أصدق القائلين قال تعالى: "pZŒ' ÇëÈ #ŽÅ R Ÿwr $ŠÏr šc r‰Åt Ÿw §Nè •»/Š{ $(âq9 (rãy. ûïÏ%©$Ÿã=F»% öqr"[4]. أي هذه سنة الله تعالى وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفــع الحــق ووضــع الباطل كما فعل الله تعالى يوم بدر[5].

إن نصر الله تعالى للمؤمنين حسب سنته تعالى في نصرهم لا يأتي عادة دون جهد عظيم يبذلونه وتضحية يقدمونها في مدافعتهم لأهل الباطل مما قد يترتب عليه عادة أذى شديد يلحقهم من أهــل الباطل وغلبة لهؤلاء المبطلين على المؤمنين. وهذا لا يتعارض مع سنة الله في نصر المؤمنين، لأن الأمور بخواتيمها وعاقبتها، والعاقبة دائما للمؤمنين في نصرهم علــى أهــل الباطــل، ولله

(1) الأنفال: آي 36.

(2) الشورى: آية 24.

(3) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي (ت606هــ): **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، 168/27.

(4) الفتح: الآيتان 22-23.

(5) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت774هــ): **تفسير القرآن العظيم**، دار الأنس، بيروت، ط1، 1966، 192/8.

الحكمة فيما يصيب المؤمنين من أذى قبل بلوغهم النصر الحاسم على أهل الباطل وعلى هذا دل القرآن الكريم، قـــال تعـــالى: "bÎ) öΝä3ó¡|¡ôϑtƒ Óy̍s% ô‰s)sù ¡§tΒ tΠöθs)ø9$# Óy̍s% …ã&é#÷WÏiΒ 4 y7ù=Ï?uρ ãΠ$−ƒF{$# $yγä9Íρ#y‰çΡ tû÷üt/ Ĩ$¨Ζ9$# zΝn=÷èuŠÏ9uρ ª!$# tÏ%©!$# (#θãΖtΒ#u x‹Ï‚−Gtƒuρ öΝä3ΖÏΒ u!#y‰pκà− 3 ª!$#uρ Ÿω =Ït† šúüÏϑÎ=≈©à9$# ∩⊇⊆⊃∩ }Èy∑yϑãŠÏ9uρ ª!$# tÏ%©!$# (#θãΖtΒ#u t,ysôϑtƒuρ tûïÍÏ≈s3ø9$# ∩⊇⊆⊇∪"[1][2].

فالأيام في الآية الكريمة أوقات الظفر والفوز، ومداولتها بين المؤمنين وأعدائهم أي تحويل الظفر والغلبة بينهم مرة للمؤمنين ومرة لأعدائهم، فهذه المداولة سنة من سنن الله في تدافع أهل الحـــق مع أهل الباطل، فلا عجب أن تكون الدولة مرة للمبطل ومرة للمحق، لأن المـــضمون والمؤكـــد لصاحب الحق أن تكون العاقبة له والأعمال بالخواتيم[3].

---

(1) آل عمران: الآيتان 140-141.

(2) زيدان، عبد الكريم: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، ص51-52.

(3) رضا: **تفسير المنار**، 147/4.

المبحث الثاني

مفهوم الابتلاء

البلاء والابتلاء يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان، وهما اسمان من بلاه يبلوه وابتلاه، أي جرَّبه، يقال: "بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته: أي اختبرته، وبلاه يبلوه بلواً: إذا جرّبه واختبره"[1]، وبُليّ فلان وابتُليَ: إذا امتحن. والبلية والبلوى والبلاء واحد، والجمع البلايا، والابتلاء: الاختبار، ومنه قوله تعالى: "pZFÏù Îöƒø$#ur Îh¤³9$$Î/ Näqè=ö7tRur"[2]، والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير وفي الشر معاً.

جاء في لسان العرب: "وقال ابن الأعرابي: أبلى بمعنى أخبر، وابتلاه الله: امتحنه، والاسم: البلوى والبلوة والبلية والبلاء، وبُليَ بالشيء بلاءً وابتُليَ"[3].

وقال الفيروزآبادي[4]: "وابتليته: اختبرته. وابتليت الرجل فأبلاني: استخبرته فأخبرني، وامتحنته واختبرته، كبلوته بلواً وبلاءً. والاسم: البلوى والبلية والبلاء: الغم كأنه يبلي الجسم. والتكليف بلاء، لأنه شاقّ على البدن أو لأنه اختبار[5].

وفي المعجم الوسيط: "ابتلاه: جرَّبه وعرفه. والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبر به. والبلاء: الغم والحزن، والبلاء: مبالغة الجهد في الأمر، والبلى: القِدمَ، والبلوى: المصيبة. والبليُّ: الشديد البلىَ. البليَّةُ: المصيبة، وجمعها بلايا. والبليَّة في الجاهلية: الناقة يموت صاحبها فتُحبس على قبره حتى تموت"[6].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، 84/14.

(2) الأنبياء: آية (35).

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، 84/14.

(4) هو مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر الشيرازي إمام في اللغة والأدب ولد بكارزين (بلدة بفارس) سنة 729هـ، وتوفي 817هـ. انظر: أبو زيد، بكر بن عبد الله: **طبقات النّسابين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص214.

(5) الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مرجع سابق، 327/4.

(6) إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار: **المعجم الوسيط**. مجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعةمصر، 1381هـ-1961م، 71/1.

ويظهر مما سبق أن البلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان. وبمعنى مبالغة الجهد في الأمر.

وقد ذكر الراغب الأصفهاني[1]: أن البلاء يكون منحة ويكون محنة، وذلك عندما زاد وجهاً ثالثاً، فقال: "والثالث: أن اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين"[2]. ثم أورد أمثلة على ذلك، منها قوله تعالى: "Nä3è%r ¡ 9$$ Îû ç2ä%æö Î Fä ZpZ"[3]، وقوله تعالى: "Îr' NäÏ9ºE / Nä3ÎÛx ä` B ÏN Nä3ß"

Ïä"[4]، راجع إلى الأمرين: إلى المحنة التي في قوله تعالى: ã‹ ä2qtb Nä%!$ äY/ r/ óFtsbq

Î¡ $äNä"[5][6]، وإلى المنحة التي أنجاهم[7]، أي نجاهم الله تعالى من فرعون وقومه.

وقال القرطبي[8]: البلاء يكون حسناً، ويكون سيئاً، وأصله المحنة والله عز وجل يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره، فقيل للحسن بلاء، وللسيء بلاء[9].

يتضح مما سبق أن البلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، وأن البلاء يكون حسناً ويكون سيئاً.

---

(1) هو الحسين بن محمد بن المفضل: اشتهر بالراغب الاصفهاني (ت502هـ). انظر **الأعلام:** خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط14، 1999، 334/1.

(2) الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن.** تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار العلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1992، ص145.

(3) الأنبياء: آية (35).

(4) البقرة: آية (49).

(5) يستحيون: أي يستبقون الإناث على قيد الحياة ويستخدمونهم للخدمة. انظر: الطبري: **جامع البيان،** مرجع سابق، ج312/1.

(6) البقرة: آية (49).

(7) انظر: الراغب الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن،** مرجع سابق، ص146.

(8) هو أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي القرطبي تفقه على مذهب الإمام مالك، اعتنى ب**تفسير القرآن،** من كتبه التفسير الجامع، التذكرة، (ت671هـ). انظر ترجمته **شذرات الذهب في أخبار من ذهب،** 335/5. أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبيلي (ت1089هـ). دار المسيرة، بيروت، ط2، 1399هـ-1979م.

(9) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن،** ط5، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م، 263/1.

وقد بيّن الراغب الاصفهاني الفرق بين فعل الله تعالى وفعل الإنسان عند إطلاق الفعـــل (ابَتَلَـــى) فقال: "وإذا قيل: ابتلى فلان كذا وأبلاه، فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره. والثاني: ظهور جودته ورداءته. وربما يقصد به أحدهما. فإذا قيـــل فـــي الله تعالى: بلى كذا أو أبلاه فليس المراد فيه إلا ظهور جودته ورداءته دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره"[1].

وعرف أبو هلال العسكري[2] الابتلاء بأنه: "استخراج ما عند المبتلى وتعرف حاله في الطاعـــة والمعصية بتحميله المشقة، وليس هو من التكليف في شيء، فإن سمي التكليف ابتلاءً في بعـــض المواضع فقد يجري على الشيء اسم ما يقاربه في المعنى. ويقال للنعمة بلاء، لأنه يستخرج بها الشكر، والبلى يستخرج قوة الشيء بإذهابه إلى حال البال، فهذا كله أصل واحد"[3].

ويأتي الابتلاء بمعنى المحنة والفتنة.

معنى المحنة

المحن مفردها محنة، وكلمة محنة مأخوذة من الفعل محن، والمحنة: الخبرة، وامـــتحن القـــول: نظر فيه ودّبَّره. ومحنت الفضة إذا صَفّيتها وخلّصتّها بالنار من الشوائب. وامـــتحن الله قلـــوبهم للتقوى: خلّص الله قلوبهم وصفاها وهذبها. ومنـــه قولـــه تعـــالى: "é r9»í 7 $%ïûî$ GB s ` $! ªèqâÑ
ö3 qp)G=ø"[4].

---

(1) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص146.

(2) هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن يحيى بن مهران العسكري أبو هلال عالم بالأدب، له مؤلفات كثيرة منها "جمهرة الأمثال" (ت395هـ). انظر ترجمته، **الأعلام**، 196/2. خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط14، 1999م.

(3) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران: **الفروق في اللغة**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1973م، ص210.

(4) الحجرات: آية (3).

ومحنته، وامتحنته خبرته واختبرته وبلوته وابتليته ومنـــه قولـــه تعـــالى: "[illegible]"(1).

وأصل المحن: الضرب بالسوط، ومحنه عشرين سوطاً: أي ضربه، ومحن الثَّوبَ: لَبَـــسهُ حتـــى أخْلَقَه، والمَحْنَ: اللّيّن من كل شيء، والاسم المِحْنة، والمَحْنُ: العطية. والمِحْنة: واحـــدة المِحَـــنِ التي يُمتحَن بها الإنسان من بليّة(2).

فالمحن تأتي بمعنى الاختبار لتخليص قلوب المؤمنين وتصفيتها وتنقيتها من الشوائب، وذلك بما أجرى الله عليهم من الأحداث والابتلاءات التي رسَّخت في نفوسهم معاني الإيمان وأزالت منها كل شائبة حتى صارت نقية صافية طاهرة.

معنى الفتنة

قال الراغب: "أصل الفتن: إدخال الذهب بالنار لتظهر جودته من رداءته"(3).

جاء في لسان العرب: "جماع معنى الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار وأصـــلها مـــأخوذ مـــن قولك: فتنت الفضة والذهب: إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد"(4).

وفي المعجم الوسيط: وفتن فلاناً: عَذَّبه ليحوّله عن رأيه أو دينه. قـــال تعـــالى: "[illegible]"(5).

---

(1) الممتحنة: آية (10).

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1، 1990،13/401. والجوهري، اسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1956، القاهرة، ط2، 1979، بيروت، 6/2201. الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم: **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، 4/276.

(3) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص623.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، 13/317. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق يعقوب بن عبد النبي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة، د.ط، 14/296.

(5) البروج: آية (10).

وفَتَنَه: رماه في الشّدة ليختبره، قال تعـــالى: "Éú ü?$B ‍ŕ& ϱ$B Ϙ$ã ê̤à2 'Î šc qãΨ̈ãΘŨR& br•ƒ wr&
Ŝê Ŵ ŷ qçΘçƒ šc Ŵr Ňêd ¤ƒ Ŗŵ2 šc ÈÏĨÇ"[1].

ويقال: وفتن الشيء فلاناً: أعجب به واستهواه، وفتن فلاناً عن الشيء: لواه وصرفه، قال تعالى: "$‍ŗ ‍ŏdŇ &b ƒýΨ̈ãq ,š ã`. /ŗè Ç̧ B$ &R“A$!ª ŷ̃ø 7 ùÎb ?qçΘç($ŵ=‍Ň ®RK$ã‍ŧ ƒ‍Ñ$! ª &b ã Â•åŇ Î7è Ç̧
ŴŅ̃qçŞîŊ rÎb .ŴÎẐ# Ė `$ Z9$ Ä 9ÿ» ‍Ä‍ßqb ÈÎÇ"[2]، أي يميلونك ويصدونك!.

وقد عدّد ابن الاعرابي[3]: معاني الفتنة فقال: "الفتنـــة: الاختبـــار، والمحنـــة، والمـــال والأولاد، والكفر، واختلاف الناس بالآراء، والإحراق بالنار"[4].

وذكر الفيروزأبادي بأنها: الضلال والإثم والفضيحة، والعذاب، والجنون، والاضلال"[5].

هذا وقد وردت الفتنة في القرآن الكريم على أحد عشر وجهاً كمـــا قـــال الحـــسين بـــن محمـــد الدامغاني[6] في قاموسه "إصلاح الوجوه والنظائر"[7]:

الوجه الأول: الفتنة بمعنى الشرك، قال تعالى: "$‍ŭÿΨ̈ŷZp &©‰ ‍Ė `$‍ŭ(‍Ġ(‍ê̤"[8].

الوجه الثاني: الفتنة بمعنى الكفر والإثم، قـــال تعـــالى: "9(‰$‍ŭ‍ĿFóô(‍ŭ$‍ŭÿΨ̈ŷZp ‍Ė` ‍ŭ6@"[9]. أي ابتغـــوا الكفر.

---

(1) التوبة: آية (126).

(2) المائدة: آية (49).

(3) هو محمد بن زياد أبو عبد الله المعروف بابن الاعرابي، موسى العباس بن محمد بن علي الهاشمي عالم نحوي وإمام في اللغة من أهل الكوفة، ولد (150هـــ-231هـــ) بسامراء. انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت681هـــ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** حققه د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1968م، 306/4-308.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، 317/13.

(5) الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**، مرجع سابق، 254/4

(6) هو الحسن بن محمد بنعلي بن محمد الدامغاني، ولد في دامغان وهي بلد بين الري ونيسابور سنة 398هـــ، وتوفي في نيسابور (478هـــ). انظر **الأعلام**، مرجع سابق، 276/6.

(7) الدامغاني، الحسين بن محمد بن علي بن محمد: **قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر**، مادة (فتن)، أعاد ترتيبه وخرج آياته وقدم له وفهرسه د. حسين أحمد علي الدراويش، ط1، مطبعة دار الأيتام، القدس، 1995، ص282-283.

(8) البقرة: آية (191).

(9) التوبة: آية (48).

الوجه الثالث: الفتنة بمعنى العذاب، قال تعالى: "§ΝèO ¨βÎ) š•/‘ žc ïÏ%©#Ï9 (#ρãy_$yδ .`ÏΒ Ï‰÷èt/ $tΒ (#θãΖÏFèù"ΝèO (#ρß‰yγ≈y_ (#ρçŽy9|¹ r& ¨βÎ) š•/‘ .`ÏΒ $yδÏ‰÷èt/ Ö‘θàÿtós9 ×ΛÏm§‘ "(1)، فتنوا: أي عُذِّبوا.

الوجه الرابع: الفتنة بمعنى الابتلاء والاختبار، قال تعالى: "&Λ!m$# =Å¡ymr& â¨$¨Ζ9$# βr& (#þθä.uŽøIム βr& (#þθä9θà)tƒ $¨ΨtΒ#u öΝèδuρ Ÿω tβθãΖtFø ãƒ"(2)، أي وهم لا يُبتلْوَن.

الوجه الخامس: الفتنة بمعنى الإحراق بالنار، قال تعالى: "¨βÎ) šÏ%©!$# (#θãΖtGsù šÏΖÏΒ÷σßϑø9$# ÏM≈uΖÏΒ÷σßϑø9$#uρ §ΝèO óΟs9 (#θç/θçGtƒ óΟßγn=sù Ü>#x‹tã zΟ¨Ψyγy_ öΝçλm;uρ Ü>#x‹tã È,ƒÌptø:$#"(3)، يعني أحرقوا المؤمنين والمؤمنات بالنار.

الوجه الســادس: الفتنة بمعنى القتل والأسر، قال تعالى: "&b ÷Λäøÿz öΝà6uΖÏFøtƒ šÏ%©!$# (#ÿρãxŸ2 "(4)، أي يقتلكم أو يأسركم الكفار.

الوجه السابع: الفتنة بمعنى الصدّ عن السبيل والرد، كما في قوله تعالى: "$#‹n‘÷n$#uρ βr& š‚θãΖÏFøtƒ .`tã ÇÙ÷èt/ !$tΒ tΑt“Ρr& ª!$# y7ø‹s9Î) "(5)، معناه يصدّونك ويردّونك.

الوجه الثامن: الفتنة بمعنى الضلال والإضلال، قال تعالى: "!$tΒ óΟçFΡr& Ïμø‹n=tã tÏΨÏF≈xÿÎ/ "(6)، يعنـــي مضلين.

الوجه التاسع: الفتنة بمعنى المعذرة، قـــال تعـــالى: "§ΝèO óΟs9 ä3s? öΝåκçJt⊥÷FÏù HωÎ) βr& (#θä9$s% «!$#uρ $uΖÎn/u‘ $tΒ $¨Ζä. tÏ.Îô³ãΒ "(7)، يعني معذرتهم.

---

(1) النحل: آية (110).

(2)العنكبوت: آية (2).

(3)البروج: آية 10.

(4) النساء: آية (101).

(5) المائدة: آية (49).

(6) الصافات: آية (162).

(7) الأنعام: آية (23).

الوجه العاشــر: الفتنـــة بمعنـــى الإعجــاب بالـــشيء، قـــال تعـــالى: "‘ $Z/ ŵ $Z£eB zZFü pj Qö)ö $@9$ îÛü úš"[1]، أي لا تسلط علينا فرعون وقومه فيقولون: لولا أننا أمثل منكم ما سلطنا علـــيكم، فيكون ذلك فتنة.

الوجه الحادي عشر: الفتنة بمعنى الجنون، قال تعالى: "ù ¡çÇ6 ŽÅ ãr7 ÇÅ Žrb ÈÎÇ Î'ƒ ãNä3$Ø J9ø6q ã"[2]، فالمفتون بمعنى المجنون.

وبعد استعراضنا لمعاني الابتلاء، والمحنة والفتة، يتبين لنا أن هذه الكلمات تلتقي في معنىً واحدٍ هو الاختبار والامتحان.

(1) يونس: آية(85).

(2) القلم: آية (5–6).

المبحث الثالث

سُنة التمحيص

قال الراغب: أصل المَحصِ: "تخليص الشيء مما فيه من عيب. يقال مَحّصْتُ الذهب إذا أزلـــت عنه ما يشوبه من خبث. قال تعـــالى: "šúïÍÏÿ»3$#$, sðƒr‹qãB#ä ûïÏ%©!$# ª!$# È,ÅsyJãŠÏ9ur"[(1)]، وقولـــه تعالى: "öNä3Î/qè=è% Îû $tB È,ÅsyJãŠÏ9ur"[(2)]، فالتمحيص ههنا كالتزكية والتطهير[(3)].

وفي لسان العرب[(4)]: المحِص: التخليص والتنقية والاختبار والابتلاء، ومنـــه محـــص الـــشيء يُمحصه محـــصاً أي يخلـــصّه ممـــا يـــشوبه. قـــال تعـــالى: "šúïÍÏÿ»3$#$, sðƒr‹qãB#ä ûïÏ%©!$# ª!$# È,ÅsyJãŠÏ9ur"[(5)]. أي يخلصهم من الذنوب. وقيل: التمحيص النّقص: يقال محص الله عنك ذنوبـــك أي أنقصها. فسمى الله ما أصاب المسلمين من بلاء تمحيصاً، لأنه ينقص به ذنوبهم، وســـماه الله من الكافرين محقاً.

وأما محق الكافرين بالشدائد فليس معناه فناءهم وهلاكهم، وإنما هو اليأس يسطو علـــيهم وفقـــد الرجاء يذهب بعزائمهم –لعدم الإيمان الذي يثّبت قلوب أصحابه في الشدائد– حتى يذهب ما كان قد بقي من نور الفضيلة في نفوسهم، فلا يبقى لهم شجاعة ولا بأس ولا شيء من عـــزة الـــنفس فيكون أحدهم كالهلال في المحاق لا نور له"[(6)].

يتبين مما سبق، أن التمحيص هو الشيء مما نسب فيه من عيب وإزالته عن ما يشوبه من خبث، ويأتي بمعنى التطهير والتزكية مما علق به من شوائب الكفر والنفاق والفسوق، ويـــأتي بمعنـــى الاختبار والابتلاء ليمحص المؤمنين ويختبرهم بما يقع عليهم من قتل أو ألم ويمحق الكافرين أي يستأصلهم.

---

(1) آل عمران: آية (141).
(2) آل عمران: آية (154).
(3) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص761.
(4) ابن منظور: **لسان العرب**، مرجع سابق، 90/7.
(5) آل عمران: آية (141).
(6) رضا، محمد رشيد: **تفسير المنار**، مرجع سابق، 152/4.

ومن النتائج المترتبة على سنة الإبتلاء: سنة التحميص: فالمؤمن من جهـــة يتعـــرض للمحنـــة، فيصقل معدنه من أثرها، وينضج بها كما ينضج الطعام بالنار، والمنـــافق مـــن جهـــة ثانيـــة لا يستطيع الصمود أمام الفتنة، فتخور قواه، وتنحل عراه، وينكص على عقبيـــه، ولهـــذا جعـــل الله تعالى التمحيص معبراً لتنقية الصف المؤمن من أدعياء الإيمان، فيقع به التمييز بين الدر الثمـــين والخرز الخسيس، كما في قوله تعـــالى: $B .%b$ ª! šÏ‹ 'ø$Ü§B÷sßJø$ ûüÏB 4?ã $B ®ßÏ ïøã n©Ü4 ƒ Ü•"$ø/ƒÏš] ÏB $`ÏÖ9$ é&kÏ "[(1)]، وقوله تعـــالى: "rÏŠö;FÏ$!$ ª $B 'Î ßß%rß ÷r 2àÑ rÏ Jø$ è& É B$ 'Î èqÎ ÏaÑ $! ª ãæŠÏ0 >$ #N "ÍÏ9$ Á%rß ÷"[(2)].

وعلى ضوء سنة التمحيص تتحقق سنة أخرى، وهي سنة التمكـــين، إذ يمكـــن الله عـــز وجـــل للمؤمنين في الأرض بعد أن يثبتوا جدارتهم واستحقاقهم للنصر بلجوئهم إليه وحـــده فـــي وقـــت المحنة، وتجردهم له وتطلعهم إليه في زمن الشدة، مستيقنين من نزول النصر بعد الأخذ بكافـــة الأسباب المأمور بها شرعاً من صبر وتقوى وإعداد[(3)].

وقد أدرك أهل العلم والبصيرة هذه الحقيقة، فعندما سئل الشافعي أيما أفضل للرجل أن يمكـــن أو يبتلى. قال: "لا يمكن حتى يبتلى"[(4)].

ومحصلة هذه السنن: أن بعضها يمسك برقاب بعض كحلقات السلسلة يشد بعضها بعـــضاً، فـــلا تمكين بلا تمحيص، ولا تمحيص بلا إبتلاء، إذ متى تحققت أوائلها تحققت أواخرها، إنها ســـنن ساطعة وحقائق ثابتة.

وجدير بالإشارة أن الحكمة من صرامة وثبات السنن الربانية، هو أن تنتضبط الموازين، وتـــستقر معايير الحكم على الأشياء والمواقف والأحداث والرجال، لكن من ناحية أخـــرى: لا ينبغـــي أن يغتر المؤمن بهذا الإطراد والاستمرار، لأنه قد يورث الغفلة، قال تعـــالى: "w ƒ/ ÿ¨Rž7 ?(•‹Ü$©%Ÿ ûïÏ .y ÿ$rãß Îû ‰Î=»n=Î9 ÇÊÒÉÈ BFB ¯ ÖŠÎ=s% OèO ÉQ1rù_ ZgM rÏ•ø/ § $¤/Î£gNœ "[(5)].

---

(1) آل عمران: آية 179.

(2) آل عمران: آية 154.

(3) امحزون، محمد: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**، ص39.

(4) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أبي بكر الحنبلي (ت751هـ): **الفوائد**، تحقق عصام الدين الصباطي، القاهرة، ط1، 2003. ص227.

(5) آل عمران: الآتيان 196-197.

فحين يشاهد المؤمن الكفار وهم يسعون في الأرض ويمكنون اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وتفيض عليهم كنوز الأرض وخيراتها، فيعلم أن ذلك يندرج ضمن تمكين الاستدراج، فمن سنن الله الجارية أن يملي للكفار قبل أن يهلكهم، قال تعالى: "ΦÊpJÏ$ß št Ér $l; &Møß p/ö `Ï ûÉŸ2 r

{ & $kÉõ Ĵr $¥J$ ÇÅ ž"[1].

كما ينبغي الا يغتر المؤمن بديمومة وامتداد النعم، فدوامها ينسي –عادة– أنها قد تزول في الدنيا بسبب من الأسباب، أو تضمحل وتذهب بموت الإنسان، ولذلك نبه القرآن الكريم إلى الاعتبار بفنائها وزوالها، قال تعالى: "ùä•M# bĵ BGèY» ÓO ÅŽüû ÈÎ ÇΦÊ `!äd N B$.ç%q(ã#ãq %r c š ÈÎ Ç B$ &ô_Ó

ã#N B$.ç%q(ã#J-ãq c š "[2][3].

التحذير من فتنة الحياة:

لقد حذر الله تعالى المؤمنين من فتنة الحياة الدنيا فقال تعالى: "ĵR$ _ ëtY$ B$ ã?'$ #ö ĆÇ ƒÎ/ ¨$I;

ÿÏèY q e d Ó &ÿ Ñ ô ¡ |ß ãJ W ÈÐÇ rĵR$ 9 f »ëq b B$ æŽk$ ¹ |é<‰% #_ã-# ÈÑÇ"[4].

قال ابن كثير[5] في تفسير هذه الآية: "أخبر الله تعالى أنه جعل الدنيا داراً فانية مزينة بزينة زائلة، وأنه جعلها دار اختبار لا دار قرار عن أبي سعيد الخدري[6] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا

---

(1) الحج: آية 48.

(2) الشعراء: الآيات 205–207.

(3) امحزون: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة** الصحية، ص40.

(4)الكهف: آية 7– 8.

(5)هو عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن القرشي أبو الفداء الفتية الشافعي كان مؤرخ وفقيه ومفسر ومحدث له كتب كثيرة أشهرها **تفسير القرآن**، البداية والنهاية، ولد 701هـ. توفي في دمشق 774هـ. انظر: أبو الفلاح، عبد الحي بن عماد الحنبلي (ت1089هـ): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار المسيره، بيروت ط2، 1979م، 6/ 231.

(6)هو سعيد بن مالك بن سنان بن ثعلبه وهو ضدره ابن عوف بن الحارث بن الخزرج أبو سعيد الانصاري الخدري، كان من الحفاظ لحديث رسول الله وهو من المكثرين من الرواية عنه (ت74هـ). انظر: عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، قدم له محمد عبد المنعم البري، عبد الفتاح أبو سنة، جمعه طاهر نجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، 138/6.

الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[1]. ثم أخبر تعالى عـــن زوالهـــا وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعـــالى: "$R)r f 9 bqè=Ïè» $B $k÷æ ¹ |è‹%# _ã-ô# "[2].

أي وإنا لمصيّروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل ما عليه هالكاً"[3].

وقال الفضيل بن عياض[4] في قوله تعالى "لنبلوهم أيهم أحسن عملا" قال: أخلصه وأصوبه وقال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتـــى يكون خالصاً وصواباً. قال: والخالص إذا كان لله عزّ وجل، والصواب إذا كان على السُّنة، وقـــد دلّ هذا الذي قال الفضيل على قوله عز وجـــل: "Jù` .b% ÷ã_q(Ÿ)$ä ‘ĥïn¾ ü‹èJ@ ãK W ¹ |»s[$ ÿr ç 8Îö 8Ïè7$Šó ‘ĥïn¾y &n %#"[5][6].

شمولية السنن:

وإذا كانت السنن لا تحابي أحداً فإنها تشمل الأنبياء كذلك وبـــصورة أشـــد وأعظـــم، فأصـــحاب الرسالات –خاصة– وأتباعهم المؤمنين الداعين بدعوتهم هم أشد الناس تعرضاً للأذى والمحـــن والابتلاء في أموالهم وأنفسهم وأعراضهم وأبدانهم وأهليهم، فقد جرت ســـنة الله أن يكـــون لهـــم أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر، فعن سعد بن أبي وقاص رضـــي الله عنه[7] قال: "قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثـــل فالأمثـــل، يُبتلـــى

---

(1)رواه مسلم، **صحيح مسلم بشرح النووي** 58/17. كتاب الرقائق: باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الإشراف الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط3، 1996م.

(2) الكهف: آية 8.

(3) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966، 367/4.

(4)هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود الطالقاني الأصلي، الزاهد العابد الثقة الإمام المشهور، توفي بالكوفة سنة 187هـ، انظر: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت430هـ)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، 84/8.

(5) الكهف: آية (110).

(6)ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد الحنبلي البغدادي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت، ص10-11.

(7) وهو سعد بن أبي وقاص بن مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي أبو اسحاق الصحابي الأمير أول من رمى سهم في سبيل وأحد المبشرين بالجنة توفي بالعقيق سنة (55هـ) وقيل (58هـ)، انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 452/2-456.

الرجل حسب دينه فإن كان في دينه صلباً إشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة، ابتلى علـــى قـــدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"[1].

والمقصود بالأمثل فالأمثل: الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى رتبة ومنزلة في الدين والفضل. قال الراغب "الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفاضل والأقرب إلى الخير، وأماثل القوم كناية عـــن خيارهم"[2].

قال تعـــالى: " Åm& =$ $Z9$ ã̈ b&[3] (þqä.u'øIãƒb& (þqä9qà)tƒb& $YB#ä Nèdr ŸwbqãZtFøÿãƒ 9r ÇÈ ûïÏ%©!ZFù ô‰s)9r `ŽÎ6 Ng̈ÎÎ=ö ùü J=è‹=ù $£ !$ª%©!$ Ïú š¹ |‰%q(è r9‹è=J $£$!$#3 É»Îûü ÇÈ"[4].

قال الأستاذ المراغي[5] في تفسير هذه الآية: يقول تعالى: "أيها الناس لا تظنوا أني خلقتكم ســدى بل خلقتكم لترقوا إلى عالم أعظم من عالمكم وأرقى منه في كل شؤونه، ولا يتم ذلك إلا بتكليفكم بعلم وعمل، واختباركم من آن إلى آخر بانزال النـــوازل والمـــصائب فـــي الأنفـــس والأمـــوال والثمرات والتخلي عن بعض الشهوات، وفعل التكاليف من الزكاة والحـــج والـــصيام ونحوهـــا، فحياتكم حياة جهاد وشدة، شئتم أم أبيتم، وبمقدار ما تصبرون علـــى هـــذا الاختبـــار وتفـــوزون بالنجاح فيه يكون مقدار الجزاء والثواب، وتلك سنة الله فيكم وفي الأمم الماضـــية مـــن قـــبلكم، وتاريخ الأديان مليء باخبار هذا البلاء وما لقيه المؤمنون من المكذبين بالرسل"[6].

---

(1) أخرجه الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن (ت297هـــ): **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر على البلاء، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مصطفى البابي الحلبي، حديث رقم (2396) مصر، ط1، 1962م، 601/4. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. أخرجه ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة (ت273هـــ): **صحيح بن ماجة**، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الفتن: باب الصبر على البلاء، حديث رقم (4023)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986م، 371/2. قال الألباني حديث حسن صحيح.

(2) الراغب، الأصفهاني: **مفردات ألفاظ القرآن**، مرجع سابق، ص463.

(3) استفهام استنكاري، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباه المؤمنين بحسب ما عندهم من إيمان، كما جاء في الحديث الشريف. انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن**، 307/5.

(4) العنكبوت: آية 2-3.

(5) هو أحمد مصطفى المراغي عالم من الأزهر، مفسر مصري من العلماء تخرج بدار العلوم، القاهرة، 1909م، عمل مدرساً للشريعة واللغة العربية بالقاهرة والخرطوم (ت1952م) بالقاهرة. انظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، مرجع سابق، 258/1.

(6) المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، ط3، 1974م، 112/2.

وقال الأستاذ سيد قطب معلقاً على هذه الآية: "إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هــو حقيقــة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمــال، فــلا يكفــي أن يقول الناس: آمنا، وهم يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منهــا صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصــر الرخيــصة العالقة به، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب.

وهذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت وسنة جارية في ميزان الله سبحانه " ‎9r)‎ ô ZF$$@%ïû B` %ô‎‎#ûN ‎ü>è=J £$!ª$@%ï ús ¹ %@q) r9>è=J £$@%3»É ûüÎÈìÇ"[1]، وهو يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكــن الابتلاء يكشف في عالم الواقع، ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر فيحاسب النــاس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم وهو فضل الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعلــه، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه! [2].

قال الإمام الحسن البصري[3]: "ليس الإيمان بالتَّحليِّ ولا بالتَّمنِّي، ولكنه ما وقــر فــي الــصّدر وصدّقته الأعمال"[4]. والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان ما وقّر في القلب وصــدّقه العمل وخشعت له الجوارح، وهو قول وعمل ونية[5].

قال ابن تيمية[1]: "ليس الإيمان بالتَّمني –يعني بالكلام– وقوله: التّحلي: يعني أن يــصير حليــة ظاهرة له، فيظهره من غير حقيقة من قلبه، ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحليــة

---

(1) العنكبوت: آية 3.

(2) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط15، 1988، 3720/5.

(3) هو سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري زاهد فاضل كان من أفصح الناس وأجملهم، اشتهر بالعلم والعبادة، (ت110هــ)، وهو ابن 88 سنة. انظر: العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر (ت852هــ): تهذيب التهذيب، دار الفكر، ط1، 1984، 231/2–236.

(4) ابن رجب الحنبلي: **جامع العلوم والحكم**. زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبي أحمد البغدادي: شرح خمسين حديثاً من جوامع الحكم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص25.

(5) أبو العز: الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (732هــ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وقدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1997، 473/2.

ابن تيمية: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الخضر النمري الحّراني (661هــ–728هــ): **مجموعة فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وبمساعدة ابنه محمد، د.ط، د.ت، 294/7.

الظاهرة، ولكن ما وقر في القلب وصدّقته الأعمال، فالعمل يصدّق أن في القلب إيماناً وإذا لم يكن عمل، كذب أن في قلبه إيماناً، لأن ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر، وانتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم"[2].

(1) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر الحّراني الدمشقي الحنبلي أبو العباس تقي الدين ابن تيمية، ولد في حران، 661هـ، وتوفي معتقلاً في قلعة دمشق (728هـ)، الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، مرجع سابق، 144/1.

(2) ابن تيمية: **مجموعة فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، مرجع سابق، 294/7.

الفصل الثاني

مظاهر الإبتلاء

يشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: الإبتلاء في المال

المبحث الثاني: الإبتلاء في الجسد

المبحث الثالث: الإبتلاء في الولد

المبحث الرابع: الإبتلاء في الزوجة

تمهيد

للابتلاء صور ومظاهر متعددة، أرشد الإسلام إلى التحلي بالصبر على البلاء، ووجه المــؤمنين إلى الرضى بقضاء الله وقدره، ووعد الإسلام الصابرين بالأجر العظــيم والثــواب الجزيــل إذا صبروا ابتغاء مرضاته عز وجــل يقــول تعــالى: "r9ӕqRāN Î ´ óã B`$øq Å $ø Ïa Æq Ær ÞRr ÈÈ B`
bqãÅ ° ïnø) $RÎr ! $RÎ) (þqä$% p7ŠÅB NgF;»|¹ & #Ï) ûïÎ%©!$ÇÎÈ šú ïÎÉ9$Á9$ ÌÏe0r ÏN°•J9$# Å$ àRF{$#r ÉAºqøBF{$
ÇÎÈ bre‰GôgßJø9$# Nèd š• Í»9rér pJôm‘r óÎgÎn/‘ `B ÔNºuqn=¹ óOÎgøn=æ 7Í»9rér ÇÎÎÈ"[1]. فدلّ هذا النص الكــريم على أن المصائب المؤلمة في الأنفس أو الأموال أو الثمرات قد تكــون نوعــاً مــن الامتحــان للمؤمنين.

ولما وهب الله تعالى الإنسان الإرادة الحرة في هذه الحياة، وضعه موضــع الامتحــان ليختــار بإرادته الخلود في النعيم عن طريق الطاعة، واقتضى ذلك أن يقلبه على ألوان وصور وأنــواع شتى مما يحُبّ ومما يكره ليشكر فيما يحب فلا يطغى ولا يكفر، ويصبر فيما يكره فلا يــضجر ولا يكفر، وما يكره لا بدَّ أن يكون مؤلماً، وهذا المؤلم يراه الإنسان مصيبة ويراه شراً، لكنّه في الواقع لونٌ من ألوان الامتحان لا بدّ منه[2].

الحكمة من تلون الابتلاء:

إنَّ من بديع حكمة الله –سبحانه– وعظيم شأنه وسعة علمه بخلقــه أن جعــل الابــتلاء متعــدد المظاهر والألوان، مختلف الأساليب والأشكال، فمنه الشديد، ومنه دون ذلك بدرجات متفاوتــة، ومنه ما يتعلق بالأموال، ومنه ما يتعلق بالأولاد، ومنه ما يتعلق بالجــسد، ومنــه مــا يتعلــق بالزوجة، ومنه ما يتعلق بالأفراد، ومنه ما يتعلق بالأمم...

---

(1) البقرة: الآيتان (155–157).

(2) انظر: الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة: **العقيدة الإسلامية وأسُسُها**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط8، 1997م، ص681.

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأصناف والألوان من الابتلاءات وذكر لذلك نماذج مختلفـــة: قـــال تعالى "﴿ ç‎Œç ‎ç c ÎÞ ®qBÞ ‎9 6‎àÒ r R& ‎ÞÅ 6‎àÒ r 9F ójJ‎ã Æ Ë` $©%ÎŸ ƒ `èr ê‎q$#Ä$ G»= | Ë` %ÎÎ 6‎àÒ r Ë` $©%Îï úš
&Ÿõä‎þq #Ÿ& " .ÿ‎Ÿ#‎ " (1)".

قال ابن كثير: وقوله تعالى: "﴿ ç‎Œç ‎ç c ÎÞ ®qBÞ ‎9 6‎àÒ r R& ‎ÞÅ 6‎àÒ" كقوله تعالى: "r9 ‎Ÿ‎Ÿq‎R Nà Î ´ ‎ô‎‎ ‎Ë` ...
$‎ø‎ï‎ Å$ #$‎ Î‎ä ‎ƒ‎r Æ> Ë` $‎ ‎q‎Â‎É $‎ ‎§ ¨ ‎9$J‎•‎ Î N r‎‎ ‎‎$ ‎9 ‎Á‎ Î ‎ú š Ë‎‎‎Ç $‎©%Îï û ‎‎‎) ‎ & ¹ ‎‎ ‎‎‎N B ‎Å ‎ Š‎7‎þ
‎$‎ ‎‎‎) ‎R$ +‎ r ‎R$ ‎ ‎‎ ‎Å ãq‎b "(2)" أي لا بد أن يبتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولـــده أو أهله، ويبتلى المؤمن على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء، وإن كان في دينـــه رقّة، ابتلي حسب دينه(3).

عن أبي هريرة(4) رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مـــا يـــزال الـــبلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة"(5).وعن سعد بـــن أبـــي وقاص رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أيّ الناس أشد بـــلاءً قـــال: "أشـــد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمـــشي علـــى الأرض وما عليه خطيئة"(6).

---

(1) آل عمران: آية (186).

(2) البقرة: الأيتان (155-156).

(3) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، 435/1.

(4) هو عبد الرحمن بن عامر بن عبد شمس بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب بن منبه بن سعد بن غنم بن صخر الروسي. كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن، اشتهر بكنية أبي هريرة، من أحفظ الصحابة وألزمهم صحبة للرسول عليه السلام، كان من أحفظ رواة الحديث (ت57هـــ) عن 77 سنة. انظر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 425/7-444. باب الكنى، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـــ) حقق أصوله وضبط أعلامه ووضع فهارسه علي محمد البيجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

(5) **صحيح الترمذي**: كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (2399) وقال: هذا حديث حسن صحيح. مرجع سابق، 602/4.

(6) سبق تخريجه. ص34.

ولعل الحكمة من تلون الابتلاء:

1. اختلاف القدرات والطاقات والاستعدادات التي وهبها الله –سبحانه وتعالى– لعباده وإنما يبتلى كل امرئ وفق ما أوتي من قدرة واستعداد، كما قال تعالى: "$B 'Î Näqè=ö7uŠÏj9 ’Îû !$tB öΝä38?#uä"[1].

2. تحقيق الأهداف والحكم والغايات من الابتلاء، فحتى تتحقق الحكمة والغاية من الابتلاء، لا بدّ أن تتم جوانبه، وتتنوع أساليبه، وتتلون أشكاله، وتتعدد مظاهره، فلا يمكن للجزاء أن يتم، ولا للتمييز أن يقع، ولا للعلم بحقيقة المبتلى أن تظهر إلا بعد تلون الامتحان وتكرره. وكثير من الناس يصبر على محنة الولد ولا يصبر على محنة المال، وبالجملة: فإن تلون هذا الابتلاء يكشف الناس على حقيقتهم ويعرّف بقيمتهم، ويحصل التميز، وتتحقق الحكمة والغاية من الابتلاء على أتم وجه[2].

3. مراعاة ما فطرت عليه النفس الإنسانية التي تحب الانتقال من حال إلى حال، وتسأم البقاء على حالة واحدة، حتى لو كانت تلك الحالة النعيم المقيم، ففي تغير الأحوال واختلاف ظروف الامتحان مراعاة لهذه الفطرة، ولو بقيت حالة الضراء عليهم لأصابهم اليأس والقنوط[3].

---

(1) الانعام: آية (165).

(2) البوطي، محمد سعيد رمضان: **الإنسان وعدالة الله في الأرض**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5، 1983م، ص72-74.

(3) دوفش، محمد يوسف أحمد: **الابتلاء في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منشورة، الأردن، عمان، الجامعة الأردنية، 1988م، ص158.

المبحث الأول

الإبتلاء في المال

المال مال الله والإنسان مستخلف فيه:

لقد خلق الله الكون على أجمل نظام، وأبدع تكوينه، وخلق الأرض جزءاً من هذا الكون الفسيح، وأودع فيها الكنوز والخيرات، وملأها بالنبات والثمر، والحيوان والمخلوقات وهيأها بمقومات الحياة، وقدر فيها أقواتها، وخلق الإنسان ليَعْمُرَها بالخير، ويستخرج ما فيها من الكنوز، ويكشف ما فيها من أسرار، وجعلها مسخرة له ليتمكن من عمرانها، والحياة فيها على أفضل وجه، والله عز وجل هو المالك لها والمتصرف وحده فيها، قال تعالى: [illegible] [illegible]"[1][2]، وقال تعالى: "[illegible]"[3].

يتضح من هذا أنّ الله هو مالك الكون وبيده مقادير السموات والأرض وأن الأرض وما فيها ومن فيها مُلك لله تعالى، والمال الذي بين يديّ الإنسان هو ملك لله سبحانه، والإنسان أمين عليه ومستخلف فيه، يتصرف فيه بحسب ما وهبه الله من قدرة وما آتاه من علم. قال تعالى: "[illegible]"[4].

---

(1) إبراهيم: الأيتان (32-33).

(2)الخطيب، عبد الكريم: **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1967، 7/185-186.

(3) الملك: آية (15).

(4) النور: آية (33).

فأضاف الله المال إلى نفسه، ثم أشار في آية أخرى إلى أنَّ الإنسان خليفة على هذا المال، مكنه الله من التصرف فيه، والقيام بأمره، والإنفاق لصالح البشر، فهو نائب في التصرف في هذا المال لا مالك له[1]، قال تعالى: "ïnŠÏù ûüÿ=ÏGó B /ä3n=yè_ $£JÏB #qà)ÏÿRr&r" [2].

قال الرازي[3] في تفسيره: في الآية وجهان[4]:

الأول: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وانشائه لها، ثم إنه تعالى جعلها تحت يد المكلف، وتحت تصرفه لينتفع بها على وفق إذن الشرع.

الثاني: أنه جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم لأجل أنه نقل أموالهم إليكم على سبيل الإرث، فاعتبروا بحالهم، فإنها كما انتقلت منهم إليكم فستنتقل منكم إلى غيركم فلا تبخلوا بها".

المال عصب الحياة ووسيلة الإنسان لمرضاة الله:

المال عصب الحياة، ووسيلة الإنسان إلى مرضاة الله، وهو احدى الضرورات الخمس المتفرعة عن مقاصد الشريعة الكبرى، والمال من نعم الله تعالى على خلقه في الحياة الدنيا وهو طريق المسلم إلى الاستمتاع بمنفعة الدنيا وزينتها، قال تعالى: "ãA$J9$# tbqãZt6ø9$#ur èpuZƒÎ— Ío4quŠysø9$# $u‹R‘‰9$# àM»uŠÉ)»t7ø9$#ur àM»ysÎ=»¢Á9$# îŽöyz y‰YÏã y7În/u‘ $\/#uqrO îŽöyzur WxBr&" [5].

---

(1) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي (ت685هـ)، ناصر الدين البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص715.

(2) الحديد: آية (7)

(3) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد الملقب فخر الدين، ولد بالري سنة 544هـ، وتوفي بمدينة هراة سنة 606هـ، انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، 4/248–252.

(4) الرزاي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1990. 29/188.

(5) الكهف: آية (46).

وهذا ردّ على المشركين الذين كانوا يفتخرون على فقراء المسلمين بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أنّ ذلك مما يُتزين به في الدنيا لا مما ينتفع به في الآخرة [1]. جاء في محاسن التأويل: أنّ الله تعالى جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا، وذلك لإعانتهما فيها ووجود الشرف بهما، ثم أشار إلى أنهما ليسا من أسباب الشرف الأخروي إذ لا يحتاج فيها إليهما[2]. وأشار القاسمي إلى لطيفتين في الآية: الأولى: تقديم المال على البنين لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد، ولكون الحاجة إليه أمس. الثانية: إفراد الزينة مع أنها مسندة إلى الإثنين لما أنها مصدر في الأصل كأنها نفس الزينة[3].

يقول سيد قطب معلقاً على هذه الآية "المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والإسلام لا ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات، ولكنه يعطيها القيمة التي تستحقها الزينة في ميزان الخلود ولا يزيد، إنها زينة ولكنها ليست قيمة، فما يجوز أن يوزن بها الناس ولا أن يقدّروا على أساسها في الحياة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال والأقوال والعبادات، وإذا كان أمل الناس عادة يتعلق بالأموال والبنين فإن الباقيات الصالحات خير ثواباً وخير أملاً، عندما تتعلق بها القلوب، ويناط بها الرجاء، ويرتقب المؤمنون نتاجها وثمارها يوم الجزاء"[4].

فتنة الابتلاء بالمال:

تشير كثير من الآيات القرآنية إلى أن المال قد يكون فتنة ومشغلة وملهاة للنفوس البشرية ومن هذه الآيات: قوله تعالى: " Òšàã íô̱ & ÿç‰Yã ª! $ pZGü ö㍻9r&r Nã3ä9qB& $JRÎ"[5]، قال أبو السعود[6]:

---

(1) الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، 109/5.

(2) انظر: المرجع السابق. 50/11-51.

(3) القاسمي، محمد جمال الدين (ت1914م): **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1978، 50/11-51.

(4) قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق،القاهرة، ط15، 1988م، 2272/4.

(5) التغابن: آية (15).

(6) هو محمد بن محمد العمادي من علماء الترك، مفسر وشاعر كان يميل إلى الرئاسة (ت951هـ) ومدفون إلى جانب أبي أيوب الانصاري. انظر: **الأعلام**، 59/7، مرجع سابق.

"أي بلاءٌ ومحنةٌ يوقعانكم في الإثم من حيث لا تحتسبون "والله عنده أجر عظيم" لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته، على محبة الأموال والأولاد والسعي في تدبير مصالحهم"[1].

وقال الزمخشري[2]: "جعل الله الأموال والأولاد فتنة، لأنهما سبب الوقوع في الفتنة وهي: الإثم أو العذاب أو محنة من الله؛ ليبلوكم كيف تحافظون فيهما على حدوده، فعليكم أن تنوطوا بطلبه ولما تؤدي إليه هممكم، وتزهدوا في الدنيا، ولا تحرصوا على جمع المال، وحب الولد، حتى تورّطوا أنفسكم من أجلهما"[3].

ابتلاء الناس بالتفاوت فيما بينهم:

ومما يمتحن الله به عباده، وجرت به سنته؛ تفاوتهم واختلافهم في المواهب والأرزاق، ليظهر مدى قيامهم بما يلزمهم شرعاً من فعل أو ترك نحو أنفسهم وغيرهم بناء على الحالة التي هم عليها وامتازوا بها عن غيرهم، واختصوا بها من دونهم كالعلم والجاه والمال والمكانة الاجتماعية والسلطان، وكذلك بناء على فقرهم وضعفهم قال تعالى: "#í»z Ŋà6 ÷è_ "ï%$qèr

Çqé9 ¼ßÎr È$)ëèß/Î 7/‘ bÎ) ÷Ä8?#ä $B ’Î Nä.uqè=ö7uŠÏj9 M»_‘Š ÇÙ èt/ -qù Nä.Ò èt/ ìù‘r CÚöF{$

§Oiî‌7"[4]. والمعنى أنّ الله تعالى هو الذي جعلكم -أيها المسلمون- خلفاً للأمم الماضية، والقرون السابقة (ورفع بعضكم فوق بعض) أي فاوت وخالف بينكم في الخلق والرزق والقوة والفضل والعلم والأخلاق والمحاسن والمساوئ والمناظر والأشكال والألوان وله الحكمة في ذلك[5].

---

(1) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، 258/6.

(2) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (467-538هـ)، إمام المعتزلة، ولد في خوارزم وتوفي بجرجانية خوارزم 538هـ. انظر: **الأعلام**، 178/7. مرجع سابق.

(3) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 207/2-208 رتبه وطبعه وصححه، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م.

(4) الأنعام: آية (165).

(5) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، 470/2. الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت310هـ): **جامع البيان في تأويل القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1996، 422/5. الرازي: **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، 12/7، مراجع سابقة.

وقد جرت سنته تعالى في هذا التفاوت ورفع بعضكم فوق بعض في هذا التفاوت "ليبلوكم فيما آتاكم" أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم، وامتحنكم به؛ ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره، والفقير في فقره ويسأله عن صبره، وليختبر ذا الجاه والسلطان في أي شيء استعمل جاهه وسلطانه "إن ربك سريع الحساب" لمن كفر نعمته وعصاه فيها "وإنه لغفور رحيم" لمن قام بشكر نعمته وأطاعه فيها[1].

"وهو الذي جعلكم خلائف الأرض" ما الحكمة؟ لماذا أعطى فلاناً ومنع فلاناً؟ ونزع من فلان؟ لماذا رفع فلاناً؟ وخفض فلاناً؟ الجواب: "ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" يمتحنك بالغنى وبالفقر، وبالصحة والمرض، وبالقوة والضعف، فإذا كان العبد متمرداً فما الجواب؟ "إن ربك سريع العقاب" وإذا كان طائعاً فما الجواب؟ "3' ‰Fd$$ê$[s î ¹ ÿÏlår `B#är >$? ` Jÿ Öÿó9 'ôr"[2]، إذاً جعلكم خلائف الأرض، ووزع الحظوظ توزيع ابتلاء، وسوف توزع في الآخرة توزيع جزاء، إذاً هو مالك الملك: إمّا أن يملكّك ملك الآخرة، أو ملك الدنيا، أو ملك الآخرة والدنيا معاً [3].

ويضاف إلى ذلك ما في التفاوت بين الناس من ابتلاء بعضهم ببعض، فتبتلى –مثلاً– إرادة الغني في الإحسان والتواضع أمام فقر الفقير، وتبتلى إرادة الفقير في الرضا والقناعة ومجانبة الحسد أمام غنى الغني، وهكذا يبتلى الصحيح بالسقيم، والسقيم بالصحيح، ويبتلى القوي بالضعيف، والضعيف بالقوي، وربما كان الابتلاء بالضراء بالنسبة إلى بعض الناس أصلح من الابتلاء بالسراء، لأن استعدادهم للصبر على المصيبة أكبر من استعدادهم للصبر على ضبط

---

(1) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت 538هـ): **الكشاف عن حقائق عوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، 81/2، رتبه وطبعه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995م. ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 142/3. القرطبي: **تفسير الجامع**، 103/7، مرجع سابق. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت1250هـ)، 186/2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1964، ط3، 1973. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين القاسمي، 812/4-813. مرجع سابق.

(2) طه: آية (82).

(3) النابلسي، محمد راتب: **موسوعة أسماء الله الحسنى**، 22/1، دار المكتبي، سورية، دمشق، حلبوني، جادة ابن سينا، ط3، 2004م.

النفس عن التمادي في البغي والإثم، إذا هم انغمسوا في زينة الحياة الــدنيا، واغتــروا بحــلاوة إقبالها، ونجد الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: "bqãÅ_ëý ötã NßgÎ=yè9 ÏN$«hÍh¡9$$ur ÏM»uZ|¡ptø:$$Î/ Nßg»tRöqn=t/ur"[1][2].

قال الطبري[3] في تفسير هذه الآية الكريمة: "واختبرناهم بالرفاه في العيش، والخفض في الــدنيا، والدعة والسعة في الرزق، وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه، ويعني بالــسيئات الــشدة فــي العيش والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال"[4].

وجاء في تفسير المنار: أي امتحنّاهم وبلونا سرائرهم واستعدادهم بالنعم التي تُحــسّ، وتقّربهــا الأعين، وبالنقم التي تسيء بصاحبها، وربما حسنت بالصبر والإنابة عواقبها، رجاء أن يرجعــوا عن ذنبهم، وينيبوا إلى ربهم فيعود برحمته وفضله عليهم[5].

وفي زاد المسير: أي اختبرناهم "بالحسنات" وهي الخير، والخصب، والعافية "والــسيئات" وهــي الجدب، والشر والشدائد؛ فالحسنات والسيئات تحث على الطاعة، أمّا النعم فلطلب الإزدياد منها، وخوف زوالها، والنقم فلكشفها، والسلامة منها "لعلهم يرجعون" أي: لكي يتوبوا[6].

ونعم الله على العباد كثيرة لا تعد ولا تحصى، قال تعــالى: "bÎ)ur (#r‘‰ãès? |MyJ÷èÏR «!$# Ÿw !$ydqÝÁøtéB 3 žcÎ) z`»|¡SM}$# ×Pqè=sàs9 Ö‘$¤ÿx."[7].

---

(1) الأعراف: آية (168.

(2) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 93/8.

(3) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر البغدادي من أهل طبرستان اشتهر بالتفسير والتاريخ (224هـ–310هـ). انظر ترجمته: **سير أعلام النبلاء**، 267/14. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 0ت748هـ)، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء أكرم البوشي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1990.

(4) الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان في تأويل القرآن**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1999، 104/6.

(5) رضا، محمد رشيد: **تفسير المنار**، مرجع سابق، 322/9.

(6) الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، 214/3.

(7) إبراهيم: آية (34).

قال ابن القيّم[1] النعم ثلاثة: "نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبد؛ عرَّفه نعمته الحاضرة أو أعطاه من شكره قيداً يقيدها به حتى لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية، وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يـــستجلب بـــه النعمـــة المنتظرة وبصَّره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ودفعه لاجتنابها، وإذا بها قد وافـــت إليـــه على أتم الوجود، وعرَّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها"[2].

تتابع نعم الله على العصاة استدراج لهم:

كثيراً ما نرى في هذه الدنيا من أهل المعاصي ممن تتابع عليهم النعم، ويظنون بـــأن الله تعـــالى راضٍ عنهم، ولكن في الحقيقة أن هذا هو استدراج لهم حتى إذا أخذهم لا يفلتهم، فعن عقبة بـــن عامر رضي الله عنه[3]، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت الله عـــز وجـــل يعطـــي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج "ثم تلا قوله تعالى: "ù=$£J=sù (#qÝ¡nS $tB (#rãÅe2èŒ
¾ÏmÎ/ $uZóstGsù óOÎgøŠn=tæ z>ºuqö/r& Èe@ä. >äóÓx« #Ó¨Lym #sŒÎ) (#qãmÌsù !$yJÎ/ (#þqè?ré& Nßg»tRõ‹s{r& ZptFøót/ #sŒÎ*sù Nèd tbqÝ¡Î=ö6•B"[4][5][6].

قال ابن القيم: "إذا رأيت الله يتابع عليك نعمهُ وأنت مقيمٌ على معاصـــيه فاحـــذره، فإنمـــا هـــو استدراج منه يستدرجك به. وقد رد الله سبحانه على من يظن هذا الظن بقولـــه: "ù'B$$sMÿR¡ |»ß Î)#

(1) هو شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية (ت751هـــ). انظر: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، مرجع سابق، مج6/168-170.

(2) ابن قيم الجوزية، شمس الدين بن محمد: **الفوائد**، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2003م، ص209.

(3) هو عقبةبن عامر بن عبس بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن قيس الجهني يكنى أبا حماد (ت58هـــ). انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 4/51-52.

(4) الأنعام: آية (44).

(5) أخرجه أحمد في مسنده، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار الفكر، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، د.ت، 4/145.

(6) يقال: أبلس إذا يئس ومن ذلك اشتق اسم إبليس كأنه يئس من رحمة الله، وفي هذا الباب: أبلس الرجل سكت ومنه أبلست الناقة وهي مبلاس إذا لم ترغ من شدة الضبعة. وأبلس فلان، فهو مبلس إذا سكت من يأس. انظر: **معجم مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـــ) تحقيق وضبط عبد السلام هارون،دار الفكر، 1979م، طبع المجمع العلمي العربي الإسلامي، 1/300. وانظر: **أساس البلاغة**، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـــ): حققه وقدم له ووضع حواشيه مزيد نعيم، شوقي المعرّي، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1998م، ص51.

þÎn ÆAqä)Šù ¼çm%æ÷ ïnøã ‘‰)ù ç9=Gø$$B #Œ) $B&r ÇÎÈ ÇB•ø& ú†Î n ÆAqä)Šù ¼çJèRr ¼çB•ø'ù ¼çš‘ ç9=Gø$$B

Ç⅟»d&"[1]، أي ليس كل من نَعَّمْتهُ ووسعت عليه رزقه أكون قد أكرمتـــه، ولا كـــل مـــن ابتليتـــه وضيقت عليه رزقه أكون قد أهنته، بل ابتلي هذا بالنعم، وأكرم هذا بالابتلاء.

فَرُبَّ مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، وَرَبَّ مغرور بستر الله عليـــه وهـــو لا يعلـــم، وَرُبَّ مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم[2].

فالكريم من أكرمته بطاعتي غنياً كان أو فقيراً، والمهان من أهنتـــه بمعـــصيتي غنيـــاً كـــان أو فقيراً[3].

فليس عطائي إكراماً، ولا منعي حرماناً، إن عطائي ابتلاء، وحرماني دواء، فلا بـــدّ أن تعلمـــوا علم اليقين أن الفقير المؤمن أفضل عند الله ألف مرة من الغني العاصي... لأن الـــدنيا عَـــرَض حاضر يأكل منه البّر والفاجر، وأن من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى، فإذا أفقرتـــه أفـــسدت عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلح له إلا الفقر، فإذا أغنيته أفسدت عليه دينه.

"فالله هو المانع يدفع أسباب الهلاك والنقص في الدين والدنيا، وذلك بخلق الأسباب التـــي تحفـــظ من الهلاك والنقصان فهو يمنع الهلاك بأسباب النجاة من الهلاك، ويمنع النقصان بأسباب النجـــاة من النقصان، فالمنع بأسباب... الله عز وجل يخلق بعض الممكنـــات، ويمنـــع وجـــود بعـــض الممّكنات، يعطي الله لشخص مؤهلات ليتفوق، وقد لا يعطيها لآخر، فيعطـــي لحكمـــة، ويمنـــع لحكمة.

---

(1) الفجر: آية (15-17).

(2) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت751هـ): **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، وضع حواشيه وخرج أحاديثه الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م. ص32-33. **والداء والدواء** لنفس المؤلف، خرج أحاديثه، خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة،ميدان الأزهر، ط1، 2002م، ص50-51.

(3) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): **احياء علوم الدين**، تحقيق الشحات الطّحان، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر، ط1، 1996م، 3/539-540.

ومرة أخرى: يعطي كل شيء ما هو في مصلحته، ويمنع ما هو فيه فساد لدينه فقد قال الله تعالى: "[illegible]"(1)(2)(3).

قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب"(4).

نماذج على الإبتلاء في المال:

وسأتحدث هنا عن نموذجين عن الإبتلاء في المال من القصص القرآني، الأول من قصة قارون، والثاني من قصة صاحب الجنتين.

الأول: قصة قارون:

قصة قارون من القصص المعبرة التي جاءت تعرض لسلوك المترفين، وتعرض لسلطان المال، وكيف ينتهي بالبوار والبطر والاستكبار على الخلق، وجحود نعمة الخالق.

وقارون كان من قوم موسى عليه السلام فبغى عليهم بثروته وعلمه، ولم يسمع نصح الناصحين بالإحسان والاعتدال والتواضع وعدم البغي والفساد، فلم يعصمه الثراء والدهاء من أخذ الله له أخذ عزيز مقتدر.

قال تعالى: "[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

---

(1) الشورى: آية (27).

(2) النابلسي: محمد راتب: **موسوعة اسماء الله الحسنى**، مرجع سابق، 1444/3-1445.

(3) النابلسي، محمد راتب: **موسوعة أسماء الله الحسنى**، مرجع سابق، 1440/3-1441.

(4) أخرجه أحمد في مسنده "**مسند الإمام أحمد بن حنبل**" مرجع سابق، عن ابن مسعود مرفوعاً، 387/1.

[illegible].[1]

يقول المراغي: "بعد أن ذكر الله سبحانه حديث أهل الضلالة وما يلقونه من الإهانة والاحتقار يوم القيامة ومناداتهم على رؤوس الأشهاد، بما يفضحهم ويبين لهم سوء عاقبتهم، أعقبه بقصة قارون، ليبين عاقبة أهل البغي والجبروت في الدنيا والآخرة، فقد أهلك قارون بالخسف، وزلزل به الأرض، فهوت من تحته، ثم أصبح مثلاً يُضرب للناس في ظلمة وعتوّ، ويستبان لهم به سوء عاقبة البغاة، وما يكون لهم من النكال والوبال في الدنيا والآخرة، فيندموا على ما فعلوا"[2].

والمراد في قوله: "[illegible]": أنه تجاوز الحد في الكبر والتجبر عليهم بسبب كثرة ماله [3].

وقال بعضُ المفسرين[4]: "فيه خمسة أقوال: الأول: أنه جعل لبغية من بغايا بني إسرائيل جُعلاً – نصيباً من المال– على أن تقذف موسى عليه السلام بنفسها ففعلت فاستحلفها موسى –عليه السلام– على ما قالت، فأخبرته بقصتها فكان هذا بغيه.

الثاني: أنه بغى بالكفر بالله تعالى.

الثالث: أنه طغى عليهم بالكبر واستطال عليهم بالظلم قيل ملكه فرعون على بني إسرائيل فظلمهم.

---

(1) القصص: الآيتان (76–82).

(2) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 94/20.

(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 100/10.

(4) الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، مرجع سابق، 117/6. الرازي: **التفسير الكبير** أو مفاتيح الغيب، مرجع سابق، 13/13.

الرابع: طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده.

الخامس: أنه زاد في طول ثيابه شبراً.

وقوله تعالى: "ûüïmìÿ$#ﺀ=ïtã ẅ ©!$bÎ) ÿy•ø? ẅ ¼çmãöq% ¼çm9 A$% ŒÎ)".

أي لا تظهر الفرح والبطر بكثرة مالك، فإن ذلك يجعلك تتكالب على جمع حطام الدنيا، وتتلّهى عن شؤون الآخرة، وفعل ما يرضي ربك، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. [1]

"š• øŠÎ) ª!$# `|¡ômr& !$yJŸ2 `Å¡ômr&ur ($u‹R‰9$# šÆÏB y7t7ŠÅÁtR š[Y? ẅr (no•zFy$# u‘#¤$!$# ª!$# š•9?#ä !$yJ‹Ïù ÆtGö/$#ur

ẅr ÆÆö7s? yŠ$|¡xÿø9$# †Îû ÇÚö‘F{$# (¨bÎ)©!$# Ÿw =Ïtä tûïÏ‰Å¡øÿßJø9$#".

قال ابن كثير: "أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربــك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك فيها الثواب في الدنيا والآخرة، "ولا تنسَ نــصيبك من الدنيا" أي مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن "وأحسن كما أحــسن الله إليك" أي أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك"[2].

"ẅr ÆÆö7s? yŠ$|¡xÿø9$# †Îû ÇÚö‘F{$# (¨bÎ)©!$# Ÿw =Ïtä tûïÏ‰Å¡øÿßJø9$#". أي لا تبغ الفساد بالظلم والبغي[3].

"A$% !$yJ¯RÎ) ¼çmçFÏ?ré& 4’n?tã AOù=Ïæ ü“ÏYÏã"

قال الطبري: يقول تعالى جلّ ذكره "قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيــت هــذه الكنــوز على فضل علم عندي عَلِمَهُ الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهــذا المــال علــيكم لعِلمــه بفضلي عليكم"[4].

---

(1) الطبري: **تفسير جامع البيان**، مرجع سابق، 104/10. وانظر المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 93/20.
(2) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 298/5.
(3) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات (ت701هــ): **تفسير القرآن الجليل**، المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، المكتبة الأموية، بيروت، دمشق، مكتبة الغزالي، حماة، د.ط، د.ت. 70/4.
(4) الطبري: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 107/10.

قال ابن كثير: "أي أنا لا افتقر إلى ما تقولون فإن الله تعالى إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني استحقه ولمحبته لي، فتقديره إنما أُعطيته لعلم الله فيّ أني أهل له"[1]. وهذا قول من قل علمه إذا رأى من وسع الله عليه لولا أنه يستحق ذلك لما أعطي هذا.

قال ابن القّيم: "أي أنا أهل له وحقيق به، فاختصاصي به كاختصاص المال بملكه والمؤمن يرى ذلك ملكاً لربه، وفضلاً منه منّ به على عبده من غير استحقاق به"[2].

`ã @«ó çẄr $ï#d ŷò2 &r æ@ê çZË B ‰©& qè ôB Èrã)$šÆ Ë B ¾ïî7% `Ë 7=d& ‰% ©$žc &Ñ=è/ Ñ9r&"

"šc qã•ô f ßÞ$Þ ĝ ï qçÊ

قال ابن كثير: أي قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم من هو أشدّ من قارون قوة، وأكثر أموالاً وأولاداً، فلو كان ما قال صحيحاً لم نعاقب أحداً ممن كان أكثر مالاً منه، ولم يكن ماله دليلاً على محبتنا له، واعتنائنا به"[3].

¼çR̂ ãrã% št Îré$B @Ï#B $Y9 |M ø»/ $‹R%9$ oq4š s $Šc r%/•ìãšú ï%$A$% ¾ïF^/+ ’î ¾ïBq% 4?ã l•, ù"

"Ðšàã ám r%!

ذكر كثير من المفسرين[4] أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعّظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا أن لو كانوا مثله، وغبطوه بما عليه وله، فلما سمع مقالتهم العلماء الزّهاّد ذوو الفهم الصحيح قالوا لهم: "ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً" أي ثواب الله في الدار الآخرة خير وأبقى وأجل وأعلى قال الله تعالى: "šc rç É¢Á9$ ž w) $g9©)n=ãwr"[5]،

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 298/5.

(2) ابن القيم: **الفوائد**، مرجع سابق، ص246.

(3) ابن كثير: **قصص القرآن**، جمعه ورتبه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفاة، ميدان الأزهر، القاهرة، ط1، 2003، ص250.

(4) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**. 300/5. المراغي: **تفسير المراغي**، 97/20. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 209/13. الطبري: **جامع البيان**، 108/10. محمد بين يوسف الشهير بأبي حيان الأندلس الغرناطي (ت754هـ): **البحر المحيط**. دار الفكر، بيروت، ط2، 1978. 134/7. السيوطي، جلال الدين (911هـ): **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار المعرفة، بيروت، د. ت. د. ط، 160/4.

(5) القصص: آية 80.

أي وما يُلقىّ هذه النصيحة وهذه الهمة السامية إلى الدار الآخرة العلّية عند النظر إلى زهرة هذه الدنيا الدنية إلا من هدى الله قلبه وثبّت فؤاده وأيّد لبه وحقق مراده.

ويطغى قارون ويخرج على قومه في زينته مختالاً فخوراً، ويـــراه النـــاس، أمّـــا ذوو النفـــوس الضعيفة فيسيل لعابهم يتمنون أن يكون لهم شيء مما أعطيه قارون وأسعده!. أمّا الـــذين أوتـــوا العلم ولكن ليس العلم الذي ادعّاه قارون، وليس العلم الذي ينحـــرف بـــه صـــاحبه عـــن جـــادة الصواب، إنما العلم الذي يصقل النفوس، قال أولئك العلماء الذين يرفعهم الله درجات في الـــدنيا والآخرة، لأولئك الذين تمنوا أن يكون لهم مثل قارون ويلكم إن ما عند الله من ثواب خيـــر، وإن الذخيرة الباقية في الآخرة هي الإيمان والعمل الصالح، ولا يلقى هذه المثوبة إلا الصابرون[1].

"úƒ ¡ ÿøY$ Îïn¾ r Î‰# íhß$ ŖöÚ ".

وتأتي النهاية، نهاية كل ظالم، ويخسف الله بقارون وبداره الأرض، ولم يجد ما يمنعه من الله.

قال الطبري: وتأويل الكلام "وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس يقولون لما عاينوا ما أحل الله به نقمته: ألم تريا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء مـــن عبـــاده فيوســـع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامة عليه كما كان يبسط من ذلـــك لقـــارون لا لفـــضله ولا لكرامته عليه و(يقدر) يقول: ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتّر عليـــه، لا لهوانـــه ولا لسخطه عمله"[2].

وقال ابن كثير؛ "فلما خسف به أصبحوا يقولون ويكأن[3] الله يبسط الرزق لمن يشاء من عبـــاده ويقدر أي ليس المال بدال على رضا الله عن صاحبه، فإن الله يعطي ويمنع، ويـــضيّق ويوســـع

(1) عباس، فضل حسن: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**"، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1987م، ص417.

(2) الطبري: **تفسير القرآن**، مرجع سابق،114/10.

(3) ويكأن: اسم فعل مضارع معناه أتعجب، وكأن حرف مشبه بالفعل، ومعنى الكاف هنا التعليل لا التشبيه، (وي) منفصلة، معناها أعجب ثم ابتدأ فقال كأنه لا يفلح الكافرون وكأنه ها هنا لا يراد بها التشبيه بل القطع واليقين، كأنه أراد بذلك **الأعلام**، والمعنى أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم. انظر: **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، محيي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار اليمامة، دمشق، بيروت، ط4، 1994، 378/7.

وأحسن ما قيل: إن القوم تنبهوا أو نبهوا فقالوا: وَيْ، والمتندم من العرب يقول في حال تندمه: وي، انظر: **اعراب القرآن**، أحمد بن محمد بن اسماعيل بن النحاسّ (ت338هــ). وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار

ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة وأن الدنيا يعطيها الله لمن يحب ومن لا يحب ولكنَّ الإيمان لا يعطيه إلا لمن يحب(1).

وقال المراغي: أي فلما خسف الله بقارون الأرض أصبح قومه يقولون: إن كثرة المال والتمتع بزخارف الدنيا لا تدل على رضا الله عن صاحبه فالله يعطي ويمنع ويوسّع ويضيّق، ويرفع ويخفض وله الحكمة التامة، والحجة البالغة لا معقب لحكمه، لولا لطف الله بنا لخسف بنا كما خسف به"(2).

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى المال لقارون وهو لا يحبه، وأعطى فرعون الملك وهو لا يحبه، فالدنيا لا قيمة لها، والله تعالى هو الذي يمنع البلاء حفظاً وعناية ومنع العطاء عمن يشاء ابتلاءً أو حماية.

دروس وعبر من قصة قارون(3):

1. إنّ قصته قصة معادة، وموقف متكرر على مدى الدّهور، إنه موقف كل مُترف أمام الحق، والترف يقسّي القلوب، ويفقدها الحساسية، ويفسد الفطرة ويغشيها فلا ترى الحق ولا تستمع لصوته، وتصّر على الباطل، ولا تتفتّح للنور.
2. إنّ المترفين تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل، ويُغريّهم ما هم فيه من ثراء وقوة، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، أو أنهم في مكان أعلى من الحساب والجزاء.
3. إنّ الإنسان تخطئ موازينه وتضل تقديراته، ولا يرى إلا الظواهر مالم يتصل بميزان الله.

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 167/3. وفي التفسير قال الطبري: (وي) كلمة تعجب وتنبيه (كأن) ألم تر أنه أو لا يعلم أنه لا يلفح الكافرون. الطبري: **جامع البيان**، 113/10، مرجع سابق. وقال الزمخشري. (وي كأن) فأعلم أن (وي) مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبيه على الخطأ وتندم والمعنى: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم. الزمخشري: **تفسير الكشّاف**، 419/3. مرجع سابق.

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق،302/5.

(2) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق،101/20.

(3) انظر: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، أحمد فائز، 408/3-414، مرجع سابق.

4. قد يغدق الله الرزق على من هو عليه غاضب كما يغدقه على من هو عليه راضٍ، وقد يضيّق الله على أهل الشّر كما يضيقّ على أهل الخير، ولكن العلل والغايات لا تكون واحدة في جميع هذه الحالات، وقد يغدق الله على أهل الشر –استدراجاً لهم– ليزدادوا سوءاً وبطراً وإفساداً ويتضاعف رصيدهم من الإثم والجريمة، ثم يأخذهم في الدنيا أو في الآخرة وفق حكمته ومشيئته بهذا الرصيد الأثيم.

5. إنّ الترف يورث الكبر والعلو والإعراض عن الحق، ويغلق القلوب عن سماع النصّيحة والإرشاد ويطمس العقول دون التدبر ومن ثم يكون الهلاك والخسف والتدمير لهذه الجبلة التي لا تريد ان تفتح عينها لترى او تفتح قلبها لتحس او تفتح عقلها لتستبين، وهذا الصنف من الناس يعرضه القرآن الكريم لعلهم يتبينون عاقبة الطريق الذي يسلكون.

6. قص الله تعالى تلك القصة، حتى يعلم الناس أن أحداً لن يفلت من عذاب الله تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه: "[illegible]

[illegible]

[illegible] "[1]،

[illegible]

[illegible] "[2]، ولن تغني عنهم أموالهم ولا قوتهم من الله شيئاً.

7. وحتى يعلم كل ظالم أنه ليس له من الله ناصر: "[illegible] "[3]، "[illegible]

[illegible] "[4]، "[illegible]

[illegible] "[5] [6].

(1) القصص: آية 82.
(2) يوسف: آية 21.
(3) الطارق: آية 10.
(4) العنكبوت: آية 64.
(5) القصص: آية 83.
(6) الشعراوي: قصص الأنبياء، 2144/4.

مما سبق يتبين لنا نهاية كل ظالم مستكبر متعالٍ على الله، وعلى عباد الله، فـانظر كيـف كـان جزاؤه من جنس عمله، لما طغى واستكبر بماله وكنوزه، ذهبت به الأرض فيها، استكبار لئـيم، وبطر ذميم لمغرور مطموس، فهوى في باطن الأرض التي علا فيها واسـتطال فوقهـا جـزاءً وفاقاً، وذهب ضعيفاً عاجزاً، لا ينصره أحد ولا ينتصر بجاه أو مال، ليعلم أنه هو وأمثالـه مـن المجرمين أهون على الله حتى من أن يسألهم عن ذنوبهم، فليسوا هم الحكـم ولا الأشـهاد قـال تعالى: "ŸwŗçÉ @ ã ` ãqç7¡ ÍköDû$Î/ ôãÏ ãqç Ÿwr šc"[1].

الثاني: قصة صاحب الجنتين:

تضرب قصة الرجلين والجنتين مثلاً للقيم الزائلة، والقيم الباقية، وهي القصة الأكثر وقوعاً فـي الحياة اليومية العادية، وتتمثل في كل مكان وزمان وحين، وهذه القـصة تـصور كيـف يعتـز المؤمن بإيمانه في وجه المال والجاه والزينة، وكيف يجبه صاحبها المـتفش ؟ يجبـه بـالحق، ويؤنبه على نسيان الله، وهي ترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينـة الحيـاة، والـنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثـري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، فينسى القوة الكبرى التي تسيطر علـى أقـدار النـاس والحيـاة، ويحسب أن هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، فتوجهه لحمده وذكـره، لا لجحـوده وكفره[2].

قـال تعـالى: " $rÎÑÎ ùU ñ;çM B/WWx§ _ã=ÈÈ _èùZ$ {Ln‰ïJ$ _ZFÈÈ ôÏB &ãZ» =5 rmÿøÿY»à‰ ÎZ ;÷@ r_ èùZ$
/•åJ$ –öx‰ ÈÌÇ ìGâ$$% f ZFÈÈ ä#?MéŒä=g$ r9ó ?âÎO ÏZç© ø¤$ rù fÖR$ Å=»=ßJ$ XkÌ•# ÈÌÇ r.% c š 9ç¼ 0JÖ•
ù)$A ÏÁ|»Å‹Ï¾ rèq ât$ ïçÿ &R$ ø¿Ç ÏZ7 B$Z rã“ Rÿ•# ÈÍÇ rŠz Ÿ@ _ ÿGç¼ rèq ßŠ$Ö ÏŠzø‹Å¤¾ A$B$ &B `•
&b ?Šš‰ d»É‹Í¼ &/#ÈÎÇ $Br &B `•9 $¡ã p%$JÍz ì•~ 4Ç Îî’ ¥Éb‰ #ÎŠz $Z»ÈÍÇ $% A$ 9ç¼
¹ $m¾çç rèq ât$ ïç.& ÿëN |$¾‰“ z=) 7 B`Ÿ #•è 5ÈŠ ÒèŠ ÿ7ÿŠ ÒèŠ ‘7 1§™ Wã ÈÌÇ©»Å$ qè$! ª $Ïî’

(1) القصص: آية (78).
(2) انظر: الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، 419/3.

Z⁄$B 7ZB @%‰ $B‰ Ê•? b‌ ‹‌ $‌ ž‌ o$‌ w ª! $ã$© $B |Mùè 7FZ_ |Mùz Š ®‌ tw‌r ÇÌÌÈ #‌%n‌ ‌b‌ ‌‌ ‌r

ÇÍÊÈ $)9– #%‹è ¹ x‌ Ëù ä$J¡¡ 9$`B $‌7ó ãn $‌æ ‌ ‌r 7FZ_ `B #‌z ‌ b‌ ‌ ‌¤èù ÇÌÎÈ #$!rr

‘ ‌r $‌ ,ÿR‌ $B 4?ã ‌. ‌ ‌ x7‌ 'ù ¾‌ J‌ Ý‹‌ ÇÍÈ $‌Û ¼ 9 ì‹ÜGó ` =ù #‌ î $d‌ $B x‌ ‌

{ ‌ 4?ã $‌r ‌ ‌r ‌ ÓÍ‌ ‌9 ‌ ‌ ‌ #‌n‌ ÇÍÈ"[1]، يضرب الله في هذه الآيات مثلاً لرجلين

جعل لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخل، وفـــي خلالهمـــا الـــزروع وكـــل الأشجار المثمرة، وفي هذا تنبيه من الله على ذلك مما لا يوجب الافتخار؛ لاحتمـــال أن يـــصير الفقير غنياً، والغنيّ فقيراً، أما ما يوجب المفاخرة به، فطاعة الله وعبادته، وهي حاصلة لفقـــراء المؤمنين، ويبين ذلك بضرب هذا المثل[2].

وبعد أن أرشد الله نبيه الكريم إلى الإعراض عن هؤلاء المستكبرين المشركين من كفار قـــريش، ووضع بذلك مبدأ تقديس الحق والعناية به، وإهمال الباطل وعدم الإلتفات إليه، وبعد أن بـــين أن الحق منه وإليه، وأنه يجازي أهله بما هم جديرون به في دار كرامته، ويعاقب أعداءه بمـــا هـــم جديرون به في دار عذابه، بعد هذا أمر نبيه بأن يضرب لهؤلاء وأولئك مثلاً رجلـــين: أحـــدهما كافر مشرك مستكبر، قد غرته ثروته، وأطغاه نعيمه، فلم يعد يحفل إلا بما هو فيه ولم يعد قابلاً لشيء من النصيحة والعظة، والثاني مؤمن بربه، مدرك لطبيعة هذه الحياة المتقلبة المغيرة، التي لا تدوم على حال، ولا تبقى على غنى ولا فقر، ولا عز ولا ذل ولا ضعف ولا قوة[3].

إنها قصة رجل غمرته النعمة، وتوفرت له أسباب الهناء والرخاء له جنتـــان مـــن أعنـــاب إنـــه المنظر البهيج، والحيوية الدافعة، والمتاع والمال. وها هو صاحب الجنتين تمتلئ نفـــسه بهمـــا، ويزدهيه النظر إليهما، فيحس بالزهو، ويتعالى على صاحبه الفقير فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفرا، ثم يخطو بصاحبه إلى الجنتين، وقد ملأ نفسه البطر والغرور، ونسي الله، ونسي أن يشكره على ما أعطاه، فأنساه الله نفسه وهي حالة عجيبة ولكنها الحقيقـــة، فالـــذي ينسى الله يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشده إلى أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة، ظانـــاً أن هـــذه

(1) الكهف: آية (32–42).

(2) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 386/4. الرازي: **التفسير الكبير**، مرجع سابق، 105/21.

(3) المدني، الشيخ محمد محمد: **القصص الهادف كما نراه في الكهف**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، اللجنة العامة للقرآن والسنة، أشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة، الكتاب الأول، 1964م، ص140.

الجنان المثمرة لن تبيد أبداً، منكراً قيام الساعة أصلاً وهكذا شأن عبيد الدنيا يخـــدعون بـــأموالهم وتفتنهم الحياة ببهجتها وزيناتها ثم تكــون النتيجـــة الهـــلاك والـــدمار! "ÑÜ$ß qèlr ¼çGY_ Ÿ@zŠr" ¾ïnÅøZj".[1].

ù)$A ÏÁ»|Å7În¾ rlèq ät$Ìáçý أي الكافر قال لصاحبه المؤمن وهو يحاوره "أنا أكثر منـــك مـــالاً..." حشماً وأعواناً أو ذكوراً لأنهم هم الذين ينفرون معه"[2].

قال الألوسي[3]: أي أكثر حشماً وأعواناً، وقيل: أولاداً ذكوراً، وتخصيص الذكور لأنهـــم الـــذين ينفرون معه لمصالحه ومعاونته، وقيل عشيرته، ومن شأنهم أنهم ينفرون مع من هو مـــنهم"[4]. وتلك النعمة كان جديراً به أن يتدبر صانعها ومجريها ومانحها ومعطيها، فيؤمن ويشكر ويـــذعن ويحمد، ولكن فريقاً من الناس تطغيهم النعمة، ويغشى على بصائرهم النعيم، فما ازداد على نعمة الله إلا كفراناً، وما أثمرت عنده إلا طغياناً، وكان كلما مر على أخيه يزدريه بنفسه قائلاً له: أين مالك؟ أين فضتك؟ أين ذهبك؟ لشتان ما بيني وبينك أنت رقيق الحال ممـــزق الـــسربال، فاقـــد الأعوان، أما أنا فكما تراني في عيش رغيد، ولي مال وبنون، وخدم وأعوان، أدخل جنتي لترى ما فيها من النعيم، وما أنا فيه من السعادة والهناء[5].

وقد كان هذا الرجل الذي ضربه الله مثلاً للطغيان والاستكبار من الصنف الأول: بهرته نعمتـــه فأغشت عينيه، وغشت على قلبه، فملأ ماضيه فخراً، وأمال عطفيه كبراً وتجاوز كل حد، ونسي أنه مخلوق مسكين محتاج إلى رحمة الله في كل لحظة، فقال لصاحبه المؤمن وهما يتحـــاوران: "أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، اغترّ بماله، واغتر بأبنائه وأنصاره وفاخر بهذا المال، وبهـــؤلاء

---

(1) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 2271/4. الصابوني، محمد علي: **قبس من نور القرآن الكريم**، ط1، 1997، 29/7.

(2)أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، 189/4.

(3) هو أبو الفضل شهاب الدين بن محمود بن عبد الله الألوسي، فقيه بغداد (ت1291هـــ). انظر: **الأعلام**، مرجع سابق، 136/4.

(4) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت1291هـــ): **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، طبعه وصححه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، 261/8.

(5) جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: **قصص القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دار إحياء التراث، د.ط، د.ت، ص186.

الأنصار والأولاد، إمرء فقير وحيد، وهو يعلم بحالته، وكان مقتضى الإيمان أن يخاف الله في هذه النعمة ويحذرها، لا أن يغتر بها، ومقتضى الأدب والذوق ألا يفاخر بها من لا يملكها، فربما أوقع في قلبه الحسرة والألم، وأذاقه مرارة الحرمان، وكان مقتضى الحكمة ألا يثير في نفس الفقير عوامل الحسد والبغضاء والضغينة عليه، ولكن هؤلاء المستكبرين من ذوي الثروة والنعيم قد فقدوا الإيمان، وفقدوا الذوق، وفقدوا الحكمة، ولم يعرفوا حتى مصلحة أنفسهم في دفع الشرور النفسية التي يولدونها في أنفس الفقراء والمساكين بهذه المباهاة الطائشة والمفاخرة الهابطة[1].

"... ¾ïnÅÿøZÿ ÖÏ$ß qèr ¼çGY_ Ÿ@zŠr"

قال الألوسي: "هذه جملة حالية أي وهو ضار لنفسه بكفره، حيث عرّضها للهلاك، وعرّض نعمتها للزوال، أو وضع الشيء في غير محله، حيث كان اللائق به الشكر والتواضع لا ما حكى عنها"[2].

قال الطبري: "وظلمه لنفسه: كفره بالبعث، وشكّه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه"[3].

"...#%/& ¾ÿíÉ»d ‰Šî? b& •`ß& $B A$%"

قال الطبري: "لما عاين جنته ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع المطردة شكّاً في المعاد إلى الله قال ما أظن أن تبيد هذه الجنة أبداً، ولا تفنى، ولا تخرب، وما أظن الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه فقال: "ولئن رددت إلى ربي" فرجعت إليه –وهو غير موقن أنه راجع إليه– "لأجدنّ خيراً منها منقلبا" يقول: لأجدن

---

(1) المدني: **القصص الهادف كما نراه في الكهف**، مرجع سابق، ص187.

(2) الألوسي: **تفسير روح المعاني**، مرجع سابق، 262/8.

(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 244/8.

خيراً من جنتي هذه عند الله إن رددت في المعاد مراراً، يقول لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رُددت إليه"[1].

ويقول أبو السعود: "إنما قال ذلك لاعتقاده بطول أمله، وتمادي غفلته، واغتراره بمهلته، وقوله "لأجدن خيراً منها منقلبا، "مرجعاً وعاقبة، ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة، اعتقاداً أنه تعالى إنما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي، وكرامته عليه سبحانه، ولم يدر أن ذلك استدراج له"[2].

وقول تعالى: " r9wq) 6 Š zM| _ZF 7 èM| B$ ©$ä$! ª Ÿw è$o) žw $ «! "

قال الطبري: يقول عزّ ذكره: "وهلاّ إذا دخلت جنتك "بستانك" فأعجبك ما رأيت منه قلت ما شاء الله "إن ترن أنا أقل منك مالاً وولدا" وهو قول المؤمن الذي لا مال له ولا عشيرة، مثل صاحب الجنتين وعشيرته، يقول المؤمن للكافر: إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالاً وولدا"[3].

قال ابن كثير: "هذا تحضيض وحث على ذلك أي هلاّ إذا دخلت "بستانك" فأعجبك ما رأيت منه قلت ما شاء الله، وحمدت الله على ما أنعم به عليك، وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك، ولهذا قال بعض السّلف: "من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[4].

وقال المراغي: "أي هلا إذا أعجبتك جنتك حين دخلتها ونظرت فيها حمدت الله على ما أنعم عليك وقلت الأمر ما شاء الله، والكائن ما قدره الله، ليكون ذلك منك اعترافاً بالعجز، وبأن كل خير بمشيئة الله وفضله، وهلا قلت: لا قوة إلا بالله، إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها فإنما هو بمعونة الله وتأيده"[5].

---

(1) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 244/8.
(2) أبو السعود: **أرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، 190/4.
(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 245/8.
(4) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 388/4.
(5) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 151/15.

قال ابن كثير: "ولهذا يستحب لكل من أعجبه شيء، من ماله أو أهله أو حاله أن يقول "ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[1].

الدروس والعبر المستفادة من قصة صاحب الجنتين:

1. إن المادة إذا طغت على الإنسان أفقدته جانب الروح وناحية الإنسانية فيصبح كأنه لا يرى إلا المادة، ولا يعنى إلا بالمادة، لأنه أصبح مادياً أظلمت نفسه وأسود قلبه ولم يعد يدرك إلا ما هو فيه من المتاع البهيمي والنعيم المادي، مما يؤدي إلى الجهل بالنعمة والكفر بالمنعم، ويدفعه ذلك إلى الغرور بنفسه فيزعم أنه مستحق لما هو فيه من الخير والمتاع، لمعنى يمتاز به على سائل من عداه !! فإن كان هناك بعث أو نشور فإن له في الآخرة مثل ما له في الدنيا، لأن فضائله الخلقية ومزاياه الطبيعية هي التي أهلته لذلك جعلته جديراً به، وهذا قول أهل الجهل: "سعيد الدنيا سعيد الآخرة، ومحروم الدنيا محروم الآخرة، وهذا من سوء الاعتقاد وفساد التفكير.

2. ليس في الوجود أسخف من زعم الإنسان بأنه يتماز في ذاته وتكوينه على من سواه، وأنه مستحق من أجل ذلك للكرامة والعلو في الأرض، وقد زعم هذا أفراد، وزعمته أمم، وجعلوا يوزعون شعوب الأرض: هذا آري، وهذا سامي !! والإسلام لا يعرف شيئاً من ذلك ولا يقر هذا المبدأ الظالم الكاذب، وإنما شعاره أنه جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا، "[illegible]"[2][3].

3. من آيات الله التي يجب أن تكون من العقلاء دائماً في موضع العبرة والعظة، أن الأغنياء والأقوياء في عنفوان قوتهم يحاطون بالأولياء والمناصرين أو بالذين يزعمون أنهم أولياء ومناصرون، وهم في الحقيقة محتالون خبثاء، يعملون لأنفسهم، ويزينون الباطل للمبطل، والفساد للمفسد، حتى إذا زلت به إلى الحضيض قدمه لم يجد احداً منهم

---

(1) ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص343.

(2) الحجرات: آية 13.

(3) المدني: **القصص الهادف كما نراه في الكهف**، ص142.

يقبل عليه، أو ينهضه من عثاره أو يواسيه على بأسائه وبلائه ، ولكنهم جميعاً ينصرفون عنه، وينكرون له، ويعاملونه معاملة كلها احتقار بعد أن كانوا له عابدين، وكلها قسوة بعد ان كانوا يلبسون له ثوب الناصح الشفيق.

4. إن هذا الغني القوي حين ولت عنه نعمته لم يكن له فئة ينصرونه من دون الله وذهب عنه نفره الذين كان يغتر بهم، كما ذهبت عنه أمواله، وهنالك علم من لم يكن يعلم أو ينبغي أن يعلم من لم يكن يعلم، أن الولاية لله الحق، لا سلطان لأحد مع سلطانه، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا حول ولا قوة إلا به، وهو خير ثواباً، لأن ثوابه باقٍ خالد لا ينقطع، وخير عقبى، لأن عقباه هي دار رضاه ودار كرامته(1).

5. أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه.

6. ليكن ما في يد الله أوثق منه مما في يديه.

7. إن من قدم شيئاً على طاعة الله والانفاق في سبيله عذب به، وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده.

8. إن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة.

9. إن الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر الحتم وبالله المستعان وعليه التكلان(2).

10. إن النعم تزداد وتبقى بالشكر، ولا دوام للنعمة إذا كفرت، وإذا أنعم الله على عبد نعمة وجب عليه أن يجدد لها شكراً وأن يزداد تواضعاً.

---

(1) المدني: **القصص الهادف كما نراه في الكهف**، ص149.

(2) ابن كثير: **قصص القرآن**، ص344.

11. إن انكار الساعة وعدم مجيئها صورة نفسية تتكرر في كل عصر، وهــذا مــن جمود الفكر وضلال الاتجاه، وفتنة الشبهات، والرغبة في نعيم العاجلة، فمسألة الغــرور والجحود بالأسباب والغفلة عن أن الأمور كلها بيد الخالق وحده، وما شاء الله كان ومــا لا يشاء لا يكون ولا كره الناس جعلته جاحدا انعمة ربة ، متكبر على خلق .

12. أصبح هذا الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى تلهفاً وأسفاً وندماً على مالــه الضائع وجهده الذاهب، وهذا كناية عن الندم والتحسر، ولسان حاله يقول: "يا ليتني لــم أشرك بربي أحداً"، أي يا ليتني عرفت قدر نعم الله تعالى علي، وعرفت أنها بقــدرة الله وحده، ويا ليتني لم أكفر به، ولم أجحد فضله، يقول ذلك نادماً متحسراً بعد أن فقد أعــز ما يملك وصار لا ينفعه الندم، لقد كان يفتخر على أخيــه المــؤمن القــانع بالأنــصار والعشيرة، وها هو ذا بنفسه يرى ألا قدرة للبشر على دفع هذه الطامــة، ولا طاقة لهــم على منعها "ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً" لقد استعز بغير الله فأذله الله وخذله "وما كان منتصراً" لأن الناصر هو الله وحده[1].

(1) الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، 432/3.

المبحث الثاني

الإبتلاء في الجسد

في حدوث الشدّة والرّخاء، والسرّاء والضرّاء، والخير والشر، والنفع والضر، دلالـــة واضـــحة على قضية الألوهية والعبودية، فالذي يملك النفع والضر، لا بد أن يكون إلهاً يـستحق العبــادة، والذي يصيبه الخير والشر، والحسنة والسيئة، لا بد أن يكون عبداً خاضعاً لذلك الإله القادر الذي يملك منفعته ومضرته، وقد يبتلى المؤمن بفقد جزء من جسمه، كذهاب بصره أو سمعه، فيصبر على ذلك. ولا يشعر الإنسان بقيمة النعيم والمتاع والصحة والقوة والعافية إلا إذا عاش العــذاب والألم، والمرض والضعف. فاختلاف الأحوال وتداول الأيام أدعى لأن يشكر العباد نعمة ربهــم ويعرفوا قيمتها[(1)].

وقد وردت أحاديثُ كثيرة تبين عظم الجزاء والمثوبة لمن أصابه البلاء ثم تلقـى ذلــك بالــصبر والرضا، ومن ذلك ما جاء في حديث أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال:" إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهمــا الجنـــة"[(2)]. يريد عينيه. وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فلــه الــسخط"[(3)]. وهكذا نجد أن أعظم الجزاء إنما يكون مع عظم البلاء، وإنما شدّد الله على أنبيائه وأوليائه، حتى يعظم لهم المثوبة والجزاء، ويبلغهم أعظم المراتب وأرفعها في الآخرة، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاءاً قال: "أشد الناس بــلاءً الأنبياء ثم، الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشــتد بــلاؤه،

---

(1) الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة: **العقيدة الإسلامية وأسُسُها**، مرجع سابق، ص682.

(2) البخاري: **فتح الباري**، كتاب المرضى، باب فضل من ذهب بصره. حديث رقم (5653). مرجع سابق، 116/10.

(3) الترمذي: **صحيح الترمذي**، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (2398)، مرجع سابق، 519/4.

وإن كان في دينه رقة ابتلى حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي علـــى الأرض وما عليه خطيئة"[1].

والشدّة واحدة تبتلى به شتّى النفوس، ولكن النتيجة مختلفة، فالمؤمن تزيده الـــشدائد ثقـــة بربـــه، ويقيناً بعدله، وتصديقاً بوعده، وتمسكاً بحبله المتين، وغير المؤمن تزلزله، ولا تزيده مـــن الله إلا بعداً، فهي تعود على الأول بالخير والأجر والبركة، والسكينة، والطمأنينة والرّضـــا، ولا تعـــود على الثاني إلا بالشر والخسران، والسخط والبوار.

يقول ابن القيّم: "فلا يصلح عباده إلا السّراء والضرّاء، والشّدة والرّخاء، والقبض والبسط، فـــإن النفوس تكتسب من العافية الدائمة، والنصر والغنى، طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلـــك مـــرض يعوقها عن جَدّها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامـــة، قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيـــث إليـــه، فيكون ذلك البلاء، وتلك المحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريـــه، ويقطـــع العـــروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لغلبته الأدواء، حتى يكون فيها هلاكه"[2].

ومن الأسباب الدافعة للأذى عن الإنسان أن يلجأ إلى الله بالدعاء أن يفـــرّج الكـــروب والهمـــوم والأحزان، ويكشف عنه الضراء والبأساء، فإنه لا يكـــشفها غيـــره، ولا يرفعهـــا ســـواه، قـــال تعالى"B&` ‹¨å ÞÉ$ü §ÜÒ #Œ÷ ç‰æŠ ƒr Ë±ó 9$r# äþ¡"[3].

وقد علمنا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أن نحمد الله في السّراء والضرّاء، والمعافاة مـــن الابتلاء، عن عبد الله بن عمر –رضي الله عنه– قال: قال صلى الله عليـــه وســـلم: "مـــن رأى

---

(1) سبق تخريجه، ص34.

(2) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت751هـ): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلقّ عليه شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط14، 1990م، 3/220-221.

(3) النمل: آية 62.

صاحب بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان"[1].

فالمصائب والشّدائد التي تحل بالعباد، إما أن تكون لهم مثوبة وجزاء، وإمـا أن تكـون ابـتلاء وتربية، فالفهم بأن المصائب من قضاء الله وقدره يُهّون وقعها على النفوس، ويسكب فـي نفـس صاحبها طمأنينة ورضا تعينه على الصبر في الأمور كلهـا. قـال تعـالى: "$B ǎwĵ $Z;‹Å ã `©@è šc qè=©.uqtGuŠø9$# ÏNÏ=ù‹s9ur 4 $oY9s9öqtB qèd $Z9 ª! $# |=FŸ2"[2].

نماذج على الإبتلاء في الجسد:

وسأتحدث هنا عن نموذجين على الإبتلاء في الجسد، الأول قصة أيوب، والثاني من حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

الأول: ابتلاء أيوب عليه السلام:

من خلال قصة أيوب عليه السلام ومحنته في جسده وأهله وولده، نلاحظ أنه اجتاز صبراً طويلاً شديداً، ولذلك أثنى الله عليه بقوله: "$R̂ ` r ®ç»R ã y $\ 1 #•Î $Nèb ®7ö è Yq© ǰr# ò"[3]. فهو يتمثل نموذجـاً عظيماً من نماذج الصابرين على البأساء والضّراء ليكونوا لنا أسوّة حسنة نقتدي بهـم، فنـصبر مثل صبرهم، أو مثل بعض صبرهم، كلّما اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلينا بشيء من مصائب الحياة الدنيا في الأنفس، أو في الأجساد، أو في الأموال، أو في الثمرات، حتى يكون لنـا عنـده أجر الصابرين، ونرتقي عنده إلى منازل المحسنين المقربين الصابرين أولي الألباب ولذلك قـال الله تعالى بعد عرض قصة أيوب "r Ë ø• '3 {T rí '$ F 7» Ë"[4]، فدّل بذلك علـى أن الغـرض مـن عرضها، أن يكون أيوب في صبره أسّوة حسنة لأولي الألباب هم العـارفون بثمـرات الـصبر وأجر الصابرين، يدركون أن الصبر من الدرجات العليا للعبادة، فيضيفونه إلى عبادتهم الكثيـرة

---

(1) الترمذي: **صحيح الترمذي**، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، حديث رقم (3431)، مرجع سابق، 493/5. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

(2) التوبة: آية 51.

(3) ص: آية 44.

(4) ص: آية 43.

التي يؤدونها، ابتغاء مرضاة الله تعالى[1]. وتشر القصة إلى أن أيوب عليه السلام كـان عبـداً صالحاً أواباً، ابتلي فصبر صبراً جميلاً، ويبدو أن ابتلاءه كان بـذهاب الأهـل والمـال والولـد والصحة جميعاً، ولكنه ظل على صلة بربه، وثقة به، ورضاً بما قسم له. كان أيوب عليه السلام صابراً شاكراً يلهَجُ[2] بالذكر والدّعاء، والشكر، لا يشكو، ولا يتعتّب، ولا يتذّمر، ولا يغـضب، فلم يزجره البلاء عن حاله أو يفسد من يقينه بربه الرحيم، ولكنه كان أقوى إيماناً، وأشـد صـلة بالله، وأعمر بالتقوى قلباً ولسان إيمانه يقول عن كل شيء فقده: كل شيء عاريـة اسـتردها الله ووديعة كانت عندنا فأخذها. فالحمد لله على ما أعطى وأنعم، فله ما أخذ وله ما أعطـى، وكـل شيء عنده بمقدار ولا حول ولا قوة إلا بالله[3]. قال تعالى: "* ž’Ø9$$ÓÍ_ji B ’îû ÿ’çq/‘ 3“ Š$R øŒÎ) šU q•ƒr "[4] šú üÏHÏq•°9$$Ñãmö‘ |MR&r"[5].

فانظر إلى الأدب في قوله: "ž’Ø9$$ÓÍ_ji B šú üÏHÏq•°9$$Ñãmö‘ |MR&r" ولم يقل فعافني واشفني، يقول ابن القيم في ذلك جمع في الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجـود طعـم المحنة في التملق له، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بـصفاته – سبحانه– وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه"[6].

ولم يكن قوله "ž’Ø9$$ÓÍ_ji B" جزعاً؛ لأن الله تعالى قال: "إنا وجّدناه صابراً" بل كان ذلك دعاء منه والدعاء لا ينافي الرضا. وقوله تعالى: "$uZö6ptGó™$$sù..." أي اجبنا ندائه ($Y9ø±3ù) بما لنـا مـن العظمة "ما به من ضر" بأن أمرناه أن يركض برجله، فتتبع له عين من مـاء، فيغتـسل منهـا،

---

(1) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، 1996، 318/2.

(2) يلهّج: يثابر عليه ويلزم نفسه به. انظر: أديب اللخمي وآخرون: **مجمع اللغة العربية، المحيط**، تقديم محي الدين صابر، بيروت، لبنان، ط2، 1994. 1076/3.

(3) ابن كثير: **تفسير القرآن**، 66/7.

(4)الضر: ضد النفع، والضُّر بالضم: المرض والهزال وسوء الحال. فكل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضر، والضرَّ بالفتح أعم منه من حيث أنه يكون بالنفس والأهل والمال وغير ذلك. انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، 482/4. مرجع سابق.

(5)الأنبياء: آية 83.

(6)ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الفكر، د.ط. د.ت. 380/2.

فينبت لحمه وجلده على أحسن ما كان وأصحه "وآتيناه أهله" أي أولاده، ذلك الكــشف والإيتــاء "رحمة من عندنا" أي نعمة عظيمة، تدل على شرفه ومكانته بما من شـــأنه العطــف والتحــنن، بحيث لا يشك من ينظر في ذلك، أن ما فعلناه إلا رحمة منا له، "وذكــرى" أي عظــة عظيمــة "للعابدين" كلّهم ليتأسّوا به، فيصبروا إذا ما ابتلوا بفتنة الــضرّاء، ويــشكروا إذا ابتلــوا بنعمــة السّراء؛ لئلا تكون عين شقائهم[1].

وقوله تعالى: "$ÏöäÙð 7ÏÅ ֏î7 d»‹# ãtóøF ¡|@ /$ÏŠ rŸŽ#Ȫ"[2].

أي اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أُمر به، فأنبع الله له عيناً باردة الماء، وأمــر أن يغتــسل فيها، ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى، والسقم والمرض الذي كان في جسده ظاهراً وباطناً، وأبدله الله بعد ذلك كله صحة ظاهرة وباطنة، وجمالاً تاماً[3].

وقوله تعالى: "وذكرى للعابدين"

أي تذكرة لمن ابتُلي في جسده، أو ماله، أو ولده فله أسوة بنبي الله أيوب، حيث ابتلاه الله بما هو أعظم من ذلك فصبر، واحتسب حتى فرّج الله عنه[4].

وأما ما ذكر في كتب التفسير[5] حول الضُّر الذي مس أيوب –عليه السلام– بأنه مرض مرضــاً مُنفّراً فليس له سند صحيح، وكل ما ذكر فهو كذب ومن الإسرائيليات التي لا تصح، لأن الأنبياء لا يمرضون مرضاً يُنفِّر الناس منهم.

ويظهر لنا أن البلاء لا يدل على الشقاء، فإن السعادة والشقاء في هذا العــالم لا يترتبــان علــى صالح الأعمال وسيئها، لأن الدنيا ليست دار جزاء، بل هي دار امتحان ومزرعة للآخــرة، وأن

---

(1) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، 104/5.

(2) ص: آية 42.

(3) ابن كثير: **قصص القرآن**، ص170.

(4) المرجع السابق، ص170.

(5) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، 67/6. الشوكاني: **فتح القدير**، 421/3. ابو حيان: **البحر المحيط**، 334/6. السيوطي: **الدر المنثور**. 328/4. الطبري: **جامع البيان**، 588/10. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**. 136/16–137.

عاقبة الصبر هي توفية الأجر، ومضاعفة البر، فإن أيوب – عليه السلام– لما امتحن بما فقد من أرزاقه وأهله، وما عانى فيه من الآم في جسده، صبر وشكر، فكان أن رحمـــه الله فأعـــاد لـــه صحته، وأعطاه أضعاف ما فقد من رزق وولد[1].

ما في هذه القصة من دروس وعبر[2]:

1. أن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه.
2. وجوب الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال إليه عند وقوع المصيبة.
3. وجوب التداوي؛ لأن الله تعالى أمره أن يشرب ويغتسل من الماء الذي نبع تحت رجليه.
4. لا يأتي الفرج إلا بعد الصبر ولا اليسر إلا بعد العسر، ويكـــون الفـــرج مكافـــأة علـــى الصبر، واليسر مكافأة على تحمل العسر، قال تعـــالى: "bîù ì B $ã@6Î ç„6Ž# ÇÎÈ bĵ ì B $ã@6Î ç„6Ž# ÇÏÈ"[3].

الثاني: إيذاء الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في جسده

أ. في مكة والطائف:

لاقى الرسول صلى الله عليه وسلم من إيذاء قريش في مكة أنواعاً كثيرة من ذلك ما رواه عبـــد الله بن عمرو بن العاص[4]، قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبـــة، إذا أقبل عقبة بن أبي معيط[5] فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكـــر حتـــى أخـــذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "&?bqè=çFø)s ‘ ã x ¸ b& /)àqA ïÎ † $!ª "؟[6][7].

---

(1) طبارّة، عفيف عبد الفتاح: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط17، 1989. ص212.

(2) أبو فارس: محمد عبد القادر: **الابتلاء والمحن في الدعوات**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1986، ص24.
عفيف عبد الفتاح طبارة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص213.

(3) الإنشراح: آية 5–6.

(4) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن لؤي القرشي السّهمي يكنى أبا محمد أسلم قبل أبيه، استأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب عنه فأذن له، كان صحابي من النسّاك العبّاد، توفي في الطائف (63هـ)، وكان عمره 72 سنة. انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 345/3–348.

(5) هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، كنيته أبو الوليد، فكان شديد الأذى للمسلمين، أسر يوم بدر وقتله المسلمون ثم صلبوه (0–2هـ). انظر: **الأعلام**، مرجع سابق، 240/4.

(6) غافر: آية 28.

(7) رواه البخاري، **فتح الباري**، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم (3856)، 181/7.

ومنه ما رواه عبد الله بن عمر[1] قال: "بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور[2] فقذفه على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة[3] -رضي الله عنها- فأخذته من ظهره، ودعت على من صنع ذلك"[4].

ولما نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما وصفناه من الأذى، خرج إلى الطائف يتلمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل، ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إليه نفر من ثقيف، هم يؤمئذ ساداته، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاء به من أجله، فردوا عليه رداً منكراً، وفاجؤوه بما لم يكن يتوقع من الغلظة، وسمج[5] القول فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وهو يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش، فلم يجيبوه إلى ذلك، ثم أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة، حتى أن رجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتدميان، وزيد بن حارثة[6] يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ[7] في رأسه عدة شجات، حتى وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بستان فيه عنب، فعمد عليه الصلاة والسلام إليه، وقد أنهكه التعب والجراح، فلما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الظلّ، ورأى ما بلغ به من المعاناة والشدة، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على

---

(1) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، صحابي راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مات وهو ابن 86سنة. انظر: **أسعد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 3/236-241.

(2) سلا الجزور: ما في بطنه من الأمعاء والأوساخ. انظر: مجمع اللغة العربية، **المحيط**، 2/710.

(3) هي فاطمة بن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، كانت تلقب بالزهراء، ولدت في مكة، وهي أصغر بنات النبي – صلى الله عليه وسلم- تزوجها الإمام علي توفيت بعد الرسول بثلاثة أشهر من رمضان سنة 11هـ، وهي ابنة تسع وعشرين سنة. انظر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، أبو عمر، عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر: تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992. 4/1893-1899. رقم الترجمة (4057). انظر: **أعلام النساء في عالمي العرب والمسلمين**، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1977. 4/108-132.

(4) رواه البخاري، **فتح الباري**، كتاب مناقب الأمصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة، حديث رقم (3854). 7/180.

(5) سمج القول: أقبح القول. انظر: مجمع اللغة العربية، **المحيط**، 2/711.

(6) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى وحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، استشهد في غزة مؤتة (8هـ)، انظر: **أسعد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 2/350-353.

(7) شجَ: الشجة الجُرح في الوجه أو الرأس، أو الجبين. **المعجم الوسيط**: 1/475. مرجع سابق. **المحيط**، مجمع اللغة العربية، 2/738.

الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليَّ سخطك، لك العتبى[1] حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك"[2].

الدروس والعبر والعظات من ابتلاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- في جسده في مكة والطائف:

أولاً: إن أعظم ما يفزع إليه الإنسان عند الكرب والشّدة هو الدعاء، والابتهال، والتضرع إلى الله عز وجل.

ثانياً: استقباله عليه الصلاة والسلام لتلك المحن راضياً، صابراً محتسباً، فلم يدعُ على السفهاء بأن ينتقم الله منهم، ولكنه قال: "اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون" وقال لجبريل عندما جاءه وقال له: أنا ملك الجبال إن شئت اطبق عليهم الاخشبين[3]، فقال عليه الصلاة السلام: لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً [4][5].

---

(1) العتبى: الرضى. وهو التسليم بالذنب أو الخطأ إرضاءً لمن يعاتب، انظر: مجمع اللغة العربية، **المحيط**، 844/2.

(2)الطبري، **في تاريخ الأمم والملوك**، فصل ذهاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، من طريق ابن اسحاق، راجعه وصححه نخبة من العلماء الأجلاء، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، 1939. 2/80-81. وقال الهيثمي: وفيه ابن اسحق وهو مدلس ثقة.. وبقية رجاله ثقات، فالحديث ضعيف، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت807هـ)، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، باب خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وعرض نفسه على القبائل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1967، 35/6. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (418هـ)، **السيرة النبوية**، حفظها وضبطها وشرحها مصطفى السّقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، وضع فهارسها معروف زريق، دار الخير، دمشق، بيروت، ط1، 1996. 2/46-47. الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (ت942هـ): **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 438/2.

(3) الأخشبان: تثنية الأخشب والأخشبان، جبلان يضافان إلى مكة وتارة إلى منى. احدهما: أبو قبيس، والآخر قعيقعان. انظر: **معجم البلدان**، 149/1. شهاب الدين أبو عبد الله، ياقوت الحموي الرومي البغدادي (ت626هـ): تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

(4) رواه البخاري، **كتاب بدء الخلق**، باب ذكر الملائكة عن عائشة، حديث رقم (3231)، 337/6. ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، عن عائشة، حديث رقم (4629) 365/12.

(5) القرني، عائض: **قصة الرسالة روائع من السيرة**، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص114-115.

ثالثاً: كان عليه الصلاة والسلام يعلم أصحابه وأمته من بعده بما كان يلاقيه من الأذى وواجــب الصبر على جميع الشدائد والمكاره في سبيل الله عز وجل، وربما يقول قائل: فما معنى ارتفــاع صوته بالشكوى؟ وما معنى دعائه الذي تدل ألفاظه وصيغته على الضجر والملــل مــن طــول المحاولة التي لم تأت بنتيجة إلا الأذى والعذاب؟ الجواب: أن الشكوى إلى الله تعبد، والــضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة، وللمحن والمصائب حكم من أهمها: أنها تسوق صاحبها إلــى باب الله تعالى وتلبسه جلباب العبودية له، فليس إذاً بين الصبر على المكاره والشكوى إلــى الله تعالى أي تعارض، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا في حياته كلا الأمــرين، فكــان بصبره الشديد على المحن يعلمنا أن هذه هي وظيفة المسلمين عامة، والدعاة إلــى الله خاصــة، وكان بطول ضراعته إلى الله يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها[1].

ب. في غزوة أحد:

لقد جاهد الرسول صلى الله عليه وسلم الكفار والمشركين جهاد الأبطال، وضحى بنفسه في سبيل الله ولاقى منهم الأذى الكثير في جسده، وتعرض في غزوة أحد للأذى في جسده فصبر وتحمل، وكان قدوة للصابرين والمجاهدين.

عن أنس رضي الله عنه قال: "شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال: كيــف يفلــح قــوم شجوا نبيهم؟ فنزلت "§ø 9 š• Ë`$FÞBÌ «óã"[2] وعنه –رضي الله عنه– قال: كُسرت رباعية[3]، النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وشجّ وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسح الــدم وهو يقول: "كيف يفلح قوم خضّبوا[4] وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية"[5].

---

(1) البوطي، محمد سعيد رمضان: **فقه السيرة**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص138-139.

(2) آل عمران: آية 128.

(3) الرباعية: **السن التي بين الثنية والناب**. انظر: مجمع اللغة العربية، **المحيط**، 596/2.

(4) خضّبوا: أي غيروا لون وجهه بالدم. انظر: المرجع السابق، 515/2.

(5) رواه البخاري، **فتح الباري**، كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء، حديث رقم (4070). مرجع سابق. 412/7. رواه مسلم، **صحيح مسلم بشرح النووي**، كتاب المغازي، باب ليس لك من الأمر شيء، حديث رقم (4621)، مرجع سابق، 361/12.

وعن أبي حازم[1]، أنه سمع سهل بن سعد[2] وهو يسأل عن جرح رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم، فقال: "أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وســـلم ومـــن كان يسكب الماء، وبما دووي، فقال: "كانت فاطمة –رضي الله عنها– بنت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم تغسله وعلي يسكب الماء بالمِجَن[3]، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة من حصير فأحرقتها وألصقتها فاستمسك الدم، كسرت رباعيتـــه يؤمئـــذ، وجـــرح وجهه، وكسرت البيضة[4] على رأسه"[5].

مما سبق يتبين لنا: أن جميع ما ذكر في الأخبار أنه عليه الصلاة والسلام شُج وجهه، وكُـــسرت رباعيته، وجرحت وجنته[6] وشفته السفلى من باطنها، وفي هذا وقوع الابتلاء بالأنبياء صـــلوات الله عليهم، لينالوا جزيل الثواب، ولتعرف أممهم وغيرهم ما أصابهم ليتأسوا بهم، وليعلم المـــسلم أنهم بشر تصيبهم محن الدنيا ويطرأ على أجسادهم ما يطرأ على أجسام البـــشر، وأن الابـــتلاء لأهل الطاعات يكون لرفع الدرجات.

---

(1) هو سلمة بن دينار المخزومي مولاهم أبو تمام المدني، أحد الثقات من الطبقة الثامنة كان يروي عن أبيه توفي 184هـــ، وهو ساجد. انظر: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (748هـــ)، تحقيق على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1963. 626/2. **الثقات**، أبو حاتم محمد بن حيان بن أحمد التميمي البستي (354هـــ)، **دائرة المعارف العثمانية**، بحيدر أباد الركن الهندي، 1981. 17/7.

(2) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعده الانصاري الساعدي، كان اسمه حزناً فسماه الرسول سهلاً، يكنى أبا العباس، توفي (88هـــ)، وعمره 96سنة، انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 575/3-576.

(3) المجن: كل ما وقي من السلاح وهو الترس الذي يستر حامله. انظر: **المحيط**، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، 1104/3.

(4) البيضة: الخوذة من الحديد تلبس على الرأس وهي من آلات الحرب لوقاية الرأس من الأذى. **المحيط:** مجمع اللغة، 264/1. مرجع سابق.

(5) رواه البخاري، **فتح الباري**، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد، حديث رقم (4075)، 420/7. رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، **كتاب المغازي**، باب غزة أحد، حديث رقم (4624)، 359/12.

(6) وجنته: الوجنة ما ارتفع من الخدين سميت بذلك لأن فيها صلابة وشدة. **المحيط:** مجمع اللغة، 1334/3. مرجع سابق. **مختار الصحاح**، ص334، مرجع سابق. **المعجم الوسيط**، 1026/2، مرجع سابق.

المبحث الثالث

الإبتلاء في الولد

قد يبتلى الله تبارك وتعالى عباده الصالحين الذين أحبهم بتعريضهم للمحن، لا لينتقم منهم، وإنمـــا لأنه يحبهم، ولا يدرك هذا إلا المؤمنون به.

وقد ذكر الله تعالى هذا الابتلاء في قوله "$#þqßJn=÷æ$#ur !$yJ¯Rr& öNä3ä9ºuqøBr& öNà2ß»s9÷rr&ur ×puZ÷FÏù ¨br&ur ©!$# ÿ¼çnyYÏã íô_r& ÒOÏàtã "[1].

يقول الطبري في تفسيره: "إن فتنة المال والولد من أعظم الفتن وأكثرها ملازمة للعبد، ومن هنا قال ابن مسعود[2] -رضي الله عنه-: "ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، فمن اســتعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن"[3]. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رســول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله ومـــا عليه خطيئة"[4]. وعنه -رضي الله عنه- قال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يقــول الله تعالى "ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهــل الــدنيا ثــم احتــسبه[5] إلا الجنة"[6].

ومن فتنة المال والولد أنهما قد يشغلان صاحبهما عن الجهاد واتباع الحق، والقيــام بــالفرائض والواجبات الشرعية، قال تعالى: "$yJ¯RÎ) öNä3ä9ºuqøBr& ö/ä.ß»s9÷rr&ur ×puZ÷GÏù 4 ª!$#ur ÿ¼çnyYÏã íô_r& ÒOÏàtã "[7].

---

(1) الأنفال: آية 28.

(2) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ أبو عبد الرحمن الهذلي، (ت32هـ)، ودفن بالبقيع. انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 381/3.

(3) الطبري، **جامع البيان**، مرجع سابق، 147/9.

(4) أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (2399)، 602/4.

(5) احتسبه: أي ادخره ورجا ثواب موته.

(6) رواه البخاري، **فتح الباري**، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، رقم الحديث، (1248)، 145/3، مرجع سابق.

(7) التغابن: آية15.

التحذير من فتنة الأولاد والأزواج والأموال:

حذر الله تعالى المؤمنين من فتنة الأزواج والأولاد والأموال، ونـــبههم إلـــى أن مـــن الأمـــوال والأولاد والأزواج من يكون لهم عـــدواً، قـــال تعـــالى: "7»š$k‰$¯» ïÏ%©!$# (#þqãZtB#uä šú ¨bÎ) ô`ÏB öNà6Å_ºurør&

$JR¨¨ ÇÌÍÈ ÓÍmš Öq¹ö ®!$# c Îû ¨(rãÿøÿtr& (qßsxÿÁ?r& (qãè? bÎ)r öNèdrâ‘x‹n$$sù öNà6 ©!#xr‰ã öNà2 ‰»9r&r

.(1)"ÇÊÎÈ Óšàã íô_ & ¯ÿç‰Ÿã ª! $# r pZ÷Gû öä‰»9r&r öNà3äqBr&

قال الطبري: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم، يـــصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعة الله، فاحذروهم، أن تقبلوا منهم ما يأمرونكم به مـــن تـــرك طاعة الله"(2).

وقال ابن كثير: يقول تعالى: "مخبراً عن الأزواج والأولاد إن منهم من هو عدو الزوج والوالـــد بمعنى أنه يلتهي بهم عن العمل الصالح، فاحذروهم، يعني على دينكم"(3).

"بعد أن أمر الله بطاعته وطاعة رسوله، ذكر أنه ينبغي للمؤمن أن يتوكل على الله تعالى ويعتمد عليه، وبين له أن من الأولاد والزوجات أعداءً لأبائهم وأزواجهم، يثبطـــونهم عـــن الطاعـــة، ويصدونهم عن تلبية الدعوة لما فيه رفعة شأن الدين وإعلاء كلمته، فعلـــيكم أن تحـــذروهم، ولا تتبعوا أهواءهم حتى لا يكونوا اخوان الشياطين، يزينون لكم المعاصي ويصدونكم عن الطاعـــة، ثم أردف أن الإنسان مفتون بماله وولده فإنه ربما عصى الله تعالى بسببهما، فغـــصب المـــال أو غيره لأجلهما"(4).

(1) التغابن: آية 14-15.

(2) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 116/12.

(3) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 30/7.

(4) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 128/28-129. الألوسي: **روح المعاني**، مرجع سابق، 23/15.

وفيما يلي نموذج للإبتلاء في الولد:

ابن نوح عليه السلام:

كانت حياة نوح عليه السلام، حياة شاقة قاسية، مليئة بالكفاح والنضال، وكانت محنته مع قومــه شديدة أليمة، فقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك لــه، ونهاهم عن عبادة ما سواه، بالحكمة والموعظة الحسنة، ليلاً ونهاراً، ســراً وعلانيــة، وتبــشيراً وإنذاراً، فلم يجد منهم إلا وقراً في آذانهم، وغشاوة على أبصارهم، وبعد هذه المدة من الــدعوة والنصح لم يؤمن به إلا القليل، ولما جاء وقت هلاك قومه، أمره الله أن يصنع الفلك، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين، ووعده ربه أن ينجي أهله المؤمنين إلا أن ابنه كــان مــع الهــالكين بسبب عدم إيمانه، وعدم سماع نصيحة أبيه، والركوب في السفينة مع الصف المؤمن.

قـــال تعـــالى: "A$% ÇÎÈ ûïÍÿ»3ÿ$ìB `ã? ŵr $YèB =Ÿ2 ö$Ó_ϕƒ ÆÌèB 'Î šc %Ÿ2 r ¼oY$ÿ qç3' Š$Rr ßöJ$$Jå·/ A%nr Oïm§ `B ŵ)ì« $ì¼ ôB Pö«$LÆ$ã ŵ A$% äJšÆ B ÓÎ_ßÄè ƒ @6_ 4<) ü' Í$«™ "ÇÎÈ šú üì•ø$ `B šc %3ù".[1]

بدأت السفينة رحلتها، ورأى نوح أن ابنه لم يركب في السفينة، وعرف أنه سيغرق، عنــد ذلــك أخذته عاطفة الأبوة، فأسرع يناديه ويحاول أن ينجيه قائلاً: "$YèB =Ÿ2 ö$Ó_ϕƒ" إنها نصيحة الأب يحاول أن ينجي ابنه من الموت، رغم أن ابنه لم يؤمن، ومع ذلك فإن عاطفة الأبوة جعلت نوحاً يحاول أن ينقذه، ولكن الكفر على قلب ابن نوح قد أعماه عن الحقيقة، فبدلاً من أن يــرد النجــاة إلى الله سبحانه ردها إلى نفسه وإلى قدرته البشرية فقال كما ذكر القرآن الكــريم" A$% ™« Í$ ü' <4 _6@ ƒè ÄßÓÎ B ÆŠJä"، وهكذا ظن ابن نوح أن هناك قوة يمكن أن تنجيه من الله، وهي قــوة الجبل وشموخه، ظاناً أن الماء لا يصل إلى قمته، وحينئذ أراد نوح أن يرشد ابنه إلى الطريــق الوحيد للنجاة "A$% ŵ $ã$LÆ«Pö ôB ¼ì$ «ì)ŵ B` §mïO " أي لا تعتقد أن هناك شيئاً فــي الكــون يمكن أن ينجيك من أمر الله؛ لأن كل ما في الكون خاضع لإرادة الله قهراً، وهو ينفذ أمر الحــق

(1) هود: الآيتان 42-43.

تنفيذاً دقيقاً، فلا الموج ولا الجبل، ولا كل من في الأرض يستطيع أن ينجي إنساناً من أمـــر الله فكانت النتيجة "Anr÷ Jå$JŒö ß3ù šc `B$ŒÏ•Ïü šú"[1].

الدروس والعبر المستفادة من قصة ابن نوح –عليه السلام–:

1. الذي ينشده القرآن الكريم من وراء ذلك توجيه الإنسان إلى أنّ أعمالـــه الــصالحة هـــي المعوّل عليها في نيل السّعادة في الآخرة، وأنّه ليس للشفاعات أي تأثير في نجاتـــه مـــن عذاب الله إذا كان عاصياً، وهذا ما أكدّه القرآن الكريم أيضاً، كمـــا أنّ القرابـــة مهمـــا اشتدّت لا يمكن أن تغني الإنسان شيئاً إذا كان سيء العمل[2].

2. إن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، وهذه الفتوة المغرورة لا تقـــدر مـــدى الهـــول الشامل، إنها الفتوة العابثة، فهي لا ترى الخلاص إلا في فتوتها الخاصة فالأهـــل –عنـــد الله وفي دينه وميزانه– ليسوا قرابة الدم، إنما هم قرابة العقيدة، وهذا الولـــد لـــم يكـــن مؤمناً، فليس إذن من أهله وهو النبي المؤمن.. جاء الرد هكذا في قوة وتقدير وتوكيـــد، وفيما يشبه التقريع والتأنيب والتهديد" إنه ليس من أهلك".

3. إن هذا المثل الذي يضربه الله من نوح وابنه فيما يكون بين الوالد والولد، ضرب امثالـــه لشتى االوشائج والروابط الجاهلية الأخرى، ليقرر من وراء هذه الأمثال حقيقة الوشـــيجة الوحيدة التي يعتبرها وهي وشيجة الإيمان والعمل الصالح.

4. إن الوشيجة التي يجتمع عليها الناس في هذا الدين وشيجة فريدة تتميز بها طبيعـــة هـــذا الدين وتتعلق بآفاق وآماد وأبعاد وأهداف يختص بها ذلك المنهج الرباني الكريم، وهـــذه الوشيجة هي التي يجب ان يقوم عليها المجتمع المسلم، ولا يوقم على سواها، وطالبهـــا ربها بالاستقامة على الطريق في حسم ووضوح يتمثلان فـــي مواقـــف كثيـــرة، وفـــي توجيهات من القرآن الكريم كثيرة، قال تعـــالى: "w ÅÅ%Ÿ Bq$ãsBŒ q šc Ÿ$ ‹« ÈŒ$ÎQ$Fÿ ÅÌ

(1) الشعراوي، محمد متولي: **قصص الأنبياء**، جمع المادة العلمية، منشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996. 347/1.

(2) طبارّة: **مع الأنبياء والقرآن الكريم**، ص81، مرجع سابق.

7 Í»9'ré Ndå̌Ž•Ë±ã ‌ ‌ ‌ﬁ& óOßR⁰q‑z) ‌ﬁ& Ndèä$Y‌ó ‌ ‌ﬁ& Ndèä$/#ä ‌ﬁ(öçŸ2 ö9r ¼ãq‌ß‌M'r ©$Š$m ôB šc rŠ‑qã

$g‹Ï ûïÏ$Î»z ãgRF{$$ kJËB `Ï “ Ìøg‌B ;M»Z_ óOßèÅ‌%ã‌ƒ r ç‌¥Ï 8yrã Nèd‌‰ƒ‌&r `»J‌ƒ‌M$‌Ñ‌É‌íqè‌è ’Î|=FŸ2

.[(2)(1)]" bq‌ß‌s î‌ÿ‌ø‌ç‌$Ñ‌è« $>“‌Ïm b)Î w‌& « $Ü“‌Ïm 7 Í»9'ré ç‌¥ã ‌ﬁ(q‌Ê ‘r Nd‌ç‌ã ª! $š_ Å ‘

5. على المربي ألا ييأس من وجود بيئة جاهلية فرضت عليه، فقد يكون لهــذه البيئـــة لـــو استغلها أثراً على التربية بالإيجاب كما وضح ذلك في قصة موسى عليه السلام وقــول الله تعـــالى: "A‌%ãr 'kA‌%ã ç‌õ‌ê Ü ù @Ïm$¡¡ 9$Î O‹ø$Ï‌nÉ‌ãù Ó‹ø$'ÎÏn‹ÏiÉ‌%$ù Nq‌ç‌/$‌G‌9$'Î‌Ïn‌Š‌Ï‌iÉ‌%$‌Ê‌&" ¼ã© ‌M‌ø)‌ã‌r ‌M‌ø‌ã 7 ‌ø‌C ‌B ‌Ó‌Í‌B ‌ç‌ø‌r ‌Á‌Y ‌Ì ã‌?‌4 ã‌Í‌Ó"[(3)]، أي يربى على عيني كذلك ينبغي علـــى ولي الامر أن لا يهوله ضغط الجاهلية بشتى صورها بل كما تقــدم ينبغـــي ان يــستغل وجودها في زيادة التقويم والتربية والإرشاد لأولاده.

6. على المربي ألا ييأس من فساد ولده وليعلم أن الله عز وجل يحيي الأرض بعــد موتهــا ويعلم أيضاً: انه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويخــرج الكــافر مــن المؤمن، ويخرج المؤمن من الكافر، فها هو إبراهيم عليه السلام، الأمة القدوة يخرج من صلب كافر وها هو ابن نوح عليه السلام يخرج على فساده وظلمه من صلب نبي مــن اولي العزم، ولا يتصور من نوح أنه قصر في تربيته بأي نوع من أنواع التقصير، ومع ذلك يرضى بقضاء الله وقدره، كا لم ييأس إلى آخر لحظة من رحمة الله [(4)].

7. وعلى الأبويين ألا يتركا وسيلة من وسائل الإصلاح إلا وسلكاها ولا طريقة في تقــويم إعوجاجه وتهذيب وجدانه وأخلاقه إلا ونهجاها حتى ينشأ الولد على الخلــق الإســلامي الكامل والأدب الاجتماعي الرفيع، وللإسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيتـــه، فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر، وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب، وإذا عجز عن جميع الوســائل

---

(1) المجادلة: آية 22.

(2) الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، 668/1، 682-183.

(3) طه: آية 39.

(4) إبراهيم، عبد المنعم: **تربية البنات في الإسلام**، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ط2، 2002. ص202.

الإصلاحية ملاطفة ووعظاً، وزجراً وهجراً، فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرح، عسى أن يجد المربي في هذه الوسائل إصلاحاً لنفسه، وتقويماً لسلوكه واعوجاجه!! هذا إذا انحرف وفسق وهو على الإيمان والإسلام، وأما إذا ألحد وكفر وخرج عن الملة الإسلامية فالتبرؤ منه والإعراض عنه، والهجران له من أبسط مقتضيات الإيمان، ومن أظهر توجيهات القرآن الكريم، ذلك لأن الإسلام يعتبر رابطة الأخوة الإسلامية فوق رابطة النسب، ورابطة الأرض، ورابطة اللغة والجنس، ألا فليعلم المربون ودعاة الإصلاح، نهج الإسلام في التربية، وطريقته في الإصلاح، لينهجوا في تربية الجيل نهجاً سليماً، ويسيروا في طريق الإصلاح الاجتماعي سيراً سوياً، وفي ذلك نقلة للجيل من بيئة الفساد والانحراف إلى حياة الطهر والكرامة والأخلاق[1].

8. من العوامل الكبرى التي تؤدي إلى إنحراف الولد، وإلى فساد خلقه، وإنحلال شخصيته تخلي الأبوين عن إصلاح نفسه وانشغالهما عن توجيهه وتربيته، والإسلام في دعوته إلى تحمل المسؤوليات، حمّل الآباء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة، وتهددهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطّوا وقصّروا وخانوا، قال تعالى: "$kš‰r'¯»tƒ šúïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#þqè% ö/ä3|¡àÿRr& ö/ä3‹Î=÷dr&ur #Y‘$tR $ydߊqè%ur â¨$¨Z9$# äou‘$yfÏtø:$#ur $pköŽn=tæ îps3Í´¯»n=tB ÔâŸxÏî ׊#y‰Ï© žw tbqÝÁ÷ètƒ ©!$# !$tB öNèdttBr& tbqè=yèøÿtƒur $tB tbrâsD÷sム"[2][3]، ووقاية الأهل من النار تتطلب القيام بأعباء المسؤولية التربوية من النصح والتوجيه والإرشاد، ولذلك فإنه يجب على الأسرة المسلمة أن تعطي عنايتها ورعايتها لأبنائها، ووقايتهم من الانحرافات السلوكية بجميع أنواعها وأشكالها ومستوياتها، فالأسرة المسلمة تواجه اليوم تحديات عقائدية، وأخلاقية وفكرية في ظروف العولمة التي تحاول من خلالها إزالة الفروق الاجتماعية في الأخلاق والدين، وهذه التحديات زادت من حجم مسؤولية الأسرة التربوية تجاه أبنائها خاصة في عالم اكتنفته الوسائل الإعلامية المقروءة والمرئية التي أصبحت تبث في مشارق الأرض ومغاربها، لا تحجبها وعورة الطرق وطول

---

(1) علوان، عبد الله ناصح: **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام، حلب، ط3، 1981، 1/60-61، 64.

(2) التحريم: آية 6.

(3) علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، 1/134-135.

المسافات، خاصة وأنها تبث وترسل بأساليب مؤثرة. إضافة إلى أن الأسرة المسلمة قد تأثرت بالتغيرات الاجتماعية العالمية، حيث تخرج المرأة إلى ميدان العمل، تخالط الرجل في مكتبة ومتجره ومصنعه، فكل هذه العوامل تهدد الأسرة المسلمة بالضياع، وتزيد من مسؤولياتها التربوية تجاه افرادها[1].

9-ومن الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيداً، وتتأصل في بؤرة شعوره ووجدانه استشعاره بمسؤوليته الكبرى في تربية الولد إيمانياً وسلوكياً، وتكوينه جسمياً ونفسياً، وإعداده عقلياً واجتماعياً.. هذا الاستشعار يدفعه دائماً لأن ينطلق بكليته في مراقبة الولد وملاحظته، وفي توجيهه وملاحقته وفي تعويده وتأديبه، وعليه أن يعتقد انه إذا غفل عنه فترة وتساهل عن ملاحظته مرة... فإن الولد سيتدرج في الفساد خطوة خطوة... وفي حال الغفلة الدائمة والتساهل المتكرر... فإنه سيكون لا محالة من زمرة الأولاد الشاذين ومن عداد الشباب المنحرفين، فعندئذ يصعب على المربي إصلاحه[2].

فما أجدر أن يمشي الآباء والمربون على سنن الإسلام، ومنهجه القويم في تربية أولادهم ومعالجة إنحرافهم، وتقويم سلوكهم، وإصلاح نفوسهم، وتثبيت عقيدتهم، وتلقينهم مبادئ الخير والفضيلة والأخلاق، حتى يروا أبناءهم كالملائكة في طهر أرواحهم، وصفاء نفوسهم، ونقاء سريرتهم، وامتثالهم لأمر ربهم، بل يكونون قدوة صالحة لغيرهم في كل مكرمة وفضيلة وإنتاج وتضحية، وخلق وعمل صالح، وإن لم يأخذوا بالعلاج الذي وضعه الإسلام في الإصلاح والتربية، فإن الأولاد سينشئون على الفساد، ويتربون على الإجرام، بل يكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع، واستقرار الأمة، وأمن البشرية، ومن الصعوبة بمكان ردهم إلى الجادة، وتفهيمهم الحق، والسير بهم نحو معالم الخير، وطريق الهدى والصراط المستقيم[3].

---

(1) الحازمي، خالدد بن حامد: **مساويء الأخلاق وأثرها على الأمة**، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1325هـ. ص133.

(2) علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، 678/2.

(3) علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**، 138/1-139.

لقد أفرزت التربية الحديثة في العصر الراهن شباباً إغلبهم في مهب الريح، شباباً نهج على فقد الثقة بنفسه، ومجتمعه، ضعيف الإنتاج خاوي الفكر والوجدان لا يعرف له هدفاً في هذه الحياة، إن السلوك الظاهري للأفراد والذي نشاهده يبتعد كل البعد عن التربية التي عرفناها في السابق وهي ايصال الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، فأين الكمال الخلقي؟ والكمال الروحي؟ فكثرة الفساد بين الأولاد وقلة الحياء، وعدم المبالاة، وعدم السماع للنصح والإرشاد أصبحت واضحة ، وأن جهل اولياء الأمور لهدي خاتم الأنبياء في هذا الأمر- تربية الأولاد-، مما جعل حالهم من إنحطاط إلى انحطاط، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسدهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم ونصحهم وإرشادهم.

المبحث الرابع

الإبتلاء في الزوجة

شاء الله تنوع ألوان المحن والابتلاء في خلقه، وأن يبتلي عباده بالمحن والشدائد، ليرى مدى طاعتهم وصبرهم، من أجل رفع درجاتهم، وقد يمتحن الإنسان بالزوجة، إما بالعداوة أو بالكفر وعدم الإيمان أو بالعقم، أو بالمرض أو بالتمرد، وعدم الطاعة، أو بالإتهام بالعرض، وإشاعة الفاحشة، إلى آخر ما هنالك من محن وابتلاءات.

قال تعالى: "$pκš‰r'¯»tƒ šúïÏ%©!$# (#þqãZtB#u ¨bÎ) ô`ÏB öNä3Å_ºurø—r& öNà2Ï‰»s9÷rr&ur #xr߉tã öNà6©9 öNèdrâ‘x‹÷n$$sù 4 bÎ)ur (#qàÿ÷ès? (#qßsxÿóÁs?ur (#rãÏÿøós?ur ¨bÎ*sù ©!$# Ö‘qàÿxî íOŠÏm§‘" [1].

حذر الله تعالى المؤمنين من فتنة الأزواج والأولاد من أن يكونوا لهم عدواً، فالله تعالى يوجه عباده إلى أن من أزواجهم وأولادهم من يصدونهم عن الإيمان بالله، ويصدون غيرهم عن الإيمان بالله وبرسله، فإياكم أن تسمعوا لهم فيما يأمرونكم به، فقد يمتحن الرجل بأمرأته وأولاده، وامرأته به، فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل[2]، فقد امتحن الله نوحاً ولوطاً عليهما السلام بزوجتيهما، فلم تؤمنا بدعوتهما، بل خانتاهما بالكفر وعدم الإيمان، والقرابة لا تنفع صاحبها يوم القيامة، إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده، فلم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط، قربهما واتصالهما برسولي رب العالمين لأنهما لم توافقاهما على الإيمان [3].

---

(1) التغابن: آية 14.

(2) انظر: الطبري، **جامع البيان**، 116/12. ابن كثير: **تفسير القرآن**، 3/7. المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 128/28-129. مراجع سابقة.

(3) انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 62/7. ابن القيم: **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، رتبه وطبعه وخرج أحاديثه محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1993، 144/1.

ونذكر فيما يلي نموذجاً على الإبتلاء في الزوجة

زوجة نوح وزوجة لوط عليهما لسلام:

قال تعـــالى: "ŽÏÑ U $! ª BWx ï¼@ šú .ÿrã)$B•&N|çq§ 8 $B•&N|ãq Þ 2Ÿ¾FR$ BtM| ãö6‰ÏÜ Ö B ôÏ 7Ÿ$$Ŝ$

¹ |Î»sÜÈ ÙÜFR èJ$ ùÜ=Oã ãøZŠ$ ã‡ÌK$ Ö ÆšŠ$ «! ©ŽÅ$ r‰Ÿ‹@ŸŠ$ çäŸX$9Z$‘ B ì $9%Åå‰Åî,û ÈË‡Ç rÎÏŽ U Šš$!ª BWx

ïÜ@ šú ä#ŽÞq($B•&N| Üëãq c šÎ)ó %9$M ‘ ÉÅ$ÉÜÈ ‘í ãŸ%8 /•F$ î‘ $ £f Ÿþ rÅÏ_ÍÓ Ö ` ÜëãQ c šr ãJ#Ìî¾

.[1]"šú ŸÜQ9$ŸäÎ»ÎÜü šú Ö ÅŠš$ ‰)ÜQ rÅÏ_ÍÓ

قال ابن القّيم: إن هذه الآيات اشتملت على ثلاثة أمثال: مثال للكفار، ومثالين للمؤمنين، ويتضمن مثال الكفار أن الكافر يعاقب على كفره، وعداوته لله ورسوله وأوليائه، ولا ينفعه مع كفـــره مـــا كان بينه وبين المؤمنين من لحمة ونسب أو صهر، أو سبب مـــن أســـباب الاتـــصال، ذلـــك أن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة، إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده، وعلى أيدي رســـله الكـــرام، فلو نفعت القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعت الصلة التـــي كانـــت بـــين نـــوح وامرأته ولوط وأمراته، ولهذا قال تعالى في ذلك "ÙÜ=Oã ãøZŠ$ ã‡ÌK$ Ö ÆšŠ$ «! ©ŽÅ$"، فقطعت الآيـــة حينئذ طمع كل إنسان عصى الله تعالى، وخالف أمره، ورجا أن ينفعه صلاح غيره من قريب أو بعيد، إن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئاً في الآخرة، وإن تضرر بهما في الـــدنيا بـــسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض، ولهذا لم يضر امرأة فرعون اتـــصالها بـــه وهـــو مـــن أكفـــر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح وامرأة لوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين[2].

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى "ÙÜFR èJ$"، أي في الإيمان لم توافقاهما علـــى الإيمـــان ولا صدقتاهما في الرسالة، فلم يجد ذلك كله شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً، وليس المراد فخانتاهمـــا في فاحشة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبيـــاء،

---

(1) التحريم: الآيتان 10-11.

(2) ابن القيم: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، 144/1-145. مرجع سابق.

فعن ابن عباس –رضي الله عنه–[1]، كان يقول في هذه الآية: "ما زنتا"؛ أمّا خيانة امرأة نـوح، فكانت تخبر قومه أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط، فكانت تدل قومها علـى أضـيافه، وفـي رواية لابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما بغت امرأة نبي قـط إنمـا كانـت خيانتهمـا فـي الدين"[2]. قال الشوكاني[3]: "وقد وقع الإجماع على أنه ما زنت امرأة نبي قط"[4].

مما سبق يتبين لنا: أن المحنة في الزوجة كانت بسبب كفرها، وعدم إيمانها بالله وبدعوة رسـله، وأنه لا ينفعها قرب النسب، أو القرابة، أو أنها زوجة نبي، وهاتان المرأتان امرأة نـوح وامـرأة لوط لم تؤمنا بالله ولا برسله، بل كانتا عوناً لقومهما للبعد عن الإيمان، والوقوف عقبـة أمامـه، بأن كانت زوجة نوح تقول عنه لقومها إنه مجنون، وتسخر منه ومن دعوته وامرأة لوط كانـت تسخر منه ومن دعوته، وتدل قومها على أضيافه لعمل المنكر، فليس هناك محنـة أشـد علـى الأنبياء من أن تكون زوجته عوناً للكافرين على أهل الإيمان، فالرابطة الحقيقية بـين المـؤمنين هي رابطة العقيدة وليست القرابة أو النسب.

(1) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو العباس القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يسمى حبر الأمة توفي بالطائف 68هـ، وهو ابن 70سنة. انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 3/291–295.

(2) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 7/62–63. انظر: القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 131/18.

(3) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء توفي سنة 1250هـ، في صنعاء. انظر: **الأعلام**، مرجع سابق، 298/6.

(4) الشوكاني: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدّراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1964، 255/5.

الفصل الثالث

الابتلاء وضروبه

يتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإبتلاء في العقيدة

1. ابتلاء أيوب عليه السلام
2. ابتلاء أصحاب الأخدود

المبحث الثاني: الابتلاء في الطاعة

1. ابتلاء إبراهيم عليه السلام (بتكاليف خاصة)
2. ابتلاء يونس عليه السلام

المبحث الثالث: الابتلاء في النعم

1. ابتلاء بني إسرائيل بالنعم
2. ابتلاء أصحاب الجنة

الفصل الثالث

الابتلاء وضروبه

شاء الله تبارك وتعالى أنْ يبتلي عباده بضروب وألوان شتّى من المحن والابتلاءات، لا لينتقم منهم بل لأنه يحبهم، ولا يدرك هذا إلا المؤمنون به، ولعل الله جلّ وعلا أراد أن يمتحن عباده بتكاليف وأوامر ونواه لينظر مدى صبرهم عليها، ومعرفة مدى تحملهم وطاعتهم وإخلاصهم في العبادة، فمن السنن الجارية في هذه الحياة أن يتعرض المؤمنون للأذى والمحن والمكائد لامتحان إيمانهم، ولكشف الصادقين منهم من الكاذبين.

فتارة يبتلي عباده بالطاعات ليرى مدى التزامهم بالطاعة والاستسلام لله والرضا واليقين والانقياد لحكم الله وتكاليفه، والتسليم بقضاء الله وقدره، ومعرفة مدى صبرهم وقوة إيمانهم، وتارة يبتلي عباده بالنعم الكثيرة المتنوعة ليرى مدى قيامهم بواجب الشكر لها، وعدم الكفر بها، وأداء حقوق الله فيها، وحقوق عباده، فأساس الشكر مبني على خمس قواعد، كما قال ابن القيم وهي: "خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره"[1]، وهذا هو منهج المؤمنين ومسلكهم في الحياة الدنيا، وتارة يبتلي عباده ليرى قوة إيمانهم ومدى تمسكهم بالعقيدة والثبات على المبدأ، ومعرفة مقدار رسوخ هذه العقيدة في النفوس، والتسليم لأمر الله تعالى والإيمان بقضائه وقدره، وأن ما يصيبه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الله تعالى يربي عبده على السّراء والضّراء، والنعمة والبلاء، ليستخرج منه العبودية في جميع الأحوال، ذلك أن العقيدة إذا رسخت في النفس، وحلّت في القلب، لا تزحزحها صنوف الشدة والبلاء، ولا ألوان المحنة والابتلاء.

---

(1) ابن القيم: **مدارج السالكين**، مرجع سابق، 244/2.

المبحث الأول

الابتلاء في العقيدة

1. ابتلاء أيوب عليه السلام

كان نبي الله أيوب –عليه السلام– من عباد الله الصالحين الأوابين، وقد ابتلاه الله تعالى بالضراء في بدنه وماله وأهله، فقاسى من فنون الشدائد والمحن ما قاسى، ولكنه ظل على صلته بالله عز وجل، وثقة به، ورجائه في رحمته، محتملاً للأذى، صابراً على الضراء والبلاء، راضياً بقضاء الله وقدره. لقد كان –عليه السلام– مثالاً للعبودية الحقة لله تعالى في السّراء والضّراء. فلم يضق صدره بالبلاء، ولم يسأم من الآلام والأسقام، ولم تبد عليه علامات السخط، ولم يخرج عن طاعة ربه، بل ظل راسخ العقيدة، صابراً شاكراً محتسباً، حتى أصبح يضرب به المثل في الصبر على المكاره، وأضحت قصة ابتلائه وصبره عبرةً للصابرين وعزاء للمكروبين، وسلوى للمرضى والمحرومين، فلا غرو أن أثنى الله تبارك وتعالى عليه وسجّل له هذه الفضائل في القرآن الكريم، فأظهر مكانته في قوة العقيدة والعزيمة.

قال تعالى: "[illegible]"[1].

هذا النص الكريم يشير إلى مجمل قصة أيوب –عليه السلام– وصبره دون تفصيل، ومنها يتبيّن أنه –عليه السلام– ابتلي بالضُّرِّ بلاءً شديداً في أهله وماله وولده ونفسه، ولكن ما أصابه من ضر في بدنه ليس من الأمراض التي تلقاها الناس بألسنتهم، ورواه بعضهم عن بعض وخاصّة ما حكته الإسرائيليات والروايات المكذوبة من أنه –عليه السلام– ابتلي في جسده بأنواع البلاء، وأن قومه طردوه خارج البلد... فكل هذا افتراء عليه وكذب، لأنه مستحيل على رسل الله أن يصابوا بمثل هذه الأمراض المزعومة.

---

(1) الأنبياء: الآيتان 83-84.

قال المراغي: "وما روي من مقدار ما لحقه من ضُرّ في نفسه وصل إلى حد النفــرة منـــه، وأن الناس قد طردوه من مقامه إلى ظاهر المدينة، ولم يكن يتصل به إلا امرأته التـــي تـــذهب إليـــه بالزاد والقوت، فكل ذلك من الإسرائيليات المكذوبة، لأنه ليس لها سند صحيح يؤيدها، ولأن من شروط النبوة ألا يكون في النبي من الأمراض والأسقام ما ينفّر الناس منه، لأنه متى كان ذلك لا يستطيع الاتصال بالناس، وتبليغ الشرائع والأحكام"[1].

هذا، وقد تحمّل أيوب –عليه السلام– صنوف الشدة والمحنة والابتلاء، ولّما طـــال ذلـــك عليـــه واشتد حاله، توجه إلى ربه بالشكوى مما يلقى من إيذاء الشيطان، وكان توجهه إلـــى الله تعـــالى بثقة وأدب، حيث ناداه متضرعاً إليه، داعياً له بأسمائه الحسنى، وصفاته العليـــا، فـــأظهر نفـــسه بالحاجة والضعف، وذكر ربه بما هو أهله.

"ولا بد أن يعلم المصاب، أن الذي ابتلاه بمصيبة، أحكم الحاكمين، وأرحـــم الـــراحمين، وأنـــه سبحانه لم يرسل البلاء ليهلكه به، ولا ليعذبه؛ وإنّما افتقده به ليمـــتحن صـــبره ورضـــاه عنـــه وإيمانه، وليسمع تضّرعه وابتهاله وليراه طريحاً على بابه، لائذاً بجانبه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه"[2].

قال سيد قطب: " رفع عنه الضرَّ في بدنه فإذا هو معافى صحيح، ورفع عنه الضرّ فـــي أهلـــه فعّوضه عمن فقد منهم، ورزقه مثلهم، وقيل: هم أبناؤه فوهب الله له مثليهم، أو أنه وهب له أبناء وأحفاداً. "رحمة من عندنا"، فكل نعمة رحمة من عند الله ومنّة "وذكرى للعابدين" تـــذكرهم بـــالله وابتلائه، ورحمته في الابتلاء وبعد الابتلاء، وإنّ في ابتلاء أيوب لمثلاً للبشرية كلها، وإن فـــي صبر أيوب لعبرة للبشرية كلها، وإنه لأفق للصبر والأدب، وحسن العاقبة تتطلع إليه الأبصار.

والإشارة "للعابدين" بمناسبة البلاء إشارة لها مغزاها، فالعابدون معرّضون للابتلاء والبلاء، وتلك تكاليف العبادة وتكاليف العقيدة وتكاليف الإيمان، والأمر جدّ لا لعب. والعقيدة أمانة لا تـــسلّم إلا

(1) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 61/17.

(2) الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن محمد المنبجي (ت785هـ): **تسلية أهل المصائب**، شرح وتعليق محمد حسن الحمصي، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط3، 1988، ص213.

للأمناء القادرين عليها، المستعدين لتكاليفها، وليست كلمة تقولها الشفاه ولا دعوى يدعيها من يشاء، ولا بد من الصبر ليجتاز العابدون البلاء"[1].

وقد كان نبي الله أيوب –عليه السلام– غاية في الصبر على البلاء والامتحان والفتنة حتى أثنى الله تعالى عليه ومدحه، وشرّفه بهذا الوصف الكريم "إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب"، فهو عليه السلام لم يجزع ولم يشكُ بثَّه وحزنه إلى أحد من خلق الله، وإنما دعا ربه ووصف حاله وضعفه، ولعل هذا مما لا ينافي رضاءه بقضاء الله تعالى وقدره.

قال أبو السعود: "وجده الله صابراً فيما أصابه في النفس والأهل والمال، وليس في شكواه إليه تعالى إخلال بذلك؛ لأنه لا يُسمىَّ جزعاً، كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين، حيث كان الشيطان يوسوس إلى قومه بأنه –عليه السلام– لو كان نبياً لما أُبتلي بمثل ما أُبتلي به"[2].

يقول ابن القيم: والصبر على البلاء ينشأ من عدة أسباب منها[3]:

1. أن يعلم أن المصيبة ما جاءت لتهلكه وتقتله وإنما جاءت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبين حينئذ هل يصلح لاستخلافه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت؛ اصطفاه واجتباه، وجعل أولياءه وحزبه خدماً وعوناً له، وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طرد وضرب قفاه وأقصي، وتضاعفت عليه المصيبة وهو لا يشعر.

2. أن يعلم أن الله يربي عبده على السراء والضراء، والنعمة والبلاء؛ فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال، فإن العبد على الحقيقة من قام بعبوديه الله على اختلاف الأحوال وأما عبد السّراء والعافية الذي يعبد الله على حرف، فإن أَصابه خير أطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فليس من عبيده الذين اختارهم لعبوديته، فلا ريب أن الإيمان الذي يثبت على محل الابتلاء والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأما

---

(1) سيد قطب: **الظلال**، 2392/4.

(2) أبو السعود: **تفسير أبو السعود**، مرجع سابق، 365/5.

(3) ابن القيم: **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص356–358.

إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبد ويبلغه منازل المؤمنين، وإنما يصحبه إيمان يثبت على البلاء والعافية، فالابتلاء كير العبد ومحك إيمانه فإما أن يخرج تبراً أحمر وإما أن يخرج رغلاً محضاً، وإمّا أن يخرج فيه مادتان ذهبية ونحاسية فلا يزال به البلاء حتى يخرج المادة النحاسية من ذهبه ويبقى ذهباً خالصاً.

ما يستفاد من قصة ابتلاء أيوب -عليه السلام-

1. إن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع وميل النفوس، وحكم العادة، وتزين الشيطان، واستيلاء الغفلة، ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى، فلو تركت في عافية مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحصَّ منها، فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلاء ما يكون كالدواء لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده، خيف عليه من الفساد والهلاك[1].

2. وجوب حسن معاملة الزوجة، فإن أيوب كان براً بزوجته في حال غناه وصحته، وقد أحسنت زوجته عشرته أيام محنته، وقد حصلت منها أخطاء أقسم على إثرها أن يؤدِّبها، لكن الله أمره أن لا يفعل وفاءً لحقها عنده وجعل له رخصة[2] سهلة ليتحلّل بها من قسمه[3].

مما سبق يتبين لنا: أن قصة ابتلاء أيوب بالضراء،وصبره على البلاء،في مضمونها تدل دلالة واضحة على أن العقيدة السليمة إذا رسخت في النفس، وحلّت في القلب، لا تزحزحها صنوف الشدة والبلاء، ولا ألوان المحنة والابتلاء، فنبي الله أيوب -عليه السلام- لاقى ما لا قى من الآلام والشدائد والمكاره واحتمل ذلك حين تعرض للفتنة والابتلاء في نفسه وماله وأهله، فكان

---

(1) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 137/1-238.

(2) فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط. فقيل حلفه ذلك لبيعها ظفائرها، وقيل لأنه عرضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء أيوب فأتته فأخبرته فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط، فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثاً "وهي الشماريخ بما عليها من الثمر" فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة ويكون هذا منزلاً منزلة الضرب مائة سوط، ويبر بيمينه ولا يحنث، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة، المكابدة|، الصديقة البارة الراشدة. ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص170-171.

(3) طبارة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص213.

هذا البلاء اختباراً من الله جل وعلا، وامتحانا لجوهر عقيدته، ودرجة تغلغلها في نفسه، ونتيجة لهذا الاختبار والامتحان، وجد الله تعالى عبده أيوب صابراً، ثابتاً، منيباً، متواضعاً، مستكيناً، لم يزده البلاء والشدة إلا إيماناً وتسليماً واحتساباً وحمداً وشكراً، فكان عليه السلام أن رحمه الله تعالى، وأنعم عليه، وأحسن عاقبته، وخلد ذكره في القرآن الكريم، وجعله موضع اقتداء وتأسٍ للمؤمنين، فيما اختص به من فضيلة الصبر الجميل.

2. إبتلاء أصحاب الأخدود

من السنن الجارية أن يتعرَّض المؤمنون للأذى والمحن والمكائد، لامتحان إيمانهم وتحقيقه، ولكشف الصادقين والكاذبين بالفتنة والابتلاء، ولعل بطش أصحاب الأخدود بالمؤمنين كان لوناً من تلك الفتنة وصنفاً من هذا البلاء، فهم قد تعرضوا للأذى والموت حرقاً بأيدي أعدائهم البغاة الطغاة المفسدين، الذين أرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ويتركوا عقيدتهم، ولكن المؤمنين وقفوا بإيمانهم كالجبال الشمّ، متحدّين الطّغاة القساة الأشرار، مستعدين لكل شر يصيبهم في سبيل الله، على الرغم من أنهم لم يجدوا النصير الذي يساندهم ويدفع عنهم، ولم يملكوا النصر والمنعة لأنفسهم، ولم يجدوا القوة التي يواجهون بها الطغاة، فضحوا بحياتهم راضين، واحتملوا العذاب والألم ثابتين صابرين، مطمئنين؛ من أجل انتصار عقديتهم، ولإيثارهم رضوان الله تبارك وتعالى على متاع الحياة الفانية في ظل العبودية، وعدم الارتداد عن الدين.

قال الله تعالى: "[illegible]"(1).

(1) البروج: الآيات 1-11.

وقد اختلف المفسرون في أهل هذه القصة، من هم؟ ولعل أصح الأقوال هو ما رواه مسلم بسنده عن صهيب[1] -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلماّ كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكى ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتَلىَ، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ. وكان الغلام يُبرئ الأكمه[2]، والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فإن أنت أمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: إرجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام، فقيل له: إرجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللهم أكفينيهم بم شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل

(1) هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندله، لقب بالرومي، لأن الروم سبوه وهو صغير ونشأ عندهم، توفي في المدينة (38هـ). انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 3/38-39.

(2) الأكمه: الذي خلق أعمى.

أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه فوق قُرقُـور[1]، فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم أكفينيهم بما شئت، فانكفأت[2] بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع النّاس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم تأخذ سهماً من كنانتي[3] ثم ضع السهم في كبد القوس[4] ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغيه[5]، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حَذَرُك[6]، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود[7] في أفواه السكك[8] فَخُدّت[9] وأضرم النيران، وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه[10] فيها أو قيل

---

(1) قرقور: سفينة صغيرة، وقيل هي السفينة أو الطويلة وجمعه قراقير. **لسان العرب**، مرجع سابق، 90/5. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 736/2. انظر: معجم اللغة العربية: **المحيط**، 166/1.

(2) انكفأت: انقلبت أو مالت ورجعت. **لسان العرب**، مرجع سابق، 12/1. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 797/2.

(3) كنانتي: جعبة من جلد أو خشب تجعل فيها السهم ومنها كنائن وكنانات. **لسان العرب**، مرجع سابق، 361/13. **المعجم الوسيط**، 808/2.

(4) كبد القوس: مقبضها عند الرمي. وهي ما بين طرفي مقبضها ومجرى السهم منها. **لسان العرب**، مرجع سابق، 375/3. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 778/2.

(5) صُدغيه: جمعه أصْدَاغ، وهو ما بين العين والأذن، وهما صُدْغان. **لسان العرب**، مرجع سابق، 439/8. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 512/1.

(6) حَذُرك: أي ما كنت تحذر منه وتخاف. **لسان العرب**، مرجع سابق، 175/4. **المعجم الوسيط**، مصدر سابق، 162/1.

(7) الأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض، وجمعه أخاديد. **لسان العرب**، مرجع سابق، 160/6. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 219/1.

(8) أفواه السكك: أبواب الطرق والجمع فوهات وفوائه. **لسان العرب**، مرجع سابق، 530/13. **المعجم الوسيط**. مرجع سابق، 714/2.

(9) فَخُدَّت: شقت وجعلت في الأرض حفراً مستطيلة. **لسان العرب**، مرجع سابق، 160/3. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 218/1.

(10) فأحموه فيها: ارموه فيها من قولهم حميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى. **لسان العرب**، مرجع سابق، 198/14. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 199/1..

له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[1] أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّة اصبري فإنك على الحق"[2].

فقد بطش هؤلاء الطغاة المتجبّرون بالمؤمنين والمؤمنات، واشتدوا في إيذائهم حتى شقوا لهم في الأرض شقاً عظيماً كالخندق وملأوه بالحطب، ثم أشعلوا فيه النار وقذفوهم فيها، ولم تأخذهم بهم رأفة بل أحدقوا بالنار قاعدين على حافة الأخدود يتشفّون برؤية ما يحلّ بالمؤمنين من فتنة النار والحريق ومع هذا فقد صبر المؤمنون على الأذى، ورضوا بعذاب الدنيا عن العودة إلـــى ملـــة الكفر والضلال.

وهذه فعلة أليمة فظيعة تقشعر لبشاعتها الجلود والأبدان، وتنفر منها المشاعر والضمائر، وذلـــك هو ديدن الأشقياء الكفرة من أعداء الله في كل زمان ومكان، أولئك الذين يعذبون المؤمنين مـــن عباد الله من أجل استمساكهم بعقيدة الحق، عقيدة التوحيد الخالص والإذعان الكامـــل لله وحـــده. ومن أجل هذه الفعلة الأثيمة المنكره أقسم الله الكريم العظيم ليبطشنّ بالقتلـــه المجـــرمين الـــذين عذّبوا المؤمنين، متوعداً متهدداً هؤلاء الطغاة المجـــرمين "Šqãq(#$Qçx‰$# ÇÊÈ Ÿ@ÏFè% Ü=»ptõ¾r& ÏŠrß‰÷{W$#" وقوله "Ÿ@ÏFè% Ü=»ptõ¾r& ÏŠrß‰÷{W$# ÇÍÈ Í‘$¨Z9$# ÏN#sŒ ÏŠqè%uqø9$# ÇÎÈ"[3]. جواب القسم وتقديره لقد قتل أصحاب الأخدود وهو يتضمن معنى الدعاء أي لعن أصحاب الأخدود فكأنّه أقسم بـــذلك على أنّ أصحاب الأخدود ملعونون بفعلتهم النكراء وهي حرقهم المؤمنين بسبب إيمانهم[4].

قال القرطبي: "أعلَم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية ما كان يلقاه مـــن وَحَّـــدَ قبلهم من الشدائد؛ يؤنسهم بذلك. وذكر لهم النبي –صلى الله عليه وسلم– قصة الغلام؛ ليـــصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها؛ ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره

---

(1) فتقاعست: أي توقفت ورجعت إلى الخلف، ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار. **لسان العرب**، مرجع سابق، 177/6. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 755/2.

(2) رواه مسلم: صحيح مسلم. كتاب الزهد والرقائق، باب أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث رقم (7436)، مرجع سابق، 330/18-332.

(3) البروج: آية 1-4.

(4) أمير، عبد العزيز: **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، دار السلام، القاهرة، ط1، 2000. 3536/6.

وتصلبه في الحق وتمسكه به، وبذله نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الـدين مـع صغر سنه، وعظم صبره، وكذلك الراهب صبر على التمسّك بالحق حتى نُشر بالمنشار، وكذلك كثير من الناس لما أمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولـم يرجعوا عن دينهم"[1].

لقد كان الله قادراً على أن يقضي على الذين كفروا قبل ارتكاب هذه الجريمة البـشعة، ولكنـه أراد أن يبتلي الفئة المؤمنة بهؤلاء الطغاة المتجبرين ابتلاء تقدر به منازلهم قال تعالى: "ãö$±„ q9r $! ªw]GR Ç¤ Öq¤B Nà9r `Å» ¤qèx/ ‹Ö è/ Nà6 Ï7è Ù"[2]، أي ولو شاء لانتصر من أصحاب الأخدود قبل تعذيب المؤمنين، كما انتصر من بعض الكافرين بالطوفان والغرق والصيحة والريح العقيم والخسف، بل لو شاء لانتصر منهم بغير هذه الأسباب ولكنه سبحانه إنما يريد أن يبتلي المؤمنين بالشّدة والخوف والقتل والتعذيب؛ ليبسر لهم أسباب الثواب العظيم، وليعلم الذين آمنـوا فيختـار منهم شهداء يستخلصهم لنفسه سبحانه ويخصّهم بقربه.

ما يستفاد من قصة أصحاب الأخدود[3]:

1. إن الإيمان بالله أمانة الله في الأرض لا يحملها إلا من هم لها أهل، فهي أمانة كريمة وثقيلـة وهي أمر الله يضطلع بها الناس ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يـصبر علـى الابـتلاء، والفتنة سُنّة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف.
2. ترسم القصة صورة مضيئة للإيمان بالعقيدة والثبات عليها والتضحية في سبيلها، ومواجهـة الأهوال من أجل نصرتها حتى لو كان ذلك الهول هو الموت في أقسى وأبشع صورة علـى أيدي الطغاة المجرمين.

---

(1) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 193/19.

(2) محمد: آية 4.

(3) انظر: سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 3871/6-3875، أبو فارس: **الابتلاء والمحن في الدعوات**، مرجع سابق، ص159-177. وانظر بتوسع، الحمصي، أحمد فائز: قصص الرحمن **في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1995، 317/4-340. انظر: سيد قطب: **معالم في الطريق**، فصل هذا الدين، (نقطة 5-8)، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1981، ص173-174. انظر: ناصر سليمان العمر: **حقيقة الانتصار** (نقطة 7-8)، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1412هـ، ص13-14.

3. إن الصراع بين الدعاة إلى الحق، وبين الباطل وأهله، مواجهة فعلية بين قوتين، قوة الملك وقوة أهل "الدعوة الجديدة" وما حدث في ذلك من تنكيل وإرهاب وقتل لأهل الدعوة... ومثل ما يحصل للدعاة والمؤمنين في كل زمان ومكان... إذ يواجه المؤمنون من الطغاة تنكيلاً وإرهاباً وتعذيباً، ولكن كل ذلك لا يصدهم عن دينهم، لأنهم يعرفون أنّ هذا هو الطريق، فهم يصدقون الله على العهد، عهد الإيمان، وما بدّلوا تبديلاً.

4. ضرورة الصبر عند البلاء في سبيل الثبات على المبدأ، وعدم الحيد عنه مهما كلفّ ذلك من عناء التّعذيب، وحتى لو قتل أمامه من قتل إرهاباً كما فعل الملك بالرّاهب، والجليس حين شقّهما بالمنشار أمام الغلام، ولكنه لم يرجع عن دينه.

5. أراد الغلام أن يعلّم الناس درساً بليغاً معبراً مفاده أن الموت بيد الله وحده وأنه لا علاقة له بإرهاب الطغاة وتسلُّطهم، فالذي يهب الحياة هو الله الذي يعرف سرها ويملك أن يهبها ويستردها، والأشرار قد يكونون سبباً وأداة لإزهاق الحياة ولكنهم ليسوا الذين يُجرّدُون الحي من حياته على وجه الحقيقة. إنما الله هو الذي يحي ويميت وحده دون سواه.

6. هذه القصة تُعرّف المسلمين على مشيئة الله الطليقة، وأن الإنسان لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه وبهذا التصور الصحيح تستريح القلوب، وتستقر الضمائر على حقيقة السنن الجارية في الكون، وعلى حقيقة قدر الله في الأمور، وعلى حقيقة حكمة الله من وراء التقدير القدير، ثم على حقيقة الأجل المكتوب، والموت المقدور الذي لا يؤجله قعود، ولا يقدّمه خروج، ولا يمنعه حرص ولا حذر.

7. إن الثبات على العقيدة والمبدأ هو الانتصار، برغم أقسى مظاهر العنف والإرهاب والقتل بالنار، وهذه حقيقة كونية، انطلقت من بين شفتي طفل صغير، لم يبلغ القدرة على الكلام، ولكن قدرة الله المهيمنة على الكون وقوانينه تُنطقه ليُعلن الانتصار الحقيقي لأصحاب الأخدود وهم يلقون بأنفسهم في النار؛ اصبري فإنك على الحق.

إن هذه القصة فيها مواساة للمسلمين حين يعلموا ما كان يحدث لأتباع الرسل من التعذيب والآلام والعنت والمشقة، وأنهم ليسوا وحدهم الذين يتعرضون للمحن والابتلاء، فلن يجزعوا وتذهب أنفسهم حزناً، بل يصبروا ويُصابروا على ما هم عليه كما صبر الذين سبقوهم.

المبحث الثاني

الابتلاء في الطاعة

1. ابتلاء إبراهيم عليه السلام (بتكاليف خاصة):

لقد ابتلى الله تعالى إبراهيم عليه السلام بأنواع من الابتلاء، وامتحنه بــضروب مــن الامتحـــان فصبر؛ وكان في إيمانه قوياً ثابتاً، لم يتزعزع ولم يضطرب، ولم يدخل إليه وهــن أو ضـــعف، ولعل أشد هذه المحن عليه كان حين أمر بذبح ابنه، ولكنه كان عبداً شكوراً، طائعـــاً لله تعـــالى، مذعناً لأوامر ربه، ومن ثم جعله الله عز وجل أمة بمفرده قال تعالى: "ÒbÎ) tLìÏdºtö/Î) tb%x. Zp¨Bé& \$YGÏR\$s%

¬! \$Z\ÿÏZym óOs9ur à7t \`ÏB tûüÏ.Îô³ßJø9\$# ÇÊËÉÈ #\Å2\$© ÏmÏJãèRL{ 4 çm8u;tFô_\$# çm1y\$ydur 4n<Î) :ÞºuÅÀ 5OÉ)tGó¡B ÇÊËÊÈ

çm»oY÷s?#uäur Îû \$u÷R9\$# ZpuZ|¡ym (¼çm¯RÎ)ur Îû ÍotÅzFy\$# z`ÏJs9 tûüÅsÎ=»¢Á9\$#"[1]، وفي هذا المبحث نتحدث عن لونين من ابتلاءاته:

أ. وفاء إبراهيم عليه السلام لله سبحانه وتعالى:

من الاختبارات التي تعرض لها خليل الرحمن أن اختبره الله تعالى، وابتلاه بتكـــاليف شـــرعية، وأوامر ونواه، فأتمها وقام بواجبها حق القيام، قال تعـــالى: "ÏŒÎ)ur #'n?tGö/\$# zN¿Ïdºtö/Î) ¼çmš/u' ;M»yJÎ=s3Î/ £`ßgJ§?r'sù

(tA\$s% 'ÎoTÎ) y7è=Ïæ\$y_ Ĩ\$¨Y=Ï9 \$YB\$tBÎ) (tA\$s% \`ÏBur ÓÉL§Íhè (tA\$s% Ÿw ãA\$uZtƒ ÏŠÏôgtã tûüÏJÎ=»©à9\$#"[2].

قال الرازي: "حكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أموراً توجب علـــى المـــشركين، وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد –صلى الله عليه وسلم–، والاعتراف بدينـــه والانقيـــاد لشرعه، وبيانه من وجوه:

أولاً: أن الله تعالى أمره ببعض التكاليف، فلما وفىّ بها، وخرج عن عهدتها، لا جـــرم أن نـــال النبوة والإمامة، وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين، على أنّ الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرّد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

---

(1) النحل: آية 120–122.

(2) البقرة: آية 124.

وثانياً: أنه تعالى قال له بعد أن طلب الإمامة لأولاده: "لا ينال عهدي الظالمين" فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرّياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب، وجب عليهم ترك اللّجاج والتّعصب للباطل.

ثالثاً: أنّ من المفسرين من فسّر الكلمات التي ابتلى الله تعالى إبراهيم بها بأمور ترجع حاصلها إلى تنظيف البدن، وذلك مما يوجب على المشركين اختيار هذه الطريقة؛ لأنهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم –عليه السلام– ويوجب عليهم ذلك ترك ما كانوا عليه من التلطّخ بالدماء وترك النظافة(1).

وقال ابن كثير "لما وفّى إبراهيم –عليه السلام– ما أمره ربه به من التكاليف العظيمة جعله للناس إماماً يقتدون به ويأتمّون بهديه، وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة بسببه، وباقية في نسبه وخالدة في عقبه، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه الإمامة بزمام، واستثنى من نيلها الظالمون، واختص بها من ذريته العلماء العاملون، كما قال تعالى: " >qàè/r ,»sõ'Î ¾ä $Yõdrr
ûüÅ sÎ»¢Á 9$ `Ü9 ó•Å F$'Î ¾çRÎr $‹R‰9$'Î ¾ç•ô_ & çY•?#är |=»GÅ3ø9$ ο§qç7‘9$ ÏmGƒÍhè 'Î $Zèe_r"(2)(3).

ويقول الشعراوي(4): "أي أنّ الله تعالى اختبره بتشريعات فأتمها على وجهها الصحيح، فكان جزاؤه أن الله جعله للناس إماماً، فكأن الله تعالى قد ائتمنه على الدين فجعله إماماً للناس"(5).

وقد اختلف العلماء في المراد بالكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم –عليه السلام– على أقوال، حصرها ابن العربي(6) في قولين:

---

(1) الرازي: **التفسير الكبير**، مرجع سابق، 31/4.

(2) العنكبوت: آية 27.

(3) ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص113.

(4) هو محمد متولي الشراوي، ولد بقرية دقادوس، محافظة الدقهلية بالقاهرة، سنة 1911م، اشتهر بـ**تفسير القرآن** (خواطري حول القرآن) توفي في القاهرة سنة 1999م. انظر: الشعراوي، **قصص الأنبياء**، 12/1-14.

(5) الشعراوي: **قصص الأنبياء**، مرجع سابق، 485/1.

(6) هومحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي الاشبيلي المالكي المعروف بابن العربي (أبو بكر) عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول، ولد في اشبيليه 468هـ، وتوفي 543هـ، ودفن بفاس. انظر: **معجم المؤلفين**، عمر رضا كحالة، مرجع سابق، 242/5.

"أحدهما: أنها شريعة الإسلام، فأكملها إبراهيم -عليه السلام- وثانيهما: أنّها الفطرة التي أوعز الله تعالى بها إليه ورتبها عليه"[1].

قال الطبري: "هي خصال عشر من سنن الإسلام، وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبرهيم ربّه بكلمات فأتمّهن"، قال: "ابتلاه الله بالطهارة، خمس في الرأس، وخمس في الجسد، في الرأس قص الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسّواك، وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظافر وحلق العانة، والختان، ونتف الإبط، وغسل أثر الغائط والبول بالماء"[2].

وبعد دراسة آقوال العلماء السابقين يتبين لنا: أن المراد بالكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام أنها شريعة الإسلام وما جاء فيها من تشريعات وتكاليف قد أتمها إبراهيم- عليه السلام - على وجهها الصحيح، والذي نال بها شرف التكليف، فكان جزاءه أن جعله الله للناس إماماً يقتدون به ويأتمون بهديه.

ب. ابتلاء إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل -عليهما السلام-

من نماذج الابتلاء بالطاعة، والصبر على تكميل النفس، وعلى طاعة الله تعالى فيما أمر مهما يكن وراء أمره سبحانه من مخاطر وتضحيات -من هذا اللون-، ابتلاء إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل، حيث كان ولده البكر وابنه الوحيد.

فلما شب إسماعيل -عليه السلام- وأطاق السّعي والعمل، رأى والده الخليل -عليه السلام- في المنام أنه يذبحه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(1) ابن العربي: **أحكام القرآن**، ق1، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، د.ط، د.ت، 36/1.

(2) الطبري: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 572/1. أخرجه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، 266/2. ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص118.

"رؤيا الأنبياء وحَيٌ"[1]، ففهم الإشارة، وعرف المراد، فعزم على تنفيذ أمر الله تعالى، ولم يثنه عن عزمه أنه ابنه الذي لا ابن له سواه في ذلك الحين.

فتنة إثر فتنة، ومحنة تتلوها محنة: شيخ هَرِمْ، جالدالأيام، وعرك الدهر، واحنته السُّنون، قد كان طول حياته يأمل الولد، حتى إذا بلغ من الكبر عتياً، رزقه الله بغلام وحيد: قرّت به عينه، وأشرقت له نفسه، ثم أمر بأن يسكنه بواد غير ذي زرع، ويتركه وأمه في مكان قفر، ليس به حسيس ولا أنيس، وامتثل لأمر الله، وتركهما هناك ثقة بالله، وإيماناً به، وإطاعة لأمره، فجعل الله لهما من ضيقهما فرجاً ومخرجاً، ورزقهما من حيث لم يحتسبا، ثم يُؤمر بذبح الولد العزيز، الذي هو بكره ووحيده! إن هذه المحنة تنوء بها الجبال الرّاسيات، ولكن العظائم كفؤها العظماء، فعلا قدر إبراهيم، وعلت منزلته، وعلا مقدار ثبات يقينه، وكمال إيمانه يكون ابتلاؤه واختباره"[2].

قال تعالى: "[illegible] [3] [illegible]"[4].

قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك، ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده، وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه، "قال يا أبت افعل ما تؤمر" أي أمض لما أمرك الله في ذبحي "ستجدني إن شاء الله من الصابرين" أي سأصبر واحتسب ذلك عند الله عز وجل، وصدق

---

(1) رواه البخاري: **فتح الباري**، كتاب مواقيت الصلاة: باب وضوء الصبيان ومتى يجب عليه الغسل... حديث رقم 859، 411/2.

(2) محمد أحمد جاد المولى وزملاؤه: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص52.

(3) الحليم: هو الذي يضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب، وجمعه أحلام، قال تعالى: "أم تأمرهم أحلامهم بهذا" الطور: آية 32. قيل معناه عقولهم وليس في الحقيقة من العقل ولكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل. وقوله فبشرناه بغلام عليم" الصافات: آية 101، أي وجدت فيه قوة في الحلم. انظر الراغب، **مفردات القرآن**، ص253، مرجع سابق.

(4) الصافات: الآيتان 101-111.

عليه السلام فيما وعد، ولهذا قال الله تعـالى: "b‰.r ‰ãq$-Š$ ¹ b‰. ¼çR¯ ®Š$»yè¯ÿ ‰ É »GÅ$' Î ãèø$"
' ‰qß™u‘ $‹Î;¯R"[(1)(2)].

قال الألوسي: "وإنما شاوره في ذلك وهو حتم؛ ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله عـز وجـل، فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلم، وليوطّن نفسه عليه، فيهون عليه ويكتـسب المثوبـة بالانقياد لأمر الله تعالى، قبل نزوله، وليكون سنّة في المشاورة"[3].

وفي قوله: " ‰$A ¯'/M$Ï$ø@ è@ $B ã$Bs‰ F™ ‰Î'Ü bÎ) ©$!$$ ª! $` Ë 9$#Á ¯ïû " توقير وبر عظيم بوالـده، وتوفيق من الله كبير، وإيمان وثيق، ونفس راضية بما قضى الله وقـدر. وهنـا تبـدو عظمـة التضحية والطاعة والإستسلام لله والرضا واليقين.

إنها العبودية لله تعالى على أكمل صورها من الأب والابن معاً، الأب يصمم على تنفيذ أمر ربه، والإبن يبادر بالطاعة، ويكون عوناً على تنفيذ أمر الله، ويحض والده على تنفيذ الأمـر بقولـه: "‰$A ¯'/M$Ï$ø@ è@ $B ã$Bs‰" ناسياً لذاته، كأن الأمر لا علاقة له برقبته وإنهاء حياته، ويظهر ذلك في قوله "F™ ‰Î' bÎ) ©$!$$ ª! $` Ë 9$#Á ¯ïû" أنه لا يدعي بطولة ولا شجاعة بل يَكِلُ الأمـر إلـى الله تعالى، ويستند في صبره إلى إذنه ومشيئته.

"هكذا استسلما لقضاء الله عز وجل، أسلم الوالد وولده، أسلم الولد عنقه، وصرعه أبوه للجبـين، وتهيأ للذبح بالسكين، وهكذا كان الابتلاء قد وصل غايته وحقّق ثمرته، لقد نجح إبـراهيم عليـه السلام في الامتحان، ونفّذ أمر الله تعالى دون تردد أو ارتياب، عندئذ جاء النـداء الإلهـي: يـا إبراهيم، كف عن ذبح ابنك، فقد حصل المقصود من اختبارك، وقمت بالواجب، ولم تخالف أمـر ربك، فكنت من الفائزين، فخذ هذا الكبش واذبحه فداء لابنك"[4].

---

(1) مريم: آية 54.

(2) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 25/6.

(3) الألوسي: **روح المعاني**، مرجع سابق، 123/12.

(4) انظر: الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**. 411/2.

فعند ذلك نودي من الله عز وجل "b& ôÏ»7 ÐŠü°•ô ÇÍÈ %ß ¹ $|M%ß$9ã"ã/$ "[1]، أي قد حصل المقــصود من اختبارك وطاعتك، ومبادرتك إلى أمر ربّك، وبذلت ولدك للقربان كما سمحت ببدنك للنّيران، وكما مالك مبذول للضّيفان، ولهذا قال تعالى: "Î c d»‹# ç¡q$#%7=¯à($#%ß‌î‌üß"[2]، أي لاختبار الظّاهر البين، وقوله: "r ù‰%#Y»m Î7‌ôt‌ã x‌ä‌ã‌ŠÐ"[3]، أي جعلنا فداء ذبح ولده ما يسّره الله تعالى له من العوض والمشهور عن الجمهور أنه كبش أبيض أعين أملح أقرن[4].

وقول تعــالى: "ù=$#$ &M‌ô=J$ r©‌ã¼ ‌ü f Îü‌È [5] ÈÎÇ r»‰%#Y»ç b& ôÏ»7 ÐŠü°•ô ÇÍÈ %ß ¹ $|M%ß$9ã"ã/$ Î$R. ‹°ü7 ü‌ß“ $#%ß ó‌Å‌Ž‌üû ÈÎÇ Î c ž d»‹# ç¡q$#%7=¯à($#%ß‌î‌üß ÈÎÇ r ù‰%#Y»ç Î7‌ôt‌ã x‌ä‌ã‌ŠÐ" [6].

إنّ استسلام إبراهيم وإسماعيل لأمر الله تعالى والرضا بأمره بقضائه، من أرفع صـــور الإيمـــان وأجلهّا في تاريخ الإنسانية، فليس الإيمان إدّعاءات تلوكها الألسن، وليس الإيمان تسلية للأحزان لفترة ما، وليس الإيمان نظرية من النظريات يغوص العقل في كشف خفاياها بل الإيمـــان هـــو الاندماج الكلي في إرادة الله التي تذكره في العمل بوصاياه وأوامره، والتضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيله[7].

وقوله تعالى: "Î$R. ‹°ü7 ü‌ß“ $#%ß ó‌Å‌Ž‌üû"[8]، أي: "إنا كما عفونا عن ذبحه لولـــده بعـــد اســـتبانة إخلاصه في عمله، حين أعد العدة، ولم تتغلب عليه عاطفة البنوة، فرضي بتنفيذ القضاء كـــذلك نجزي كل محسن على طاعته، ونوفّيه من الجزاء ما هو له أهل، وبمثله جدير"[9].

---

(1) الصافات: الآيتان 104-105.
(2) الصافات: آية 106.
(3) الصافات: آية 107.
(4) ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص105.
(5) قال الراغب في **المفردات**، ص167: تل: أصل التّل المكان المرتفع، والتَّليل: العنق، وتلّة للجبين، أسقطه على التراب، وفي **مختار الصحاح**، ص46: التلّ واحد التلال، والتّليل: العنق، وتَلَّهُ للجبين: صَرَعَه، كما تقول كَبَّهُ (لوجهه). وفي المفردات ص186: قال الراغب: الجبينان (جانبا الجبهة)، مرجعان سابقان.
(6) الصافات: آية 103-107.
(7) طبارة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص139.
(8) الصافات: آية 105.
(9) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 23/74-75.

دروس وعبر من قصة ذبح إسماعيل –عليه السلام[1]–

1. إنّ الله تبارك وتعالى يبتلي عباده الصالحين، الذين أحبهم فيعرضهم للمحن لا لينتقم منهم بل لأنه يحبهم ولا يدرك هذا إلا المؤمنين.

2. أمر الله تعالى لا يتقدم عليه أمر: إن المسلم لا يقدم بين يدي الله ورسوله، بل ينصاع إلى الأمر، وينقاد له، ويرضى به، وإن كان مؤلماً لنفسه، محزناً لقلبه، وكذلك حب الله يتقدم على حب كل شيء، يتقدم على حب الولد، وحب النفس، وحب المال، وحب الأهل، وحب الدنيا والناس أجمعين، وهكذا كان موقف إبراهيم –عليه السلام– في هذا الابتلاء يقدم أمر الله على كل أمر.

3. ثمرة حسن التربية: لقد ربى إبراهيم –عليه السلام– ولده إسماعيل على تقوى الله عز وجل ولزوم طاعته في كل أمر من الأمور، ولما أمره ربه بذبح إسماعيل لم يجد ممانعة منه، أو عصياناً، بل استسلم للأمر.

4. إن الذي يعيش لله لن يتخلى عنه: هذه الحقيقة ينبغي أن تنتقش في قلب كل مؤمن ومؤمنة، كما نقشت في قلب إبراهيم –عليه السلام– إذ كان دائماً يجد الله عنده فيصبره، ويعينه على صعوبة الطريق، ويلهمه الصبر على المحنة، وييسر له الأسباب مالا تخطر على باله، ترى حين صمم على ذبح ولده امتثالاً لأمر الله هل كان يتوقع أن يفدي الله ولده بكبش عظيم؟ لقد كان ذلك مفاجأة لم يتوقعها، ومكافأة لم تدر بخلده.

2. ابتلاء يونس –عليه السلام

أما الآيات المعنية في قصة ابتلاء يونس –عليه السلام– فهي كما يلي:

---

(1) أبو فارس: **الابتلاء والمحن في الدعوات**، مرجع سابق، ص31-35.

|MR& ﺕﺍ ͡ m»9͡ ﺕﺍ b& ÏM»Jèà9$# ’Î 3 Š$Yù [3]ïnøã ‘ÏŠø)¯R `©b& £àù [2]$Y6Ò»óÁ |= ydŒ ͡[1] Èbq‘Z9$# #Œr"

óÓÅ Gè ç š• ͡ <. r [4]ÉdóĢ9$# ` Ï B çµ»oYø‹¯Ur ¼çµs9 $uZö6f GóŸ$$sù ÇÑÐÈ šú üÏJÎ=»©à9$# ` Ï B àMZä2 ’Îo‹Î) š• oY»ys6ö7ß™

.[5]"ûüÏZÏB÷sßJø9$#

ÇÊÍÌÈ ûüÅ¡m6|¡ßJø9$# ` Ï B b%3ù Nd$|¡ ù ÇÊÍÊÈ Èbqßs ô±J$#Ç Å‚ ù=àÿø9$# ’ <Î) , /& øŒÎ) ÇÊÌÒÈ ûüÎ=™ößJø9$# `Ïϑ 9 § Rqãƒ bÎ)r"

ÇÊÍÎÈ bqßÜèZöÇ ƒ Ö 4<Î) ÏÙ¬nZÏ9/ ’Î] Ï 9 ÇÊÍÍÈ ûüÅ Ïm $#9 ` Ï B b%. ¼çµR& Iwöqn=sù ÇÊÍÌÈ ×Ší‾Î=tB uqèdr ßNqçtø:$# çµyJ)s9$$sù

šc rß‰ƒÌt ƒ ÷r& A# ø9 ÏŽ•(B 4<Î) çµ»oYù™ö‘r&r ÇÊÍÏÈ &ûüÏÜø)tƒ ` Ï B Zo•f © ïnøã $oY÷Fu;/Rr&r ÇÊÍÎÈ [6]ÒO‹É)y™ uqèdr Ïä!#•yèø9$$Î/ çµ»oYøŒt6uZù *

.[7]" &ûüÏm 4<Î) öNßg»oY÷èGyJyJtFsù (#qãZtB$«ù ÇÊÍÐÈ

روى أهل التفسير[8] أن الله تعالى بعث النبي يونس –عليه السلام– إلى أهل نينـوى بالموصـل فدعاهم إلى الله عز وجل، وإلى الإيمان به والتوبة عن سيئاتهم، فكذّبوه وتمـادوا فـي كفـرهم وعنادهم ولم يستجيبوا لدعوته، فلما طال ذلك عليه من أمرهم وشقّ عليه تلكؤهم، لم يصبر على معاناة الدعوة معهم، وعدم استجابتهم له، فتركهم وخرج من بين أظهرهم قبل أن يأذن الله تعالى له بالخروج من القرية؛ اعتقاداً منه عليه السلام أن الله سبحانه لن يؤاخذه على ما فعـل، حيـث كان يظن أنه قد أدى تبليغ الرسالة، وقام بكل المهمّة التي أمره الله تعالى بها.

---

(1) النّون: الحوت، والجمع أنوان ونينان، وذا النون: لقب يونس بن متى –عليه السلام– سماه الله ذا النون؛ لأنه حبسه في جوف الحوت الذي ابتلعه. انظر: **لسان العرب**، 427/13–428، مرجع سابق.

(2) الغضب: نقيض الرضا، ويقال غضب عليه غضبا، ومغضبة: راغمه، مغاضباً لربه، وقيل مغاضباً لقومه. قال ابن سيد الناس والأول أصح؛ لأن العقوبة لم تحلّ به إلا لمغاضبته ربه. وقيل: ذهب مغاضباً لقومه. انظر: **لسان العرب**، 648/1–649، المصدر السابق.

(3) أن لا نقدر عليه: ألا نضيق عليه. المصدر السابق.

(4) الغم: قال الراغب في **المفردات** (613–614) ستر الشيء ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس، وغمه الأمر: أي كربه، يقال غمّ وغمّة أي كرْب وكرْبة. المرجع السابق.

(5) الأنبياء: آية 87–88.

(6) سقيم: قال الراغب (415) السّقم والسُقم: المرض بالبدن. المرجع لسابق.

(7) الصافات: آية 139–148.

(8) انظر: الطبري، **جامع البيان**، 614/6. ابن كثير: **تفسير القرآن**، 586/4. الرازي، **التفسير الكبير**، 132/9. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 245/8. الألوسي: **روح المعاني**، 380/6.

وهكذا خرج يونس عليه السلام، من نينوى مغاضباً لقومه؛ بسبب عصيان قومه وإصرارهم على الكفر، ولعله كان يظن أن الله تعالى لن يضيق عليه الأرض بما رحبت، ولن يلزمه بالبقاء بـين أولئك القوم المعاندين، وأنه سبحانه لو شاء وجهه إلى دعوة قوم آخرين، هـم أقـرب اسـتجابة للدّعوة من الأولين.

فظل عليه السلام سائراً حتى جاء إلى ساحل البحر، حيث وجد سفينه مشحونة فركب فيها، فلمـا خاض الفلك المشحون اللجة، تعرّض للغرق، وكان النظام المتعارف عليه عند رُبّان السفن فـي مثل هذه الحالة هو تخفيف حمل السفينة بإلقاء أحد ركاّبها في البحر، لينجو سائر من فيهـا مـن الغرق، فأقرعوا بين الركاب، فخرجت القرعة على يونس عليه السلام، فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوا القرعة فوقعت عليه أيضاً، فأبوا، ثم عادوا فوقعت عليه أيضاً، قـال الله تعـالى "ù¡$Nd ù3‰b Ë` $9ß‰mÅüû"[1]. أي وقعت عليه القرعة فقام يونس –عليه السلام– وتجرد من ثيابـه، ثـم ألقـى بنفسه في البحر هنالك هيأ الله تعالى له حوتاً ابتلعه، وأوحى الله إلى الحوت ألا تأكل لـه لحمـاً، ولا تهشم له عظماً، فإنّ يونس ليس لك رزقاً، وإنما بطنك له سجناً[2].

وظلّ هكذا في بطن الحوت حتى لفظه على الساحل وهو سقيم، ثم لما شـفاه الله مـن مرضـه، أوحى الله إليه ثانية بالمسير إلى نينوى ودعوتها إلى الله تعالى، فوصلها ونادى فيهـا بالتّوحيـد وكلمة الإخلاص، فوحدوا الله وصدقوا نبيهم، ومن ثم نجاهم الله من العذاب، ومتعهم بحياتهم إلى بلوغ آجالهم. هذا هو ملخص قصة يونس عليه السلام.

قال ابن كثير: "لما تمادى قوم يونس –عليه السلام– على كفرهم، بعد أن دعاهم إلى الله خـرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم، حيث وعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحقّقوا من ذلك، وعلمـوا أن النّبي لا يكذب، خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشـيهم، وفرقـوا بـين الأمهـات وأولادها، ثم تضرّعوا إلى الله عز وجل وجأروا إليه، ورغت [3]الإبل وفـصلانها، وخـارت [4]

---

(1) الصافات: آية 141.

(2) ابن كثير: **تفسير القرآن**، 360/5–361. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 329/11–330. طبارة: مع الأنبياء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص306. ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص177.

(3) رغت: صَوَّتت وضَجّت. **المعجم الوسيط**، 359/1.

(4) الخُوَارُ بالضم: صوت البقر. وخارت: ضعفت. الخَوَّار: **الضعيف**، المصدر السابق، 260/1.

البقر وأولادها، وثغت[1] الغنم وحملانها، فرفع الله عنهم العذاب، قال تعالى: "ŵöq=ù . ÑR% ŵ ö% ƒp̂
ä#ZBŴ ùZÿègŝ $ĵƒJß $ĵ vž ‰% öqPãçq§ 9$# ÉΑ$# äB#ãq(. ±ÿZ$ ãNåk÷ ‹ #< >ù% ,ï‾ Ä ĵ ’ùs ŝ4ùí9$ %‰‹$ rBÉè»Yà ĵ<4
ŭïm "[2][3].

دروس وعبر من قصة يونس –عليه السلام

1. إن عبادة الله تعالى في حالة الرضا مدعاة للنجاة في حال الكرب والضيق، فالله تعالى أخبرنا أن يونس كان من المسبحين قبل أن يلتقمه الحوت، وأن تسبيحه كان سبب نجاته من بطن الحوت، أما نسيان الله في حال الرضا والإعراض عن هديه فإن ذلك يكون سبباً في عدم استجابة الله له عند الشدة.

2. على المؤمن تنفيذ إرشادات ربه والدعوة إليه بصبر لئلا يبتليه بصعاب وأهوال لم تكن في الحسبان، فيونس تعجل القرار من الميدان الذي وضعه الله فيه، وتلك فعلة ما كان لنبي أن يفعلها لأول بادرة سوء يصادفها من قومه أو إعراض عنه. وكان لا بد من درس يتلقاه النبي من ربه، وهو يخرج من ضيق أشد وأقسى وهو في جوف الحوت، ثم تجيء رحمة الله فتخرجه منه إلى اليابسة، فيعود إلى المدينة التي فارقها، ليعاود الدعوة إلى الله وهو أشد يقيناً وأرحب نفساً... [4].

3. يُعلمنا الله سبحانه في هذه القصة المتميزة كيف يلجأ الإنسان إلى ربه إذا أظلم أفق الحياة، وتراكمت غيوم الفساد والضلال والمحن والعناد، فهو وحده الذي يفلق الفرج من الضيق الحالك، ويسوق الخير من حيث يشاء حين يشاء، وهو وحده الذي وعد المؤمنين بأن ينجيهم من الغم؛ إذا هم عبدوه؛ ولجأوا إليه كما حصل ليونس عليه السلام.

---

(1) ثغت: صَوَّتت، وصاحت. المصدر السابق، 97/1.

(2) يونس: آية 98.

(3) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 586/4.

(4) طبارّة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص309-310.

4. يُعلمنا الله تعالى كذلك أنّ هذا الإنسان يبقى ضعيف التحمل لولا عون الله تعالى ومــدده، فهو سرعان ما يعيل صبره، ويضعف تحمّله حينما يدلهم به الليل[1].

5. إن كل مؤمن يقع في كرب أو يصيبه هم أو غم فيقول بيقين: "لا إله إلا أنــت ســبحانك إني كنت من الظالمين" فإن الله تعالى يفرج عنه ما هو فيه، ويذهب عنــه غمــه؛ لأنــه سبحانه قال: "وكذلك ننجي المؤمنين" أي مثل هذا الإنجاء ننجي المؤمنين، فهــي دعــوة ليست خاصة بيونس- عليه السلام-، ولكن الله سبحانه ينجــي كــل مــن قالهــا مــن المؤمنين[2].

6. إن قصة يونس عليه السلام هي المثل الوحيد البارز للقوم الذين يتداركون أنفــسهم قبــل مباغتة العذاب لهم، فيثوبون إلى ربهم وفي الوقت سعة؛ وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب، فكشف عنهم العذاب الذي أوعدهم به رسولهم قبل وقوعــه بهم كما هي سنة الله في المكذبين المصرين.

7. على أصحاب الدعوات أن يتحملوا تكاليفها، وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها. وتكذيب الصادق الواثق مرير على النفس حقاً، ولكنه بعض تكاليف الرسالة، فــلا بد لمن يكلفون حمل الدعوات أن يصبروا ويتحملوا، ولا بد أن يثابروا ويثبتوا، ولا بــد أن يكرروا الدعوة ويبدئوا فيها ويعيدوا.

8. إنه لا يجوز لأصحاب الدعوة أن ييأسوا من صلاح النفوس واســتجابة القلــوب، مهمــا واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتو وجحود، فإذا كانت المرة المئــة لــم تــصل إلــى القلوب، فقد تصل المرة الواحدة بعد المئة... ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصاد القلوب.

9. إن طريق الدعوات ليس هيناً ليناً، واستجابة النفوس للدعوات ليست قريبة يسيرة. فهناك ركام من الباطل والضلال والتقاليد والعادات، والظلم الجاثم على القلوب، ولا بــد مــن

(1) المرجع السابق، ص309. وانظر: عباس: **القصص القرآني**، مرجع سابق، ص349-350.

(2) الشعراوي: **قصص الأنبياء**، مرجع سابق، 1226/2.

إزالة هذا الركام. ولا بد من استحياء القلوب بكل وسيلة. ولا بد من لمس جميع المراكز الحساسة، واحدى هذه اللمسات ستصادف مع المثابرة والصبر والرجاء، ولمسة واحـــدة قد تحول الكائن البشري تحويلاً تاماً في لحظة متى أصابت اللمسة موضعها.

10. إنه من السهل على صاحب الدعوة أن يغضب لأن الناس لا يستجيبون لدعوته، فيهجر الناس.... إنه عمل مريح، ولكن أين هي الدعوة؟ وما الـــذي عـــاد عليهـــا مـــن هجران المكذبين المعارضين؟! إن الدعوة هي الأصـــل لا شـــخص الداعيـــة! فليـــضق صدره. ولكن ليكظم ويمض. وخير له أن يصبر فلا يضيق صدره بما يقولون! فالداعية أداة في يد القدرة. والله أرعى لدعوته وأحفظ، فليؤد هو واجبه في كل ظرف، وفي كـــل جو، والبقية على الله، والهدى هدى الله، وفي قصة ذي النون درساً لأصحاب الـــدعوات ينبيغي أن يتأملوه[1].

(1) انظر: الحمصي: **قصص الرحمن في ظل القرآن**. مرجع سابق، 4/148-151.

المبحث الثالث

الابتلاء في النعم

المطلب الأول: ابتلاء بني إسرائيل بالنعم

تلقّى بنو إسرائيل على عهد موسى –عليه السلام– ألواناً مـن الـنعم، وصـنوفاً مـن الخيـر والبركات، فما أن جاوز الله بهم البحر، وأنجاهم من فرعون وملائه حتى صارت نعم الله تتوالى عليهم، من تظليل الغمام إلى المن والسلوى إلى تفجير الصخر بالماء إلى غير ذلك مـن وجـوه النعم والخيرات الوفيرة، وهذا كله إنما أعطاه الله لهم ابتلاءً منه وامتحاناً، لينظـر أيـشكرون أم يكفرون؟ ولكنّ موقفهم إزاء هذه النعم كان موقف المتعنّت الملـحّ فـي طلـب الخـوارق، ثـم الاستكبار والاستمرار في العناد والجحود، مع أنه كان ينبغي عليهم أن يستشعروا أن كل نعمـة من هذه النعم محفوفة بالابتلاء فيأخذوا حذرهم، ويكونوا على صلة بربهم، كما كان ينبغي عليهم أن يعرفوا هذه النعم التي أفاضها المولى عز وجل عليهم، ويشعروا بفـضل الله المـنعم علـيهم فيتولاهم. هذا هو الموقف الصحيح اللائق بهم. ولكن قوم موسى –عليه السلام– لم يفقهوا ذلـك؛ ولهذا لم يثبتوا للابتلاء بالخير والرخاء، فجحدوا بالنعم، وكفروا بالآيات والنذر، وحـادوا عـن الطّريق المستقيم، ومن ثم حرمهم الله من الخلافة في الأرض، وكتب عليهم الذلة والمسكنة، وأن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. قال تعالى: "@™ /ÛÍ Ĵ óŽÀäƒ/® .Ñ ä#?•Y» ÒÜ ÌÔ
ä#¯ ÉŽZ7 rB` ã7öÀ ÈJp$ ‡« È` ./è‰ B$ `!äzç ùîbS$© ©‰ƒ%$¶ë)$ ≥É "[1].

وفي ذكر القرآن الكريم لما أنعم الله به على بني إسرائيل، ولجحودهم تلك النعم تحـذير وعبـرة للمؤمنين وتنبيه للغافلين، حتى لا يحذوا حذوهم، ويسلكوا مسلكهم، فيصيبهم مـا أصـابهم مـن العقوبات والنقّم، ولن تجد لسنة الله تبديلا. وسنحاول أن نقف على طائفة من الآلاء التي أسـبغها الله على بني إسرائيل.

---

(1) البقرة: آية 211.

أ. نعمة تفضيلهم على العالمين:

إن الله سبحانه وتعالى قد فضل بني إسرائيل على من عاصرهم من الأمم قبل بعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– ولعل هذا التفضيل يتجلّى في اختيارهم لرسالة التوحيد من بين المشركين، وفي اختيارهم لتوريثهم الأرض المقدسة التي كانت آن ذاك في أيدي مشركة. هذا، مع ما حباهم الله به من النعم الكثيرة، فقد جعل منهم الأنبياء والرسل والملوك، والقيادات التي تتجه بهم إلـــى الله تعالى على هدىً وبصيرة واستقامة، ونزل عليهم الكتب، وآتاهم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين في زمانهم.

قال تعالى: "ûüÜ÷»è$ ’?ã ß ãçáÒù ’ôr ßãøæ ßMðèR ÓÉ$ÓÉè (rãÿã$@ƒäÌó Ó[6»ƒ"[1].

ويهدف القرآن الكريم من ذكر مظاهر الإنعام والفضل في مجتمع بني إسرائيل إلى تأنيـــب مـــن عاصروا رسالة الإسلام، وأعرضوا عنها، وكفروا بها بغياً وحسداً، ثم ليكون الحديث عنهم بمـــا يحمل من نعمة ونقمة، عبرة لكل أمة يدفعها هواها لسلوك مسلك بني إسرائيل"[2].

قال سيد قطب: "وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوف بزمان استخلافهم واختيارهم، فأمـــا بعد ما عتوا عن أمر بهم، وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوّا عـــن التزامـــاتهم وعهدهم، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب، والذّلة والمسكنة، وتذكيرهم بتفضيلهم على العالمين، هو تذكير لهم بما كان لهم من فضل الله وعهده، واطماع لهم لينتهزوا الفرصة المتاحة على يدي الدعوة الإسلامية، فيعودوا إلى موكب الإيمان، وإلى عهد الله، شـــكراً علـــى تفـــضيله لآبائهم، ورغبة في العودة إلى مقام التكريم الذي يناله المؤمنون"[3].

ولكنّ بني إسرائيل لم يقابلوا نعم الله بالشكر والعرفان، بل قابلوها بالجحود والطغيان، فسلبها الله عنهم ومنحها لقوم آخرين لم يكونوا أمثالهم، قال تعالى: "™@ /Ó[ó ŽäÌƒ@ .N ä#?•Ÿ»ßO Bô ä#¥ ŽŽ7ß

(1) البقرة: آية 47.

(2) الطويل، السيد رزق: **بنو إسرائيل في القرآن تاريخ** وتحقيق، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1975، ص50.

(3) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 1/69-70.

بني إســرائيل –يا محمد– أي سل "rB`ã7ü‰AÌR èJp$ «‹ B`. /è‰Ï B$ `!äz2ç ùîb$‡ ©‰ïƒ/%$‡Ï è)$ ≥É"(1)، أي سل –يا محمد– بني إســرائيل المعاصرين لك سؤال توبيخ وتقريع كم آتاهم الله علـــى أيـــدي أنبيـــائهم مـــن الـــنعم الجليلـــة، والمعجزات الباهرة، ولكنهم بعد أن جاءتهم هذه الآيات وتمكنوا منها وعقلوها، قابلوهـــا بالعنـــاد والجحود والاستهزاء، وجعلوها من أسباب ضلالهم مع أنها مسوقة لهدايتهم وســـعادتهم، فكانـــت النتيجة أن ضرب الله عليهم الذلّة والمسكنة في الدنيا وتوعدهم بالعذاب الشديد في الآخرة(2).

ب. نعمة إيتاء موسى عليه السلام التوراة لهدايتهم

من نعم الله تعالى على بني إسرائيل نزول الشريعة التي بها صلاح أمورهم، وانتظـــام حيـــاتهم، وتأليف جماعتهم، ألا وهي اعطاء موسى –عليه السلام– التوراة.

قال تعالى: "rÎ)ŒEä#?•$Y ãq›ÓŽ$Å»G= | r$ãy`Ž% b 9è–ªÛ ãGÈ%‰rb"(3).

وقال: "rä#?•$Y ãq›ÓŽ$Å»G= | r_è»tY ç‰Ë “ Ïj6Ï ÎÓŽÂä/@‰& ‰v ?G, Ïärä(‹B`ËB`r'Îr 2Å«Ý"(4).

قال المراغي: "أي واذكروا نعمة إيتاء التوراة والآيات التي أيدنا بها موسى لتهتدوا بالتدبر فيهـــا، والعمل بما تحويه من الشرائع للاسترشاد بها حتى لا تقعوا في وثنية أخرى، وأنّ من الاســـتعداد لفهم الكتاب أن تعرفوا أن ما جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– دليل علـــى صـــحة نبوتـــه؛ فتؤمنوا به، وتهتدوا بهديه، وتتبعوا سبيل الرشاد الذي سلكه"(5).

وقال القاسمي(6): "يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً، وفرقاناً يفرق بين الحق والباطـــل، يعنـــي التوراة، وقيل: الفرقان الذي فرق بينه وبين عدوه (لعلّكم تهتدون) بيان لثمرة المنة والنعمة بايتاء

---

(1) البقرة: آية 211.

(2) الطنطاوي، محمد سيد: **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1997، ص343-344.

(3) البقرة: آية 53.

(4) الإسراء: آية2.

(5) المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 118/1.

(6) هو محمد جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، إمام الشام في عصره، له مصنفات كثيرة أهمها **تفسير القرآن** "محاسن التأويل" توفي في دمشق (1332هـ)، انظر: **الأعلام**، مرجع سابق، 135/2.

التوراة؛ لأن ايتاء موسى الكتاب والفرقان المقصود فيه هدايتهم، وإخراجهم من الظلّمـــات إلـــى النور"[1].

المطلب الثاني: ابتلاء أصحاب الجنة الذين ورد ذكرهم في سورة القلم

هذا نموذج آخر من الابتلاء بالنعم، يتجلى في سوء عاقبة البطـــر بالنعمـــة، والبخـــل بـــالخير والاحتيال على إسقاط حق من حقوق الله تعالى، أو حقوق عباده. فأصحاب الجنة هـــؤلاء كـــانوا في غفلة عن ذكر الله تعالى حين حاولوا أن يستأثروا بثمرها دون المساكين، ولعلهم حـــسبوا أن لا تكون فتنة فعموا وصموا، وبيتوا نيتهم السيئة، وتدبيرهم الرديء، وقد نـــسوا الله ونـــسوا أن يحمدوه ويذكروه ويشكروه على ما أعطاهم، فلّما بطروا وظلموا أنفسهم، ابتلاهم الله تعالى بـــأن أحرق جميع أنواع الثمار المشتمل عليها بستانهم. قال تعـــالى: " $R̂ $J. ÑGRqè/ $R̂ ...

Ms 6 'ù ÇÈ bq ... ÇÈ[2] ûü ... ÇÈ[3] ... ÇÈ[4] ûü ... ÇÈ[5] bq ... ÇÈ[6] ... ÇÈ[7] ... ÇÈ bq ... "[8].

---

(1) القاسمي: **محاسن التأويل**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1978. 126/2.

(2) يَصرِمُنّها: يجدّنّ ثمارها ليلاً.

(3) الصريم: كالزرع المحصود مقطوعة الثمار والأشجار، قال ابن عباس: أصبحت كالرماد الأسود مثل الزرع إذا حصد أصبح هشيماً يابساً. الصريم الليل، لأنها احرقت واسودت.

(4) صارمين: أي جادين مصرين على حصد الثمار وقطعها.

(5) يتخافتون: يسرونّ كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين.

(6) حرد: أي قوة وشدة أو جدٍّ. وقيل: على غيض وغضب، وعلى قصد وقدرة في أنفسهم.

(7) طاغين: باغين- ظالمين لأنفسهم ولغيرهم في منع الفقراء وعدم التوكل على الله.

(8) القلم: الآيات 17-33. انظر معاني الكلمات الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 190/12-191. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 157/18.

إن فاتحة هذه الآيات الكريمة تشير إلى أن الله تعالى ابتلى كفار مكة على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكانت عاقبتهم كعاقبة أصحاب الجنة من حيث الخسران المبين.

قال ابن كثير: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم فقابلوه بالتكذيب والمخالفة كما قال تعالى: "#•ÿöä «ƒ $|MJèÏ (q鎩/ ûïÏ%©!$'<Î) •?s9&" (q•m&r ¨Nßgßqö% #'‰$¨q7ø9$# Í#q7ø9$# ÇËÑÈ ƒLèg_ ¨$gRÿqö=óÁtƒ ©û'r [¨ø%$šâ)•#¨" [1].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هم كفار قريش فضرب الله تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار التي قد انتهت واستحقت أن تجد وهو الصرام"[2].

وقال الشوكاني: "إن الله تعالى أعطى كفار مكة الأموال، ليشكروا لا ليبطروا، فلما بطروا دعا عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فابتلاهم الله بالجوع والقحط، كما ابتلى أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم"[3].

قال سيد قطب: "وهكذا يسوق القرآن الكريم إلى قريش هذه التجربة، تجربة أصحاب الجنة من واقع البيئة، ومما هو متداول بينهم من القصص، فيربط سبحانه بين سننه في الغابرين وسنّته في الحاضرين، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم، وفي الوقت ذاته يُشعرُ المؤمنين بأن ما يرونه على المشركين –من كبراء قريش– من آثار النعمة والثروة إنما هو ابتلاء من الله، له عواقبه، وله نتائجه، وسنته أن يبتلي بالنعمة كما يبتلي بالبأساء سواء، فأما المتبطرون المانعون للخير المخدوعون بما هم فيه من نعيم، فذلك كان مثلاً لعاقبتهم"[4].

---

(1) إبراهيم: الآيات 28–29.

(2) ابن كثير: **قصص القرآن**، مرجع سابق، ص344.

(3) الشوكاني: **فتح القدير**، مرجع سابق، 271/5.

(4) قطب، سيد: **الظلال**، مرجع سابق، 366/6.

الدروس والعبر المستفادة من قصة أصحاب الجنة:

1. بيان عاقبة المكر والبطر والمنع، وأن الذنوب والمعاصي تزيل النعم وتحلّ النقم.
2. على من حصد زرعاً أوجَدُّ ثمرة أنْ يواسي منْهُ من حضره وذلك معنى قوله تعالى: "Ÿ¾íŠ$Ám Qöf ¼çm)m (qè?#ur"[1].
3. النهي عن الحصاد أو الجِداد بالليل مظنّة حرمان الفقراء والمساكين.
4. مواساة الفقير وإعطاء المسكين من مال الله الذي عندك، حصنٌ حصين ودرعٌ واقٍ من الآفات والبلاء، فالبلاءُ لا يتخطّى الصدقة.
5. لا يحيق المكر السيُّء إلا بأهله[2].

6. إن كل نعمة لا تقرب العبد من الله فهي بلية، إذ الحساب آتٍ لا ريب فيه. وقد أذاق الله عز وجل أصحاب هذه الجنة لوناً من عذاب الدنيا، وقصة علينا في كتابه العزيز للتذكير بقدرة الله عز وجل، وانتقامه ممن ينتهك حدوده، ويجحد نعمته، وينكر فضله، كيلا يغتر الإنسان بالدنيا، وحتى لا تشغله الفانية عن العمل للباقية، ولئلا يقع في شراك الشيطان، فيقسوا قلبه وينصرف عن الخير والهدى إلى الشر والضلال، وقد لفت الله عباده إلى هذين العدوين، ليكون العبد على بينة وحذر، قال تعالى: "" Ÿxù Ạm «ä3¯Rtóè? äoqu‹ptø:$# $u‹÷R‘‰9$# (Ÿwur Nä3¯R¡xótƒ «!$$Î/ â‘rãtóø9$# ÇÎÈ ¨bÎ) z`»sÜø‹¤±9$# ö/ä3s9 Arßtã çnrä‹Ï‚ªB$$sù #‡rßtã 4 $yJ¯RÎ) (#qããô‰tƒ ¼çmt/÷“Ïm (#qçRqä3u‹Ï9 ô`ÏB É=»ptõ¾r& ÎŽÏè¡¡9$#"[3].

7. إن آيات الله في الكون تنطق بكمال قدرة الله، وكمال رحمته بالعباد، وإن الإنسان في كل عصر يرى آثار قدرة الله عز وجل فيما يخلفه الجفاف والقحط والفيضانات والأعاصير والزلازل، والبراكين، والخسف ونحوها من المصائب والبلايا امتحاناً للعباد واختباراً لهم وتذكيراً لما أعده الله لأهل الإلحاد والجحود والعصيان من ألوان العذاب في الآخرة، ولعذاب الآخرة أشد هولاً.

---

(1) الأنعام: آية 141.

(2) أبو عزيز، سعد يوسف: **قصص القرآن دروس وعبر**، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 1999، ص430.

(3) فاطر:الآيتان: 5-6.

8. سواء كانت الآية تشير إلى ما أصحاب أهل مكة من القحط قبل الهجرة أو من الهزيمـــة في بدر بعد الهجرة أو إلى غير ذلك من الأحوال المشابهة، فإن العبرة عامة باقية تـــدل الناس في كل وقت على أن الباقيات الصالحات وسلامة القصد، وصحة النيـــة وصـــلاح العمل خير وأبقى في الدنيا والآخرة، وأن فساد النية وســـوء العمـــل والـــشح بـــالخير والغرور ليس وراءه إلا الضياع والهلاك وسوء العاقبة، وفي هذا كله ردع للإنسان عن الغرور وحث على التواضع لله عز وجل، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة والإخلاص[1].

9. وفي الختام يجيء التعقيب مشيراً إلى الابتلاء بالنعم وعواقبه ونتائجه، ليكون الناس فـــي يقظة تامة حين تكون النعم تحت أيديهم، وليعلموا أن كل نعمة محفوفة بالابتلاء: فإن هم اتقوا الله تعالى وشكروا لأنعمه زادهم من فضله، وإن هم عصوا ربهم، وبدلوا نعمة الله كفراً سلبها الله عنهم، وأصبحت عاقبتهم كعاقبة أصحاب الجنة، فمثل ذلك العذاب وهلاك الأموال، الذي ابتلاهم الله سبحانه به، عذاب الدنيا. فليكن الناس دائمـــاً –فـــي الـــسراء والضراء– على صلة بربهم وليحذروا عقوبة الآخرة فإنها أشد وأعظم من ابتلاء الـــدنيا وعذابها، قال تعـــالى: "r.‹ 7ÿ ìw “ ôB & Žó $ r9Ñãs³ Ë` .Î«$ƒ»M ˈÏî ¾ r9è‹# Ü$#F ÅÓ• ‰©% r#+ä"[2][3]، ".‹ 7ÿ$ ø9è‹# Ü"[4]، أي هكذا نعذب من خالف أمرنا ولـــم يعطـــف علـــى المحاويج من خلقنا "r9è‹# Ü$#F ÅÓ• ‰ çø9"[5]، أي أعظم وأحكم من عذاب الـــدنيا "ö9 .çq© ƒ
ƒè=ßJ bq"[6][7].

---

(1) طاحون، أحمد بن محمد: **أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم**. مكتبة التراث الإسلامي. عابدين، مصر، ط2، 1993، 310/3.

(2) طه: آية 127.

(3) الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، 333/3.

(4) القلم: آية 33.

(5) القلم: آية 33.

(6) القلم: آية 33.

(7) ابن كثير: **قصص القرآن**، ص345.

الفصل الرابع

الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله

ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاستهزاء والسخرية

المبحث الثاني: الإتهام بالكذب

المبحث الثالث: التعذيب بالضرب والجلد

المبحث الرابع: التهديد بالقتل والتنكيل

المبحث الخامس: نماذج من الابتلاء والمحن في سبيل الدعوة إلى الله

الفصل الرابع

الابتلاء في سبيل الدعوة إلى الله

تمهيد

لا بدّ للناس عامة وللمؤمنين خاصة، ولحملة الدعوة على وجه أخص إذا أرادوا أن ينجحوا في دعوتهم من الصبر، والحذر من الآفات التي تعوقهم وتعترض طريقهم. والصّبر على مشاق الدّعوة إلى الله التي تحتاج من الدعاة إلى الله أن يطلبوا من الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم، وشهوات أنفسهم، وعادات أقوامهم، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى اخوانهم، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى، ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة، فلهذا يقاومونها بكل قوة، ويحاربون دعوتها بكل سلاح ممكن مُدلّلين على ذلك بأنهم أكثر مالاً، وأعز نفراً، وأقوى نفوذاً، وأوسع سلطاناً. فليس أمام دعاة الحق إلا أن يعتصموا، ويتسلّحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة والسلطة الطاغية.

وتتمثل متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول والفعل، فليس هناك شيء أشد على نفس الرجل المخلص في دعوته، البريء من الهوى، المحبّ الخير للناس من أنْ يمحض لهم النصح فيتهموه بما ليس فيه، وأن يدعوهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فيردّوه بالقوة، ويعظهم بالحسنى، فيستقبلوه بالسوء، ويجادلهم بالتي هي أحسن، فيقاوموه بالتي هي أخشن، ويدلهم على الخير فيقذفوه بالشر، ولا يقف الأمر عند هذا الحد، فكثيراً ما يمتد الطغيان إلى الأموال فينهبها، وإلى الأبدان فيعذبها، وإلى الحريات فيسلبها، بل يتعدى الأمر إلى الأنفس فيقتلها، وقد أقسم الله تعالى في القرآن على وقوعه على الداعين إلى الله حيث خاطبهم بذلك ليوطّنوا أنفسهم على الصبر الجميل قال تعالى: "ªcãq n=ö7çFs9 þÎû öNà6Ï9ºuqøBr& öNà6Å¡àÿRr&ur £`ãèyJó¡tFs9ur z`ÏB tûïÏ%©!$# (#qè?ré& |=»tGÅ6ø9$# `ÏB öNà6Î=ö7s% z`ÏBur tûïÏ%©!$# (#þqä.uõ°r&]ür& #ZÏW. 4 bÎ)ur (#rçÉ9óÁs? (#qà)Gs?ur ¨bÎ*sù y7Ï9ºs ô`ÏB ÏQ÷tã ÍqãBW{$#"[1][2].

---

(1) آل عمران: آية 186.

(2) القرضاوي، يوسف: **الصبر في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط7، 1988، ص48-50.

ومن هنا يشن الطواغيتُ وأتباعهم وعملاؤهم من أولياء الشيطان في كل زمان ومكان حمـــلات إعلامية مسعورة على أولياء الرحمن الداعين إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، قاصدين بذلك تحقيق أهداف كثيرة لصالحهم ولصالح أتباعهم أهمها:

1. تشويه صورة أولياء الرحمن عند الناس، وخاصة عند الّذين لا يعرفونهم.
2. تنفير الناس منهم ومن دعوتهم.
3. اقناع الناس بعدم التعاون معهم، أو التعاطف معهم في قضاياهم.
4. تشكيك الناس في صدق الدعوة والدعاة، وفقد الثقة بهم ومن ثم معاداتهم.
5. العمل على منع الناس من الانضمام إلى صف أولياء الرحمن.
6. شَنُّ حربٍ نفسية على الصف المسلم ذاته من الداخل، وبث روح التنازع والاخـــتلاف بـــين أفراده، لتمزيق الصف المسلم، وتدميره من الداخل، إذ أن التنازع يؤدي إلى الفشل، والفشل يؤدي إلى ذهاب قوة الجماعة واضمحلالها، ومن ثم اندثارها قال تعالى: "wr ?Z» ãq} ùGø ±tèq} r?õd =| ríçt£ä $ ÷gÿÿ $b ÎB® $9 ÍÉÎ ŠÚ"[1].
7. ويقصد الطواغيت من حملاتهم الإعلامية ضد أولياء الرحمن، التمويه على الناس، واقناعهم بأن هؤلاء دعاة الإصلاح الذين يريدون تغيير المنكر، ومقاومة الفـــساد، ومحاربـــة الـــشر والآثام وأنهم مخرّبون ينبغي محاربتهم، وملاحقتهم، واجتثاث شـــرورهم كمـــا يزعمـــون، ويصورون ذلك للناس، وقديماً قال فرعون: "r%$ A ùãq ö ãc Îr ßþ R ¿ þ'q ß ä ®` z r ø‹ ´ ãé ¡ ¨ ‹ ãq y % ‘ r ø‹ ã ‹ ‰ ôã ë / ç م ... ${! $/ 7`b &b ‹ ç ö t Ïjd % y ‘ ¨ / r ä `b 4 ‹ âôg Îè tb ûÎ 'F$ ö ‘ ÚÇ $9 ø ÿ |¡ $Š"[2][3].

هذه هي أهداف الطواغيت التي يريدون تحقيقها، فلا غَرْو بعد ذلك أن يسلكوا كل وسيلة ممكنـــة ضد أولياء الرحمن، فيصبح الكذب عند أولياء الشيطان مقدساً إن كان يؤذي أوليـــاء الـــرحمن، ويصبح الاستهزاء، والسخرية، والتنكيل، والضرب، والقتل ممـــدوحاً ومقبـــولاً فـــي أعـــرافهم، وموازينهم ما دام يؤذي أولياء الرحمن، ويهوّن من شأنهم.

---

(1) الأنفال: آية 46.
(2) غافر: آية 26.
(3) أبو فارس: **الابتلاء والمحن في الدعوت**، مرجع سابق، ص45–46.

فالابتلاء من سنن الله في الحياة، يبتلي عباده بمن يشاء ومتى يشاء وكيف يشاء ليظهر مـــا فـــي نفوسهم من إيمان ونفاق، وإذا كان الابتلاء مما قضت به سنة الله في الحياة، فإن ابتلاء الـــدعاة إلى الله مما جرت به السنة الإلهية أيضا فهم يبتلون بأذى الكفرة والمارقين بالقول والكيـــد، قـــال تعـــالى: "ÏM»JÎ3Ï AÏÍ7Ã Wr $RŽǬ R ÑG9?‰ ØL̃m ﴾r€r ﴾q(#Ã ä $B 4?ã ﴾rž9Á ù 7 Î©%` B ®ŘâM/Ã ä ®)9r ‹ $"š ú üÎ™ ó3Ø$& Î6Ř` B 8ä!` ®)9r "[1]، فالمطلوب من الداعي المسلم أن يدعو إلـــى الله علـــى بصيرة بالوسائل والكيفيات المشروعة التي بينها القرآن الكريم وطبقها الرسول الكريم – صـــلى الله عليه وسلم– فإذا أدت هذه الوسائل إلى أذى يصب الداعي فعليه أن يتقبله بالصبر لا بالجزع، وبالثبات لا بالفرار[2].

تحذير للدعاة:

ومن باب الإنصاف فليس كل الدعاة إلى الله مؤهلين للقيام بالدعوة بأسلوب هدي القرآن الكـــريم، بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فهم ليسوا على نهج واحد، وإنمـــا تختلـــف أســـاليبهم، وطرقهم وظروف حياتهم،و فقههم للواقع الذي يعيشون.

ومن أهم المزالق التي يقع فيها الدعاة والتي يجب الحذر منها:

الحرص على حياة والتردد على أبواب السلاطين، وابتعادهم عن النهج الصحيح والتركيز علـــى الجزئيات بدل الكليات، وعدم اتخاذ الخطوات المتدرجة في الدعوة والإصلاح وضـــعف الإرادة وقلة الصبر على المكاره وأنواع الأذى.

ومما يجب على الداعي أن يحذره، الحذر من المعاصي، فإن ارتكاب المعاصي تفقده نـــصر الله تعالى وتأييده، والحذر من الأهل والولد، فهم مجبنة مبخلة ذلك أن حب المسلم لأهله وولـــده قـــد يقعده عن الدعوة إلى الله، والحذر من اتباع الهوى وعليه الحذر كذلك من المنافقين والكـــافرين، فالمنافقون أصناف شتى، وضرر المنافقين في المسلمين عظيم، وقد يكون أكثر مـــن الكـــافرين، لظهور هؤلاء وخفاء أولئك، فعلى الداعي المسلم أن يحذرهم فلا يسمع لقولهم ولا يثق بهم، قـــال تعالى في وصف المنافقين ووجوب الحذر مـــنهم: "‹ #Œ)r ﴾GF‰ ÑGèè 7 ¿É ﴾ 0_ ¡$ÑGB bÎ)r ﴾q#ã)﴾ Jó ô

(1) الأنعام: آية 34.

(2) زيدان، عبد الكريم: **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط9، 2001. ص451–452.

bqãùsøä4Ÿ ª! $Dg÷G»% ŸÈö‹ n$Î +ÏÅè%$Íçé ölÎŽã þsø¹ @ä bqç¡tÏ «‰Z¡ ¡B Ó àtã öNå(. öNÏÎöq)ï

"[1][2]، أي فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم.

إنه لا ينبغي لأحد يواجه الجاهلية بالإسلام أن يظن أن الله تاركة للجاهلية وهو يدعو إلى إفــراد الله سبحانه بالربوبية... كما أنه لا ينبغي له أن يقيس قوته الذاتية إلى قوى الجاهلية، فــيظن أن الله تاركة لهذا القوى وهو عبده الذي يستنصر بــه حــين يغلــب فيــدعوه "þ'‰%æ‰ù 'Îô ÿÏqß/B Ó qèøB ŽÄÇ GR$Î"[3].

إن القوى في حقيقتها ليست متكافئة ولا متقاربة.. إن الجاهلية تملك قواها.. ولكن الداعي إلى الله يستند إلى قوة الله. والله يملك أن يسخر له بعض القوى الكونية – حينما يــشاء وكيفمــا يــشاء– وأيسر هذه القوى يدمر على الجاهلية أمرها من حيث لاتحتسب! وقد تطول فترة الابتلاء لأمــر يريده الله قبل أن يأتي الأجل الذي قدره الله، والذين يسلكون السبيل إلى الله لــيس علــيهم إلا أن يؤدوا واجبهم كاملاً، بكل ما في طاقتهم من جهد، ثم يدعوا الأمور لله في طمأنينة وثقة، وعندما يتغلبون عليهم فعندئذ يلجؤن إلى الناصر المعين وأن يجأروا إليه كما جأر عبده الــصالح نــوح "þ'‰%æ‰ù 'Îô ÿÏqß/B Ó qèøB ŽÄÇ GR$Î "[4]، ثم ينتظروا فرج الله القريب، وانتظار الفرج من الله عبادة، فهم على هذا الانتظار مأجورون[5].

---

(1) المنافقون: آية 4.

(2) انظر: زيدان، **أصول الدعوة**، مرجع سابق، ص430–445. وانظر الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دار القلم، دمشق، ط1، 1996. 1/401–424.

(3) القمر: آية 10.

(4) القمر: آية 10.

(5) انظر الحمصي: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، 1/690–691.

المبحث الأول

الاستهزاء والسخرية

الاستهزاء أسلوب واحد على مر العصور

إنّ أسلوب الاستهزاء والسخرية بالدّعاة والنيل منهم، وتحطيمهم أسـلوب قـديم، سـلكه جميـع الطواغيت مع الرسل وأتباعهم، نعم إنه أسلوب مجمعُ عليه، هذا ما سجّله القرآن الكـريم، قـال تعالى: "brâÏ‘öq„ ¾ÏmÎ/ (#qçR%Ÿ2 žwÎ) @Aqß™§‘ `ÏiB NÍkŽÏ?ù'tƒ $Br ÇÏÈ û,Î!¨rF{$# ’Îû <cÓÎ<¯R `ÏB $Zu‹Ï™¯R N.r"[1]، وهذا الأسلوب من السخرية والاستهزاء بالدّعاة إلى الله، لم يتوقف لحظة من اللحظات في الصراع القائم بـين أولياء الرحمن، وأولياء الشيطان عبر التاريخ.

من خلال قراءتنا لآيات القرآن الكريم نستطيع أن نرى الأسلوب الذي يستخدمه أولياء الـشيطان ضد أولياء الرحمن، ومن هذه الآيات:

1. قال تعالى: "wqß™‘ ª!$#]èt/ “Ï%©!$#‹»ydr& #·râèd žwÎ) 7Rrä‹Ï‚Gtƒ bÎ) 8ru‘#u‘ #Œ Î)r"[2].

فهذه الآية الكريمة تتحدث عن أسلوب من الأساليب التي واجه المشركون مـن قـريش دعـوة الرسول –صلى الله عليه وسلم-بها، إنهم يخاطبونه مستصغرين شأنه على سـبيل الاسـتهزاء، والتهكم المؤذي الذي عجل الإنكار والجحود لرسالته صلى الله عليه وسلم.

قال الرازي: "أعلم أنة سبحانه لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته، وإيراد الـشبهات فـي ذلك، بيّن بعد ذلك أنهم إذا رأوا الرسول اتخذوه هزواً، فلم يقتصروا على ترك الإيمان بـه، بـل زادوا عليه بالإستهزاء والاستحقار"[3].

2. وقـــال تعـــالى: "¾ÏmÎ/ (#qçR$Ÿ2 $B Oßg÷YÏB (#rãy‚y™ šúïÏ%©!$$Î/ t,%y`sù 7@ß™ãߑÎ/ “Ïäö‹çGó™$# ‰s)s9r"
"brâÏ‘öq„"[1].

(1) الزخرف: الآيات 6-7.

(2) الفرقان: آية 41.

(3) الرازي: **التفسير الكبير**، مرجع سابق، 74/12.

أخبر الله تعالى رسوله الكريم بأن الكفار قد استهزأوا برسل كرام قبلك، فما تراه من استهزاء كفار قريش بك ليس ببدع منهم بل هم جَرُوْا على آثار أعداء الرسل قبلك، وقد حلّ بأولئك الساخرين المستهزئين العذاب الذي أنذرهم إياه الرسل جزاءً على سوء صنيعهم، وفي هذه مواساة للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه، فنزل وأحاط بالذين هزئوا من رسلهم العذاب جزء استهزائهم الذي كانوا يهزئون به وينظرون أن يكون واقعاً بهم على ما أنذرهم رسلهم، حيث أهلكوا جميعاً من أجل الاستهزاء به[2].

وتفيد الآية أنّ الاستهزاء والسخرية بالرّسل والدّعاة سنّة بشرية لا تكاد تتخلفّ، ولذا وجب على الرسل والدّعاة الصّبر على ذلك، وفي الآية بيان عاقبة التكذيب والاستهزاء، وهو هلاك المكذبين المستهزئين[3].

3. وقال تعالى: "#Œ Ĵr ‘ä#8$@%ïû 2Ÿyãt(#Î c ƒ6,Ïär 7R wžÎ)äd# r&d»‹ #$@%Ï ” ãõ2 àä#9 gG N䃊 Nèdr Î É2 ò$Ì$@#q»Ç Nèd 2Ÿ»yãt r c š"[4].

أي صورة أقبح وأبشع وآلم على النفس الأبية من أن يهزأ المبطل بالمحق، ويسخر السفيه بالعاقل، ويستهزئ الوضيع بالشريف!!! إن المشركين وهم يعبدون الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تنطق ولا تسمع، يستهزئون بالرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي يوحد الله ويعبده، ولا يشرك به شيئاً وهم يكفرون بالرحمن، وهو خالقهم ورازقهم ويملك نفعهم وضرهم، وفوق ذلك يسخرون ويتعجبون كيف ينال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من أصنامهم ويعيبها، ويذكرها بسوء، ولا يعجبوا من ضلالهم وكفرهم بالرحمن الذي بيده رزقهم ونفعهم وضرهم، وإليه مرجعهم ومآلهم! [5].

---

(1) الأنعام: آية 10.

(2) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 154/5. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 254/6. الزمخشري: **الكشاف**، مرجع سابق، 8/2. المراغي: **تفسير المراغي**، مرجع سابق، 82/1.

(3) الجزائري، أبو بكر جابر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، دار لينة، أضواء المنار، المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط2، 1419هـ، 40/2.

(4) الأنبياء: آية 36.

(5) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 26/17.

4. وفي سورة الصافات يقول تعالى: "#ŒÎr ‘&r# ä#Ø„ ó Fó, äãrb ÈÍÇ r%$ãp(Îb d»‹! Îžw ÅÅ ös Ô3ÎüûÎ"[1].

تبين هذه الآية "أنّ المشركين من أهل مكة إذا ذكر لهم القرآن ما حــلّ بالمكــذبين مــن الأمــم الماضية لم يتعظوا ولم يعتبروا، بل أعرضوا عن هذا التذكير ولم يتدبروه، لم يقفوا عنــد هــذا الحد بل إذا رأوا معجزة من معجزات هذا الدّين سخروا منها واستهزأوا بها، واتخذوها هــزواً، وتمادوا في ذلك فقالوا: إنّ هذا القرآن الذي أتى بهذه المعجزات مجرد سحر خــادع، وتخيــل لا حقيقة فيه"[2].

5. وفي سورة الجاثية يقول الله تعالى: "#ŒÎr ‰‹Ï@ Îb rã‰$¡ Am, $9¡$ãè pw ‘÷= |ìŽk$ èéL B$ R‰ñ6 í "
B9 ¡$ãè pb ÎŒ ã` • Îžw ßŽ $Br $B Ùß Ï3ß óÉÏŸü úš ÈÌÇ r/‰# ;çd ™ h« $BŠ ¹àéq(rn ‰- Î7Ĩ $B .‰çq(Îï¾ óÖöÏã Šr c"[3].أي بدا لهؤلاء الذين كانوا في الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا في الــدنيا فظهر لهم هنالك قبائح أعمالهم وشرارها لما قرءوا كتب أعمالهم التي كان الحفظة تنسخها فــي الدنيا فنزل بهم من عذاب الله جزاء ما كانوا به يستهزئون. [4].

القصد من السخرية والاستهزاء

إنّ الطوّاغيت يقصدون من أسلوب السخرية الذي يسلكونه مع المؤمنين تحقيراً للدعاة وأتبــاعهم من بعدهم من المؤمنين، وتهوين شأنهم في عيون الناس؛ حتى لا يكون لكلامهــم تــأثير فــي النفوس، ووقع في القلوب، وذلك لأن الشخص الذي يهزأ به، ويسخر منــه فــي عــرف أهــل الجاهلية، ضعيف العقل، قليل الإرادة، لا يسمع ولا يكترث لكلامه، وهذا أسلوب قديم جديد عــن الطواغيت، فهم يلجأون دائماً إلى أسلوب التهكم والسخرية من الدّين والرسل والمؤمنين وأتباعهم في كل زمان ومكان[5].

---

(1) الصافات: الآيات 14-15.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 47/15-48.

(3) الجاثية: الآيات 32-33.

(4) انظر: الطبري، **جامع البيان**، 269/11. انظر القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، 117/16.

(5) أبو فارس: **الابتلاء والمحن في الدعوات**، مرجع سابق، ص57-58.

ويذكرنا هذا الأمر بواقعنا الأليم الذي يسخر فيه من الدين، ونشير هنا إلى ما ينشر في الكتب، والصحف، والمجّلات، ويذاع عبر الفضائيات من نكات، وطرق تسخر من المؤمنين، أضف إلى ذلك تلك الصور الكاريكاتورية العابثة التي تستهزئ بالإسلام والمسلمين، بل وصل الأمر إلى الاستهزاء بنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم.

إنّها الحرب النفسية واللاأخلاقية التي يتبعها أولئك الأعداء من أجل الفتّ في عضد الأمة، وإعلان الحرب عليها حتى تضعف من حماسهم لفكرتهم، ودينهم، ودعوتهم، ويتراجعوا عما يدعون الناس إليه، إن الذي يهزأ بالرسل –عليهم الصلاة والسلام– وأتباعهم، والدعاة وعلماء الإسلام المخلصين، لا يعدو أن يكون كافراً، أو ملحداً، أو مشركاً، أو فاجراً، أو فاسقاً، أو مرتداً، وهؤلاء جميعاً هم أعداء الإسلام.

المبحث الثاني

الاتهام بالكذب

من صور الحملات الإعلامية المسعورة التي يشنها الأعداء ضد الرسل والدعاة، اتهامهم بالكذب والافتراء والاختلاق، والتّشنيع عليهم؛ لتشويه صورتهم، وإثارة الشكوك حولهم، حتى يفقد الناس ثقتهم بهم، بعدم الإيمان بهم أو اتباعهم، أو الدعوة إلى ما جاءوا به.

والقرآن الكريم حافل بكثير من هذه الآيات التي توضح ظلم الطواغيت، واتَّباعهم هذا الأسلوب القبيح، وهذه بعض الآيات التي تتضمن أقوال المشركين في الرسول -صلى الله عليه وسلم- ورسالته:

قال تعالى: "r’Åþ¢b# &b `Mëä!ß ZB ÖËé]B (tA$s%ur ÜcrãÏÿ»s3ø9$# #x»yd ÖÏmy» Ò>#¤x. è"[1].

عَجِبَ مشركو العرب أن يأتيهم مُبلغ من البشر يُبلغهم دعوة ربهم، ويحذّرهم بأس الله بكفرهم، وإشراكهم مع الله آلهة مزعومة. وقولهم "هذا ساحر كذاب" أرادوا بالإشارة محمداً -صلى الله عليه وسلم-، فقد كذّبوه ورموه بالسحر؛ إذ قالوا إنه يفرق بين الوالد وولده وبين المرء وزوجه[2].

وقال تعالى: "@/ (#þqä9\$s% ß]»tóôÊr& ¥O»n=ôm& È@t/ çm1utIøù\$# ö@t/ uqèd ÖÏã\$x© \$uZÏ?ù'uù=sù 7pt\$t«Î/ !\$yJx. @Åöé& tbqä9¨rF{\$#"[3].

لم يقتصر قولهم في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: هل هذا بشر مثلكم، وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم إنه سحر، بل قالوا: عن القرآن: أنه تخاليط أحلام[4].

ومما يجدر ذكره هنا أن هؤلاء المشركين الذين كانوا يطلقون هذه التهم الباطلة، ويلقونها جزافاً على هواها، كانوا لا يؤمنون بها، ولا يصدقون أنفسهم حين يتفوهون بها، وهم يعرفون تمام

(1) ص: آية 4.

(2) أمير: **التفسير الشامل**، مرجع سابق، 2871/5.

(3) الأنبياء: آية 5.

(4) الألوسي: **روح المعاني**، مرجع سابق، 10/9.

المعرفة أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ما كذب في جاهليته، وما كذب على الناس، فكيف يكذب على الله تبارك وتعالى؟ هذا ما كانوا يقرون به أمام هرقل[1].

عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنه– أن أبا سفيان بن حرب[2] أخبره: "أنَّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام، في هذه المدة[3] التي كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– معادياً فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء[4] فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان فقلت: أنا أقربهم نسباً. فقال: أدنوه مني وقرِّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: لترجمانه، قل لهم: إني سائل عن هذا الرجل فإن كذّبني فكذبوه... فسأل أبا سفيان عن نسب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وآبائه، وأتباعه وثباتهم على الدين، ثم قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال: فهل يغدر، قال: لا. ثم قال هرقل بعد أسئلة أخرى وجهها إلى أبي سفيان: وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن يذر الكذب على الناس ويكذب على الله..."[5].

نعم ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وإنما كذّبوه واتهموه بالكذب حسداً وعناداً، وتعلقاً بالزعامة ودفاعاً عنها، وهو صادقٌ مُصدَّق، قال تعالى: "ûüïÍ»@9$£Å»9r š• Rq¯ÉÌ3Ïw tbâÎû ÎÌ$»f$«ÎM$ sø‰ br"[6].

---

(1) هرقل: هو ملك الروم، وهرقل اسمه وهو بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف، ولقبه قيصر اعتلى عرش الدولة البيزنطية، ولد عام (575م) ومات سنة (641). انظر: **الموسوعة السياسية**، عبد الوهاب الكيالي، شارك في الإعداد محمد بشير الكافي، محمد عماره، عبد الرحمن منيف، وأخرون، المؤسسة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، 111/7.

(2) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي، أسلم يوم الفتح توفي في آخر خلافة عثمان سنة 34هـ. انظر: **الإصابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، رقم الترجمة (4050) 412/3-415.

(3) المدة: يعني مدة صلح الحديبية وكانت سنة 6هـ، وكانت مدتها 10 سنوات.

(4) إيلياء: اسم بيت المقدس ومعناه بيت الله. معجم البلدان، مرجع سابق، 338/1.

(5) رواه البخاري: **فتح الباري**، كتاب بدء الوحي، باب 6 حديث رقم (7). 39/1.

(6) الأنعام: آية 33. روى الترمذي في سننه في سبب نزولها عن علي كرم الله وجهه أن أبا جهل قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: إنّا لا نكَذِّبكَ، ولكنَّ نكَذِّبَ بما جِئْتَ بِهِ". انظر: **سنن الترمذي**، كتاب **تفسير القرآن**، باب 7، من الأنعام، حديث رقم (3064). مرجع سابق، 261/5.

وهذا النضر بن الحارث[1] وهو أشد المشركين عداوة لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول فيه: "يا معشر قريش، إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به؛ قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم[2]، وقلتم: كاهن لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر، لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله قد نزل بكم أمر عظيم"[3].

ولم يتعرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وحده إلى هذه الحملة الشرسة، والاتهام بالكذب، فقد تعرّض الرّسل من قبله لهذه التهمة القبيحة، ولقد سجّل القرآن الكريم هذا الأسلوب الذي كان يستخدمه الطواغيت في الصدّ عن سبيل الله في أكثر من سورة، ومع أكثر من نبي.

1. فقد وقف فرعون (مصر) يتهم موسى –عليه السلام– بالكذب. قال تعالى: ãöqãdi A$%r

’ûr Ó›qã ìn»9Ï #<Ï ì‡Ô'ù [4]Ñ°q»J¡¡9$ =»7ô™& ÇÌÏÈ |=»7ô™F{$# àè=ö/r& þÎe©[n¾Å ’Ïi Ÿ$ß»J»g»ƒ

ž¤Ï šc qãdi %ø Ÿ2 $Br ©‹Ï¡¡9$Çã %ß r ¾ãJã âpß bqãdÿ9 ûE 7 ‰° ‹ Ÿ2 r $Y‹É»Ÿ2 ¼çZß Y

šc qãdi 4<Ï ÇÌÈ Bú üß9»ÜtB9r $Zï»ƒ$«Î Ó›qã $Zt™ö& %)9r": وقال تعالى. [5]" 5> $6? ’Î

.[6]"Ó#¤Ÿ2 Ó»™ (q$)ù šc rã%r `»J»dr

(1) هو النضر بن الحارث بن كلده بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري. أسر يوم بدر وقتل كافراً. انظر: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت832هـ) تحقيق وتعليق ودراسة محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998. 159/6.

(2) العقدة: جمع عقدة وهي التي يعقدها الساحر في الخيط ينفخ فيها بشيء يقوله بلا ريق أو معه. **المعجم الوسيط**، 621/2، مرجع سابق.

(3) ابن هشام: **السيرة النبوية**، مرجع سابق، 239/1.

(4) طرق السموات والأرض.

(5)غافر: الآيات 36-37.

(6) غافر: الآيات 23-24.

2. واتهم أولياء الشيطان نوحاً –عليه السلام– بالكذب، وحاولوا جاهدين إبعاد النـــاس عنـــه وتفريقهم من حوله. قال تعالى:"ûï‰@$_J#$A$)ù ¨Ë (rãý. `Ë Bq%‰ÎB #!±0 ãÎ) š• 1•R $B $Y=#Ë $Br

Nä3¥ãR @/ @Õù `Ë $Zã ã Nä3 3' •R $Br Ä ù@9$ "Š$/ $Y#è‰&Nèd šú ïÏ%©!$ãÎ) š• è7?$š• 1•R

$B!©ÈÉqç Pöq%r" : قـــال تعـــالى: ".2)"ûüÎ™ë3»9 qç Pöq% M/x." وقال تعـــالى: ".1)"šú üÎ/É».

."(3)" Z/#ä Ä $Y=#9 Nßg»Yè_r Nßg»Yè•ô&@Í$¨9$ (qç/x Y2

3. وكذبت قبيلة ثمود صالحاً واتهمته بالكذب. قـــال تعـــالى: " .x/M 0B3qß $9Z ãf Èlç ù)(ã#$ÏJ)

(4)žÅ& è> #x. qèd @/ $ZÏ÷/ .`Ë ïnø ã ãõ!$'Å $ç ÎÈ @@ã§'r @»=Ê 'ÅC#†Î) $RÎ ýqçãÎ®#%ïn°r $ZÏË #Ž³0&

Nç A$% @Î ÇÏÈ ûüÎ™ë3»$Ë ãq 0B M/x. " قال تعالى: ".5)"ž çÅ R‡$ÛU #x3»$Ç B #%î bqè‹™ ÇÎÈ

.(6)"bqãÈ? ŸW& ìx î |¹ Nèdqä&

4. وكذبت قبيلة عاد هوداً – عليه السلام– واتهمته بالكذب. قال تعـــالى: "%A$#$_J @$%ïÏ šú

M/x." : وقال تعالى: ".7)"šú üÎ/É»3»$šÆ Ë 7 Z ãZ9 $RÎ)r ¶d$ÿ™ 'Î š• 1Ž\9 $RÎ) ýïnÏBq% `Ë (rãý.

.(8)"f äÎ r 'Î#‹ ã b‰. #øŠù Š%æ

أقول: وما من نبي ولا رسول أرسل إلا واتهمه أولياء الـــشيطان بالكـــذب، وشـــنعّوا عليـــه وآذوه، قـــــال تعـــــالى: "Ne ôø$#™ŒZ$ â§'$Y= Ž#Ž ä@ $B `!äé B§'§ Iè$. x/ç qç ùØ7è$/ Y è/ÕN è/ Ò$

r_èY»gNß &nš] ‚ç è%# Ï(ç)Ö ŽåsBš ãbq"(9). وقال تعالى: "bÎ)@ä ŽÎ) Y2 x> 9¨@Í ù s ¨ Ä)ã $

.(11)"‰‹ãr ¨ út @Í$9¨$ >x . @ä 8‡êBq%r þ3'‡R$ =»tõ¾&r" : وقال تعالى: ".(10)"

(1) غافر: الآيات 23–24.

(2) هود: آية 27.

(3)الفرقان: آية 37.

(4)أشِرَ: بطر واستكبر. **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 19/1.

(5)القمر: آية 23–26.

(6) الشعراء: الآيات: 141–142.

(7) الأعراف: آية 66.

(8) القمر: آية 18.

(9) المؤمنون: آية 44.

(10) ص: آية 14.

(11) ق: آية 14.

هذا وبعد أن يسرد القرآن الكريم كثيراً من مواقف الأمم الماضية مع رسلها، يتوجه الخطاب إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مواسياً له على تكذيب قومه له. قال تعالى: "‰)9r ‰)9r «‹ $ÏM»Jî3ï Aü‰7ã ÿr $RŽçC RÑÖ9?& ØLm (rÈrér (qç/Éä $B 4?ã (rç9Áù 7î‰ `Ï @ß ã M/Éä ` Ï 8äî&î6R `Ï 8ä!` "šú üî™ë3$&[1].

قال سيد قطب: "كلمات يقولها الله –سبحانه وتعالى– لرسوله صلى الله عليه وسلم: كلمات للذكرى، وللتسرية والمواساة... وهي ترسم للدعاة إلى الله من بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– طريقاً واضحاً، ودوراً محدداً. كما ترسم لهم متاعب الطريق وعقباته... إنها تعلمهم أن سنة الله في الدعوات واحدة لا تتجزأ... دعوة تتلقاها الكثرة بالتكذيب، وتتلقى أصحابها بالأذى... إنها سنة تجري بالنصر في النهاية... ولكنها تجيء في موعدها لا يعجّلها عن هذا الموعد أن الدعاة الأبرياء الطيبين المخلصين يتلقون الأذى والتكذيب، ولأن المجرمين الضالين يقدرون على أذى المخلصين الأبرياء الطيبين! ولا يعجّلها كذلك عن موعدها أن صاحب الدعوة المخلص المتجرد من ذاته ومن شهواته، إنما يرغب في هداية قومه حباً في هدايتهم، وإشفاقاً على ما هم فيه من ضلال وشقوة، وعلى ما ينتظرهم من دمار وخراب وعذاب في الدنيا والآخرة... لا يعجّلها عن موعدها شيء من ذلك كله، فإن الله لا يعجل لعجلة أحد من خلقه، ولا مبدل لكلماته سواء تعلقت هذه الكلمات بالنصر المحتوم، أم تعلقت بالأجل المرسوم[2].

---

(1) الأنعام: آية 34.

(2) قطب سيد: **الظلال**، مرجع سابق، 2/1077-1078.

المبحث الثالث

التعذيب بالضرب والجلد

حتى يُرهب أعداء الله وأولياء الشيطان أولياء الرحمن –كما يتوهمون وتسوّل لهم أنفسهم– يزمجرون ويزبدون، ويهددون بالويل والثبور، وعظائم الأمور لكل من تسوّل له نفسه مخالفتهم، والسير على طريق غير طريقهم، والقول بقول يخالف قولهم، إنهم سيضربون بيد من حديد، حتى أصبحت هذه العبارة تتكرر مئات المرات عبر التاريخ. وهذا هو ديدن الطغاة الظالمين المجرمين في الأرض.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم هذا الأسلوب في أكثر من سورة من سوره:

1. ففي سورة الشعراء يهدد قوم نوح –عليه السلام– نوحاً إن هو استمر في دعوتهم إلى التوحيد بالرجم قال تعالى: "#qä9$s% ûÈõ9 óO©9 ÏmtF^? ßyqãZ» ûüÏBqã_öçJøÿ`Ï9 ûÆú"[1]. "أي المرجومين بالحجارة، وهو توعد بالقتل"[2].

2. وفي سورة هود يخاطب قوم شعيب شعيباً –عليه السلام– بعد أن دعاهم إلى توحيد الله وعبادته، وناظرهم مناظرة علمية موضوعية تقوم على الحجة والبرهان، قال تعالى: "#qä9$s% »ÿ$àè Ü $B ãøÿ) ç. #ZÏV $ÿB ãAqà)? $R̂r 7 1Z\9 $ZŠÏ Ê $Z‹ÏÏ ‹ ÿÖÏö 7 ÜÏd 7 ÖYÏd•9 $Br |MR& $Zø ã ÅÎÏè ÷9 "[3].

3. وفي سورة مريم يقف إبراهيم –عليه السلام– يناقش أباه آزر نقاشاً موضوعياً علمياً يدعوه فيه إلى عبادة الله وتوحيده، ويقدم له الحجة تلو الحجة، والدليل مع الدليل بأسلوب

---

(1) الشعراء: آية 116.

(2) الألوسي: **روح المعاني**، مرجع سابق، 106/10. انظر: النسفي: **تفسير القرآن** الجليل، 413/3.

(3) هود: آية 91.

رفيق مع الأدب الجم والاحترام للأبــوة، فيــرد عليـــه الأب: "[illegible]
[illegible]"[1].

4. وفي سورة العلق يقول الله تعـــالى: "[illegible]
[illegible]
[illegible][2] [illegible]
[illegible]"[3]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال أبــو جهــل[4]:
"لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن على عنقه"[5]، وعنه رضي الله عنهما قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي –صلى الله عليه وسلم– فزبره[6] فقال أبو جهل: إنــك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله "[illegible]" فقال ابن عبـــاس: فو الله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله[7].

حوادث من السيرة النبوية:

1. تعرض رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضوان الله علــيهم– للــضرب والجلد ففي رحلة الرسول –صلى الله عليه وسلم– إلى الطــائف اســتقبله أهلهــا شــر استقبال، فأذوه إيذاءً شديداً في جسده، فأغروا به صبيانهم وسفهاءهم، ومجانينهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا جسمه الشريف، وقفوا له صفين على طريقه، فلّما مر رسول الله –

(1) مريم: آية 46.

(2) سفع سفعاً: قبض عليه وجذبه بشدة. انظر: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 436/1.

(3) العلق: الآيات 9–19.

(4) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد زعماء قريش، ودهاتها في الجاهلية كان يكنى "أبا الحكم" فدعاه المسلمون "أبا جهل" قتل يوم بدر سن2هـــ. انظر: **الأعلام**، مرجع سابق، 87/5.

(5) **سنن الترمذي**، كتاب التفسير "من أقرأ باسم ربك" باب 58 حديث رقم (3348) قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب. 443/5–444.

(6) فزبره: أي زجره نهره ومنعه وأغلظ في القول. انظر مجمع اللغة الغربية، **المحيط**، 647/2.

(7) **سنن الترمذي**، كتاب التفسير، باب (86) حديث رقم (3349) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. 444/5.

صلى الله عليه وسلم- بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه [1].

2. لما أسلم أبو ذر [2]-رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، قال: والذي نفسي بيده! لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه" فأتى العباس[3] فأكب عليه، ثم قال: ويلكم! ألستم تعلمون أنه من غفّار [4] وأنها طريق تُجّاركم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه، وأثاروا عليه فأكب العباس عليه"[5].

3. أصاب عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه – من العذاب والعنت والمشقة الشيء الكثير، قال عروة بن الزبير[6] -رضي الله عنه-: "أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، اجتمع يوماً أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: "والله ما سمعت قريش القرآن يجهر لها به قط، فَمنْ رجل يسمعهموه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك إنّما

(1) الصالي: **سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، مرجع سابق، 439/2.

(2) هو جندب بن جنادة من قبيلة غفار، أسلم بمكة ولم يشهد بدراً ولا أحد ولا الخندق لأنه حين أسلم رجع إلى قومه، رجع إلى المدينة وكان عثمان قد سيّره إلى الربَّذة فمات بها سنة 32هـ. انظر: ابن قتبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ): **المعارف**، حققه وقدم له، ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، 1969. ص252-253. الربَّذة: قرية من قرى المدينة قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز. انظر: **معجم البلدان**، مرجع سابق، 27/3.

(3) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي عم النبي صلى الله عليه وسلم كان رئيساً في الجاهلية وإليه السقاية وعمارة المسجد توفي 32هـ وعمره 88 سنة. انظر: **العقد الثمين**، مرجع سابق، 313/4.

(4) غِفار: قبيلة من كنانة، كانت مشهورة بقطع طرق التجارة للقوافل، وغفار هو بن مليل بن ضمره بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة بن خزيمة. انظر: عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1982. 89/3.

(5) عبد الباقي: جمعه محمد فؤاد: "**اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**، رقم (1607) المطبعة العصرية بالكويت، ط1977، وزارة الأوقاف، الكويت. ص167-168.

(6) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العرى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمه اسماء بنت أبي بكر، كان عالماً صالحاً، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، أصابه الأكلة وهو بالشام، ت93هـ. انظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، مرجع سابق، 255/3-258.

نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه. قال: دعوني فإن الله تعالى سيمنعني. فغد ابن مسعود حتى أتى المقام، ثم قـال: بـسم الله الـرحمن الـرحيم $$q»` ÇÈ N=æ b#äøó$$"[1] ثم استقبلها يقرؤها وتأمَّلوه يقولون: ماذا قال ابن أم عبد؟ ثم قالوا: إنـه يتلـو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه، وقد أثّروا بوجهه، فقالوا: هذا الـذي خـشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله تعالى أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينّهم بمثلهـا غداً، قالوا: لا، حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون"[2].

هذا هو منطق الطواغيت تجاه الرسل والدعاة وأتباعهم في كل زمان ومكان، هذا هـو منطـق الطغاة المجرمين للذي جاء يجمع العرب وغير العرب على الهـدى، ويحـررهم مـن عبـادة الأصنام، ويخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، إنهّ منطقٌ حذّر منه الرسول –صـلى الله عليه وسلم– فقال: "سيأتي على الناس سنوات خدَّاعات، يصدّق فيها الكاذب، ويُكـذَّب فيهـا الصّادق، ويُؤتّمن فيها الخائن، ويُخوّن فيها الأمين، ويَنَطقُ فيها الرُّويْبضَة قيل وما الّرويْبـضَة؟ قال: الرَّجل التّافه يتحدّث في أمر العامة"[3].

---

(1) الرحمن: الآيات 1–2.

(2) الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، مرجع سابق، 468/2–469. ابن هشام: **السيرة النبوية**، مرجع سابق، 250/1.

(3) **سنن ابن ماجة**: كتاب الفتن، باب 24. شدة الزمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه حديث رقم (4036) المصدر السابق. 1339/2–1340.

المبحث الرابع

التهديد بالقتل والتنكيل

حين يعجز الطواغيت عن منع أولياء الرحمن من الاستمرار في دعوتهم للنــاس، وعــن صــد الدعاة عن دينهم وعن دعوتهم، رغم كل الإغراءات التي يقدمونها لهــم ولأتبــاعهم، لا يبقــى أمامهم سوى التصفية الجسدية، والتنكيل بالمخلصين المؤمنين.

ومن صور التهديد أن يقوم أولياء الشيطان بتهديد أولياء الرحمن بالقتل، والــصلب، والــسحق، وغير ذلك من الجرائم البشعة التي زاولها أولئك الطغاة قديماً وحديثاً، ضد الدعاة المخلصين إلى الله المؤمنين به.

1. ففي سورة غافر يذكر لنا القرآن الكريم تهديد فرعون لموسى –عليه السلام– بالقتــل، قــال تعــــــالى: "A$%r ÿãëi Üc Ïrâ㠁þ @ÞÇ qã ‹Ó ‹Ø ãé‘ ÿç/ þÎ) ‹&ÿ{% $Ï‹&bã7Ï¿A Ÿ/š 6àÑ‹&ï‹&bã ãçÏ•Î’ ÖF{$ ÿÇ$ ¡ ‹$Š"[1].

قال النسفي: "كان ملأ فرعون إذا همّ بقتله كفوّه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك ومــا هو إلا ساحر. وهكذا عندما يعجز الطواغيت عن المعارضة بالحجة يلجأون إلى قتل خــصمهم، ولكنه كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالعقوبة، والظاهر أن فرعون قد استيقن أنه نبيّ وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر"[2].

2. في سورة طه يقف الطاغية فرعون يهدد السّحرة الذين آمنوا بــرب العــالمين رب موســى وهــــارون قــــائلاً: "A$%ä#BŽâ 9çÞ¼ %Ö@ &Ïþ ä#Œb 9Ñ ãÑ ÎûçÞ¼ 9ç3ÎçÏäÑ$!%Ï“ æ=ïJ ãÑ$9Å ós• ù|_ %ÖÿËè Æ
&ï%ƒãÑ ãr Ï&ã_ã=Ñ/ ãÏô Å=»# 7r {_ ¹kÏ7Ÿ ãÑ ÎÍ’ ãäÆ/$9Z ÷@ èr 9G=è ß£ &ƒY$ &©‰ ã‹ #X$ rÏ4+ ÈÏÇ %$ÏqÏ(9`

(1) غافر: آية 26.

(2) النسفي: **تفسير القرآن الجليل**، مرجع سابق، 349/4.

ÇÐÈ $‹R$!$o4Štø$ÍÉ»d ÓÅÒø? $JR̃ ÇÚ $% |MR& $B ÇÙ %$$ù $R•Üù " ‰$ ÏM»ZÉ9$šÆ Ï $Rä!` $B 4?ã 8•Ïsŕe

ÇÐ ÉR̃ $ZB#ä $ZÎ•Î $Z9 •ÿó‹ï $Z»‹»Üz $Br $YGd•ø& ÏHøã $`Ï $9Å 1ós • $!ª zöž ră+# "[1].

3. لقد حاول المشركون أن يقتلوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليلة الهجـــرة، بـــل إنهـــم قرروا قتله على أن ينفذ ذلك فتية من بطون القبائل، يضربون محمداً –صلى الله عليـــه وســـلم– بالسيوف ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه بين القبائل، ويرضى بنو هاشم بالدّية، وفي هذا يقـــول الله تبارك وتعـــالى: "r̂Ó ƒðãã[2] Î7 $‰ƒ` .ÿãr(ïÅ[ŷ8q ‹r ƒþèq8 ‹r ä•Ìã8q r ƒðãã$ br ƒðãã$!ª $ Ö$!ª zöŷ$ J» 6Å•ïû "[3].

قال الماوردي[4]: وفي قوله تعالى: "r̂Ó ƒðãã Î7 ..." ثلاثة أقوال: "الأول: يثبتوك فـــي الوثـــاق. الثاني: يثبتوك في الحبس. الثالث: يثبتوك: أي يخرجوك من مكة إلى طرف من أطراف الأرض حتى تهلك"[5]. وتخبرنا كتب السيرة النبوية ما حدث لآل ياسر –رضي الله عنهم– مـــن تعـــذيب وإصرارهم على التمسك بالمبدأ الذي اعتنقوه، خاصة ياسر وزوجته، فلما يئس المشركون مـــن ترك دين الإسلام، والعودة إلى الإيمان "باللات[6]، والعزى[7]، وهبل[8]، قتلوهما، إذ طعن أبـــو جهل –لعنه الله– أم عمار وزوج ياسر بحربة في موطن عفتها فماتت، ومات زوجها بعدها[9].

---

(1) طه: الآيات 71-73.

(2) المكر: هو الخداع، وأن تصرف غيرك عن مقصده بحيله. انظر: **المعجم الوسيط**، مرجع سابق، 881/2.

(3) الأنفال: آية 30.

(4) هو علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي المعروف بالماوردي أبو الحسن، فقيه، أصولي، مفسر، ولد بالبصرة سنة 364هـ وتوفي سنة 450هـ في البصرة. انظر: كحالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، لبنان، دمشق، ط1، 1957م، 189/4.

(5) الماوردي: تفسير الماوردي، مرجع سابق، 212/2.

(6) اللّات: صنم كان لثقيف في الطائف وتعطف عليه العُزّة، كانت قريش تطوف بالكعبة وتقول: واللّات والعزىّ ومناة الثالثة الأخرى وأن شفاعتهن لتُرتجى. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 130/4-131.

(7) العزّى: صنم كانت لغطفان، من أعظم الأصنام عند قريش وأكبرها، وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبائح. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 130/4-131. مصدر سابق.

(8) هُبل: صنم لبني كنانة، كانت قريش تعبده، وقيل كان من أصنام الكعبة منصوب حولها. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 449/5.

(9) الكاندهلوي، محمد يوسف: **حياة الصحابة**، قدم له وعلق عليه محمد بكر إسماعيل، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1997، 241/1-242.

هذا، وما من رسول من الرّسل إلا وحاول قومه قتله بعد عجزهم عــن صَــدّه بكــل الوســائل المختلفة من تكذيب، واتهام بالسحر، والجنون، والشعر، والحاق الأذى، وغيرها وفي هذا يقــول الله تعالى: "M#dr 2à@éB¥ î•'ßq]îÑ ù} ä rç"[1].

والمقصود بالأخذ هنا هو الإهلاك والقتل، ومنه قوله تعالى: "b]ã { +‹çŸ ›Ò ©‰ƒ‰"[2].

قال ابن كثير: يقول الله تعالى: "وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كــذلك نفعــل بأشباههم "إنّ أخذه أليمٌ شديد"[3].

وفي الصحيح عن أبي موسى الأشعري –رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنــه قال: "إن الله تعالى ليُملي[4] للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[5]" ثم قرأ قوله تعــالى: "r. ‹° • &{ä ĥ7]€# {‹ $#à• 3' r& ' ß»ß]p b]ã { +‹çŸ ›Ò ©‰ƒ‰"[6].

(1) غافر: آية 5.
(2) هود: آية 102.
(3) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، 576/3.
(4) أي ليمهله، ولم يفلته. انظر: النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت676هــ): **رياض الصالحين**، حديث رقم (205) حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق، ط3، 1980، ص113-114.
(5) أي لم يخلصه من العذاب. انظر المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(6) رواه البخاري: **كتاب التفسير**، باب (5) باب هود، مرجع سابق، 395/8.

المبحث الخامس

نماذج من الابتلاء والمحن في سبيل الدعوة إلى الله

1. ابتلاء موسى – عليه السلام–

كانت حياة موسى –عليه السلام– عبارة عن سلسلة مرتبطة الحلقات من الآلام والمحن والابتلاءات، وزاد حياته بلاءً تعرضه لنقمة فرعون وملائه من جهة، ولإيذاء قومه ومكائدهم من جهة أخرى.

فبعد مرور موسى بالواد المقدّس، أراه الله بعض معجزاته، فهذه عصاه يلقيها على الأرض فتنقلب حية تتلوى وتهتز وتتحرك، وتلقي الرعب في قلوب الناظرين، وهذه يده يضمها إلى جيبه ثم يخرجها فتظهر بيضاء متلألئة لها بياض حسن، وبهاء جميل، ثم طلب الله منه أن يذهب بهاتين المعجزتين إلى فرعون لتبليغه الرسالة الإلهية فقد جاوز الحد في الطغيان، فطلب من ربه أن يشرح صدره ليتحمل ما يواجهه من صعاب، لهداية قومه إلى الصراط المستقيم، ويسهل عليه الأمر، ويعينه على البيان والإفصاح وأن يجعل أخاه هارون مساعداً له في رسالته، ومهامه الشّاقة، فأجاب الله دعاءه وأعطاه كل ما سأل. وأمره أن يذهب إلى فرعون مؤيّداً بالآيات والمعجزات.

وبيّن الله عدس وهارون الخطة التي ينبغي أن يسيرا عليها في مخاطبة فرعون وهي اتّباع الرِّفق واللّين، والأساليب الهادئة التي يمكن الوصول بها إلى الغاية والنجاح، فقال موسى وهارون: إنّا نخاف أن يبطش بنا عند مواجهته بالدعوة، هنالك ثبتهما بقوله: "لا تخافا إنني معكما" وزادهما طمأنينة بقوله: "أسمع وارى"؛ ثم أمرهما الله تعالى أن يقولا له: إنّنا رسولا رب العالمين وما أنت إلا عبد من عبيده، فامتثل موسى وهارون لأمر الله وذهبا إلى فرعون، وبلّغا الرسالة، ثم أظهر موسى –عليه السلام– برهان رسالته وأراه آيتي العصا واليد البيضاء، فكذّب فرعون بالدعوة، وأعرض عن اتّباع الحق، واتهم موسى –عليه السلام– بالسحر والجنون.

قال تعالى: [illegible][1] [illegible][2] [illegible][3] [4].

مما سبق يتبين لنا:

إن موسى –عليه السلام– قد دعا فرعون وملأه إلى الله تعالى ليعبدوه، ويرجعوا إليـــه، ولكـــنهم تمادوا في كفرهم وعنادهم ومخالفتهم لأمر بارئهم، ولم تنفعهم النذر، وأبت نفوسهم الموغلة فـــي السوء الإذعان لآيات الله البينّات، فاستكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، وكانوا قوماً مجـــرمين، أما فرعون فقد تمرّد واستكبر وأخذته الحمية حمية الجاهلية، والنفس الخبيثـــة، فركـــب رأســـه، وتولى كبره، وأدَّعى ما ليس له، وكفر بربه، وعتا، وبغى في الأرض بغير الحق، وصـــمّم هـــو وملأه على العناد، والجحود والمكابرة والتكذيب بالدعوة، ولم يؤمن لموسى عليه السلام مع مـــا جاء به من الآيات البينات، والحجج القاطعات، والبراهين الساطعات.

هنالك دعا موسى ربه بأنْ يُهلك فرعون وجنوده، وطلب من بني إسرائيل المؤمنين أن يـــصبروا ويتوكلوا على الله، وذكّرهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين، وكانت النتيجـــة بأن أهلك الله فرعون وجنوده بالغرق في اليمِّ كما أخبر الله تعالى بذلك.

قال تعالى: "[illegible]"[5].

---

(1) قال القرطبي في تفسير "**الجامع لأحكام القرآن**، قوله تعالى: ولا تنيا في ذكري، أي: لا تضعفا في أمر الرسالة، وقيل: تفترا، وعن ابن عباس أيضاً: لا تبطئا. 133/11.

(2) قال القرطبي في المرجع السابق 135/11: يفرط علينا: معناه: يعجل ويبادر بعقوبتنا، أي يعذبنا عذاب الفارط في الذنب".

(3) طه: الآيات 42–47.

(4) طبارة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص225–227. عباس: **القصص القرآني** إيمائه ونفحاته، مرجع سابق، ص235–236.

(5) القصص: آية 40.

قال تعالى: "ù' } ‹ç$!ª R3%A$ F Å•í $W{r ‹# ÈÎÇ ĵb Î' Œ9 7 9ëZ ŽJ ` ¢ ´ θ"[1].

الدروس والعبر المستفادة من ابتلاء موسى –عليه السلام– في سبيل الدعوة إلى الله

1. إن ما أصاب قوم فرعون من الغرق والهلاك كان بسبب ظلمهم وإعراضهم عن الإيمان.

2. إن العقيدة السليمة إذا رسخت في النفوس، وحلّت في القلوب، لا تزحزحها جميع القوى المادية وهذا الدرس نتلقاه من سحرة فرعون عندما آمنوا برسالة موسى عن اقتناع.

3. إنَّ الباطل مهما استعلى، ووجد له أنصاراً وأعواناً فلا بد من هزيمته أخيراً أمام الحق.

4. إنَّ في إيمان قوم موسى وتحملهم أذى فرعون، ووصايا موسى لهم بالصبر والكفاح لدرساً للمؤمنين ليستمروا في كفاحهم في سبيل عقيدتهم ودعوتهم.

5. إن انتصار موسى ودعوته على فرعون، مثل واضح لتقويض الطغيان يعرضه القرآن الكريم لكل أمة يطغى حاكمها كما طغى فرعون.

6. أنْ يتحلى الداعية إلى الله باللّين والرِّفق، والحكمة والموعظة الحسنة في دعوة الناس إلى عبادة الله، وهذا إرشاد سامٍ، ذكره القرآن ليكون مثالاً يحتذى به في كلّ زمان ومكان؛ فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إذا صاحبهما اللين كانا أفعل وأشد أثراً في النفس في ردِّها عن غيها[2].

7. يجب على أصحاب الدعوات أن يتحملوا تكاليفها – تكاليف الرسالة– وأن يصبروا على التكذيب بها، والإيذاء من أجلها فلا بد لمن يُكلفّون حمل الدعوات أن يصبروا ويتحملوا،

---

(1) النازعات: الآيات 25–26.

(2) طبارّة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، 252–258.

ويثابروا ويثبتوا، فلا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس، واستجابة القلــوب مهمــا واجهوا من إنكار وتكذيب، ومن عتوٍ وجحود[1].

8. إن كثيراً من الدعاة والمصلحين يدبُّ في نفوسهم اليأس، حينما يرون ابتعاد الناس عنهم، ولكن ليعلم أولئك جميعاً أن هذه الكلمة حينما يمنّ الله على قائلها بالإخلاص والحكمة، لا بد أن يكون لها أثرها، وقد حدثنا القرآن الكريم عن مؤمن آل فرعون كيف كان ينــصح قومه وكانت كلماته مؤثرة معبرة[2].

9. قضت سنة الله تعالى تدافع الحق والباطل وأن الغلبة للحق وأهله، وأن الاندحار والمحق للباطل وأهله، قال تعالى: " ðƒr $ß ! $ª6ß»Ü ®ŸÇ ŧr ,tøt$' Ÿ3îJ» 6î¯ÿÿ"[3][4].

10. إن من سنة الله مع العصاة والمكذبين: الإمهال، وعدم الاستعجال، قال تعالى: "ŧ6ř' 'íß9 ŭG9 ĵ cž .ø‰Ÿ " BĠüû"[5].

11. إن سنة الله ماضية لا تتخلف جرت على الطغاة السابقين وســتجري علــى الحاضــرين والقادمين فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا كما لا يفلت أحد مــنهم مــن عقــاب الآخرة وأنه إذا أخذهم لم يفلتهم قال تعالى: "r. ‹°ÿ • &{ä ŧ 7 ĵ(E# &{ ‹ $ŧŧè• 3r ŧE' ß»ŧîþ ĵb & ‹{ çŵ &ŸŠÒ ©‰Ÿƒ‰Ÿ "[6][7].

(1) الحمصي، أحمد فائز: قصص الرحمن **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، 4/150-151.

(2) عباس: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، مرجع سابق، ص338.

(3) الشورى: آية 24.

(4) زيدان، عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1993. ص47-48.

(5) الأعراف: آية 183.

(6) هود: آية 102.

(7) نوح، السيد محمد: **آفات على الطريق**، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، ط2، 1988، ص76.

2. ابتلاء عيسى – عليه السلام–

لقد توالت رسل الله تعالى إلى بني إسرائيل تترى، يقفوا بعضهم بعضاً، مبشرين ومنذرين لهـــم، لعلهم يخرجون من الظلمات إلى النور، ولكنهم لعتوِّهم وعنادهم واتبِّاع أهوائهم، اســتقبلوا هــذا الجمع من الرسل بالجحود والكفران، والإعراض والأذى، وعاملوهم أسوأ معاملة فكـــانوا كلمـــا جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا على اتباعه والإيمان له وأقبلوا على أولئك الرســل: ففريقاً منهم كذبوه، وفريقاً آخر منهم قتلوه غير مكتفين بالتكذيب. حتى بعث الله عيـــسى –عليـــه السلام– ليهديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وقد آتاه الله الحجج والبراهين والآيات الدالة على صدق نبوته ورسالته، وأيده بروح القدس جبريل –عليه السلام– ومع ذلك لـــم يجـــد مـــنهم إلا التكذيب والعصيان، والإعراض والأذى.

قام عيسى –عليه السلام– يدعو الناس إلى دين الحق الذي أوحاه الله إليه فـــي مجتمـــع يهـــودي دخلت فيه انحرافات كثيرة، وخرافات باطلة، بسبب تمردهم وطغيانهم على الشريعة الّربانية التي أنزلها الله على موسى –عليه السلام– وكان بنو إسرائيل قد طال عليهم الأمـــد فقـــست قلـــوبهم، وحرفوا شريعة الله، وتلاعبوا بنصوص التوراة وانحرفوا عن الطريق الواضح الذي أقامهم عليه نبيهم، فبعث الله عيسى –عليه السلام– ليردهم إلى الجّادة، ويصحح ما دخل إلى شـــريعتهم مـــن تحريف وتبديل، فقال –عليه السلام– يبلغهم أوامر الله ويعلّمهم ما أنـــزل الله عليـــه مـــن أحكـــام تشريعية جديدة، منها تحليل بعض ما كان حرم عليهم في شريعة موسى –عليه السلام– بـــسبب طغيانهم وعداوتهم وقد حكى الله جل ثناؤه على لسان السيد المسيح المهمة التي بعث من أجلهـــا "`Ë 7ƒ$«Î /ãçØÅ r Nà6 øæ Pìãn "Ï%©!$ Ù è/ Nà6 9 @ïmT{ r þ1'qG9$šÆ Ë £' %ƒ šú ü/ $J9 $]Ïd|Á ãr "ÒšÉGóB Ô'ŽÅ #‹»d çr%ȩã$Î Nà6 š'r † ÎŸ ©$b) ÇÎÈ Èqã‹Ûr ©$(qà?$Î Nà6 îS"[1]. يعني أن مـــا جاء به عيسى عليه السلام مطابقاً لما جاء في التوراة.

(1) آل عمران: الآيات 50–51.

قال القاسمي في تفسيره: "مقرراً لها ومثبتاً"[1]. وقد أجرى الله على يد عيسى –عليه السلام– المعجزات الباهرات، تصديقاً لنبوته، وتأييداً لرسالته[2].

ونمضي مع عيسى –عليه السلام– في جهاده وتبليغ رسالة ربه إلى بني إسرائيل لنرى كيف كان استقبالهم له، وما موقفهم معه ومن رسالته.

موقف قوم عيسى –عليه السلام– من دعوته

لقي المسيح –عليه السلام– من اليهود تعنتاً واستكباراً، ولاقى أثناء دعوته أهوالاً وشدائد وخاصة من الكهنة ورؤساء الدين، فاصطدم معهم بجدال عنيف حول مفاهيم الدين وأصول الشريعة الربانية التي جاء بها من قبله موسى –عليه السلام– التي حرّفها أولئك الظالمون المجرمون، فكان يحاجّ "الفريسيين"[3]، والكتبة[4] والكهنة[5]، فيدحضهم بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة... ولبث عيسى – عليه السلام– يجاهر بدعوته، ويجادل المنحرفين، من كهنة وكتبه وفريسيين، ويدلهم على الله، ويأمرهم بالاستقامة، ويبّين فساد طريقتهم، ويفضح رياءهم وخبثهم حتى ضاقوا به ذرعاً، فقرروا التخلص منه. فبادروا بتكذيب دعوته، والكفر به، وجحود نبوته، واتهموه بالكذب والشعوذة، وزعموا أنّ ما جاء به من المعجزات ما هو إلا سحر، وبعد ذلك اجتمع عظماء اليهود وأحبارهم وتشاوروا في أمر المسيح فقالوا: إنّا نخاف أن يفسد علينا ديننا ويتبعه الناس فقال لهم رئيس الكهنة: "لئن يموت رجل واحد خير من أن يذهب الشعب بأسره. فأجمعوا على قتله فسعوا به لدى حاكم الرومان في ذلك الزمان والذي كان حاكماً على اليهود باسم الملك "قيصر" وزينّوا له دعواهم بأنه يريد أن يكون ملكاً على اليهود، وأنه يسعى لتقويض

---

(1) القاسمي: **محاسن التأويل**، مرجع سابق، 103/4.

(2) الصابوني، محمد علي: **النبوة والأنبياء**، مكتبة الغزالي، ط2، 1980. ص198. طبارّة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص322-323.

(3) الفريسيين: هم الزهاد المنقطعون للعبادة، وهم الماهرون في معرفة بواطن الأمور من ظواهرها. انظر **المعجم الوسيط**، 668/2، مرجع سابق.

(4) الكتبة: هم كتاب الشريعة والوعاظ الذين يعملون الكتابة. انظر **المعجم الوسيط**، 780/2. المصدر السابق.

(5) الكهنة: هم الذين يتولون الشعائر الدينية ويقومون على خدمة الهيكل والمعبد. انظر: **المعجم الوسيط**، 809/2. المصدر السابق.

دعائم الحكم القائم، وأوغروا صدره حتى قرر أن يتخلص من عيسى –عليــه الــسلام– بالقتــل والصلب[1].

فلمّا أحس عيسى –عليه السلام– منهم إصرارهم على الكفر، وأدرك منهم الغدر والتدبير لقتلــه، دعا دعوته من أنصاري إلى الله؟ من أنصاري إلى دين الله ودعوته ونظامه وتبليــغ شــريعته؟ هنالك بادر الحواريون[2]. وهم أصحاب عيسى –عليه السلام– الذين آمنوا به ولازمــوه فقــالوا: نحن أنصار الله، ننصر دين الله، وننهض معك، ونحمل الدعوة، ونفديها دونها، ونبلغهــا للنــاس كما ينبغي علينا أن نفعل ونقوم بعدك عليها. ثم أشهدوه على إسلامهم وانتدابهم لنصرة ديــن الله ورسوله، كما أشهدوا ربهم على ما هم عليه من تصديقهم بالدعوة واتباع الرسول، وتوجهوا إليه سبحانه أن يجعلهم مع الذين يشهدون له تعالى بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة والصدق والتبليغ.

الدروس والعبر المستفادة من ابتلاء عيسى –عليه السلام– في سبيل الدعوة إلى الله

1. فطنة الداعي إلى الله تعالى

قال الله تعالى عن المسيح عليه السلام: "«$’〈Ĵ ü" í$|ÁR& ôB A$% •ÿ3/4â$Šãå¨B 4† |¤Šå ¡§ m& $B=ù"[3].

تدل هذه الكلمة على أن كل صاحب دعوة، وكل صاحب مهمة، وكل صاحب هــدف لا بــد أن يكون فطناً يقظ الأحاسيس مُرهفاً، لأنه حين يأتي بالدعوة –خاصة الدينية– سوف يَــسُرّ أناســاً، ويغضب أناساً آخرين، وكلمة "أحس" تدل على الحواس الخمــسة النظــر، والــسمع، والــذوق، واللمس، والشم، فلا بد للداعية إلى الله أن يدرك من الذي يرتجف حين يسمع دعوة الخير، ومن الذي يطمئن، ومن الذي تتغير ملامحه، ومن الذي يستبشر فلمّا واجههم عيسى –عليه الــسلام–

(1) الصابوني: النبوة والأنبياء، مرجع سابق، ص199. طبارة: **مع الأنبياء في القرآن الكريم**، مرجع سابق، ص323-324.

(2)الحواريون: كلمة الحواري مأخوذة من الحور وهو البياض، حوراء، شديد بياض العين، حواري: الناصر أو ناصر الأنبياء. **القاموس المحيط**، مرجع سابق، 68/2، وهم قوم أشرقت وجوههم بالإيمان لأنهم خواص الرسل. قال الراغب: في المفردات، ص135. سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم. وقال ابن عباس –رضي الله عنه– وسمي الحواريون لبياض ثيابهم، والحواري الذي يصلح للخلافة. انظر: **فتح الباري**، 91/7، مرجع سابق.

(3) آل عمران: آية 52.

بمنهجه أحس أن أنصار الظلم والبغي لا يعجبهم كلامه، أحس منهم الكفر، فكـــان كلـــه يقظـــة وانتباهاً.

2. من خصائص الاتباع الاختيار والاقتناع

قال الله تعالى: "‘$Y/ $YB#ä $JÎ/ Mø"R& !$yJÎ/ $¨YtB#u !$oY/u $oYö6çGò2$$sù yìtB tûïÏ‰Îg»¤±9$# šú "[1].

وهذا يدل على شيء منزل من أعلى إلى أدنى، يعني: ارتقوا وخذوا مـــن الله ولا تأخـــذوا مـــن أهوائكم وآراء البشر، فهذا تدنٍّ، والله تعالى يريد منا أن نعلو، فالمتبع عادة يقتنع بمن اتبعه أولاً؛ ليكون اتباعه إياه صادراً من داخل نفسه، وبمحض إرادته واختياره، فالإكراه لا يُخْضعُ القلوب، وإنما يُخْضع القَوالبَ، فالله تعالى يريد منا أن نأتيه طواعية واختياراً، فمن خصائص الاتباع أنهم لا يريدون الاتباع فقط بل يريدون أن يشهدوا قالوا: "فاكتبنا مع الشاهدين" أي: لن نتبعـــك فقـــط ونخوض معك معركة الدعوة فقط، بل سنحمل بعدك رسالتك وسنكون من الصادقين في الـــبلاغ عنك[2].

مما سبق يتبين لنا:

أن عيسى –عليه السلام– كان جاداً في رسالته، غير متوانٍ في دعوته، جاهد في الله حق جهاده وأنكر على اليهود ما درجوا عليه من النظم التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما أنكـــر علـــيهم تمردهم وطغيانهم على الشريعة الرّبانية التي أنزلها الله على موسى –عليه السلام–، وتلاعـــبهم بنصوص التوراة وانحرافهم عن الصراط المستقيم، ثم دعاهم إلى توحيـــد الله وعبادتـــه، وإلـــى اتِّباعه وطاعته، ولكنهم كذّبوه بغياً وعداوة وحسداً من عند أنفسهم، وأعرضوا عنـــه وحرّضـــوا الحاكم الروماني عليه، ورموه بالسحر والشعوذة، ثم أجمعوا أمرهم على قتله.

---

(1) آل عمران: آية 53.

(2) الشعراوي، محمد متولي: **مريم والمسيح عليهما السلام**، دراسة وإعداد وتحقيق مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، إشراف توفيق شعلان، ط1، 1999، ص272–275.

لقد لقي عيسى –عليه السلام– في سبيل الدعوة إلى الله وإعلاء كلمته أشد العنت وأقسى الأذى، فاحتمل وصبر على المكروه، وثبت على الحق، ولم يجزع ولم ييأس ولم يتراجع، حتى حكم الله بينه وبين أعدائه بالحق، وهو خير الحاكمين، فنجَّاه من كيد الكائدين، وجعل أعداءه هم الأخسرين.

الفصل الخامس

الابتلاء في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم وأصحابه-

المبحث الأول: صور من ابتلاء الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه في الغزوات

المبحث الثاني: صور من ابتلاء المؤمنين بمكر المنافقين.

المبحث الأول

صور من ابتلاء الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه

تمهيد

إن التدافع بين الحق والباطل أمر لا بدّ منه، لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان، فلا يُتصوّر إذن أن يعيش الحق والباطل في سِلْم من دون غلبة أحدهما على الآخر إلا لعلة، كضعف أصحابهما أو جهلهم بمعاني الحق والباطل ومقتضيات ولوازم هذه المعاني، أو ضعف تأثير هذه المعاني فيهم. فأهل الباطل، لا يكفيهم بقاؤهم على باطلهم وإنّما يسعون إلى محق الحق وأهله وإزالته، وصدّ الناس عنه ولو بالقوة، وهذا شأن الباطل دائماً قال تعالى: "wr ƒ“ãbqä)ãƒ Rqè=ÏG»s)ム4Ó®m ö/ä.r–Šãƒ `tã öNä3ÏZƒÏŠ ÈbÎ) (#qãè»sÜtGó™$#"[1].

وإذا كان الأمر كما ذكرنا من شأن الباطل وقوته التي تطغيه، فلا بدّ للحق من قوة تحميه من طغيان الباطل وأهله، وتمكّن أهل الحق من محق الباطل والغلبة على أهله، ولهذا أمر الله تعالى أهل الحق بإعداد القوة لإرهاب أهل الباطل ومنعهم من التحرش بأهل الحق قال تعالى: "#r‰Ïã&r Nßgs9 $¨B OçF÷èsÜtGó™$# `ÏiB ;o§qè%"[2].

ومن هنا قضت سُنّة الله تعالى في تدافع الحق والباطل أن الغلبة للحق وأهله، وأن الاندحار المحق للباطل وأهله، قال تعالى: "ßxôJtƒur ª!$# Ÿ@ÏÜ»t6ø9$# ‘,Ïtä†ur ¨,ysø9$# ÿ¾ÏmÏG»yJÎ=s3Î/"[3][4].

إن سُنة الابتلاء جارية في الأمم والدول والشعوب والمجتمعات، والأمة الإسلامية أمةٌ من الأمم، فَسُنّة الله تعالى فيها جارية لا تتبدل ولا تتغير، وسُنته سبحانه في الرسل والرسالات ماضية لا تتخلف، ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– ليس بدعاً من الرسل، فكان لا بدّ أن تجري عليه سُنّة الابتلاء كما جرت على إخوانه المرسلين. ومع ما له –صلى الله عليه وسلم– من عظيم

(1) البقرة: آية 217.

(2) الأنفال: آية 60.

(3) الشورى: آية 24.

(4) زيدان: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، مرجع سابق، ص46-47.

القدر والشرف، إلا أنّه قد حظي من الابتلاء بالحمل الثقيل والعناء الطويل، وأصاب أصحابه الكرام –رضي الله عنهم– من الابتلاء ما تنوء به الرواسي الشامخات [1].

وفي هذا الفصل لست بصدد الحديث عن الغزوات بالتفصيل وما جرى فيها من أحداث، ولكن أقصر الحديث على ذكر ابتلاء المؤمنين في غزوتي أحُد والخندق، وما حدث فيهما من ابتلاءات ومحن وإصابات وجراحات، وبيان الدروس والعبر المستفادة من هذه الابتلاءات والحكَم منها، ثم الحديث عن بعض صور مكر المنافقين وحقدهم في إلحاق الأذى بالمسلمين، مع ذكر بعض المواقف الكيدية للمنافقين تجاه المسلمين.

1. ابتلاء المؤمنين في غزوة أُحُد

لقد كانت غزوة أُحد[2] بحق سلسلة من الامتحانات القاسية، سببتها مفاجآت كثيرة وتحولات ومباغتات مذهلة غير منتظرة، امتحن الله بها صفوة هذه الأمة في مختبر المصائب والنكبات، فابتلاها الله تعالى بأنواع القتل والجرح والاندحار؛ ليختبرها قال تعالى: "Q& m Å÷ö Ï& b? ã& ë¢q(

$$ f Ÿp r9$# Ã=è $! $ª$ ï ü _ »g%r(Ï Z3ÏB Ná è=$N9$ Á$ÉÉ1ÌÎï û"[3][4].

قال الطبري: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة وتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم اختبركم بالشّدة، وأبتليكم بالمكاره؛ حتى أعلم صدق ذلك منكم، بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم في"[5].

القرآن الكريم يتحدث عن الغزوة

تحدث القرآن الكريم عن غزوة أُحُد بإسهاب فقد أنزل الله تعالى فيها ستين آية من آل عمران، تناولت مجمل الأحداث، والتطورات والتحولات والمفاجآت والانتكاسات التي أصابت المسلمين

---

(1) يوسف، محمد السيد محمد: **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، دار السلام، القاهرة، ط1، 1997، ص240-241.

(2) غزوة أحُد وقعت في شوال السنة الثالثة للهجرة "وأُحُد" اسم الجبل الذي وقعت عنده غزوة أُحُد، ويقع شمال المدينة المنورة على بعد ميلين، وسمي أحد لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 133/1.

(3) آل عمران: آية 142.

(4) باشميل، محمد أحمد: **من معارك الإسلام الفاصلة غزوة أحُد**، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1983. ص19.

(5) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 453/3. مرجع سابق.

في هذه الغزوة، حيث كانت يوم بلاء وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين ومحــق بـــه الكـــافرين، وأكرم الله فيها من أراد كرامته بالشّهادة من أهل ولايته.

قال تعالى: " Pö)#$¡§ B %)ù Ýö% N3ó|¡ ð ƒ bÎ ÇÌÈ ûüÏZÏB÷s•B OçFZä. bÎ bölöã{F$# ãNçFRr&r (qçRtøtrB wr (qãZÎg? wr

tã ÿ ª!$ äI%x. N3ZÏB ‹Ï‚Gtƒur (qãZtB#ä šúïÏ%©!$ ª!$ N=è‹Ï9ur Ä $¨Z9$ tû÷üt/ $ygä9Ír#y‰çR ãP$ƒF{$# 7 ÿ ã&é#÷VÏiB Óö%

$9Ú¾ÏHÍ»©à9$ ûüÏ".[1]

يعني الغالبين على الأعداء بعد أحُد وفي كل عسكر في عهد رسول الله –صلى الله عليه وســلم- وفي كل عسكر كان بعد رسول الله –صلى الله عليه وســلم- أي لا تــضعفوا ولا تجبنــوا يـــا أصحاب محمد عن جهاد أعدائكم لما أصابكم، ولا تحزنوا علـــى مـــا أصـــابكم مـــن الهزيمـــة والمصيبة في أحُد، "وأنتم الأعلون" أي فلكم النصر في العاقبة، فإن الإيمان يوجب قـــوة القلـــب ومزيد الثقة بالله وعدم المبالاة بأعدائه [2].

فقد طالب الله المؤمنين أن يَدَعوُا الحزن والوهن، فهم الأعلون طالما أنهم مؤمنون، ومـــن جهـــة ثانية استنهاض للهمم التي فترت، والنفوس التي حزنت لتتجاوز حزنها، وتتعالى على مـــصيبتها، وتمضي قدماً في تحقيق الهدف، وأن من حكمة الله تعالى أنه قد قضى أن تكون الحرب ســـجالاً بين النّاس وأنّ المسلمين لا يمكن أن يكونوا دائماً منتصرين، بل لا بد أن تدور الدائرة عليهم في بعض حروبهم مع العدو؛ ليتخذ الله منهم شهداء، وليختبر إيمانهم كي يعلم الصادقين الثابتين.

والحكمة من قرح المؤمنين وتداول الأيام بين المؤمنين والكافرين، ليس هوان المؤمنين على الله بل تمحيصهم ليعرف الصادق من المنافق، والهدف الآخر "ويتخذ منكم شهداء" فهـــو يـــصطفيهم لأنه يحبهم، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأن الله تعالى اطّلع على المؤمنين، فأحب أن يتخذ ويختار ويصطفي منهم هؤلاء السبعين[3].

---

(1) آل عمران: الآيات 139-140.

(2) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، 139/4-140. انظر: ابن كثير: **تفسير القرآن** العظيم، 120/2. انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، 38/2.

(3) باشميل: **عزوة أحد**، مرجع سابق، ص186. الغضبان، منير محمد: **المنهج التربوي للسيرة النبوية**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1991، 127/1-130.

يقول الرازي: "واعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى الكافرين" لأن نصر الله منصب شريف واعزاز عظيم فلا يليق بالكافر، بل المـــراد مـــن هـــذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة على الكفار، وأخرى على المؤمنين والحكمة من ذلك، أنهّ تعـــالى لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات، وازالها عن المؤمنين في جميع الأوقات، لحـــصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل، ولو كان كذلك لبطـــل التكليـــف والثـــواب والعقاب، فلهذا تارة يسلط المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر، وأنّ المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون عند الله تشديد المحنة عليه في الدنيا أدباً له"(1).

ثم لفت نظرهم إلى أنهم ليسوا أول عسكر مؤمن تَعرّضوا للبلايا والمحن مع أن نبيهم بينهم، فإن كثيراً من النبيين الذين خلوا قد تعرّضوا مع جندهم لكثير من النكبات والمصائب فـــي المعـــارك التي خاضوها، ولكنّهم لم يضعفوا بل ثبتوا وقاتلوا مع أنبيائهم، ولم يستكينوا ولم يهنوا لما أصاب مجموعهم من الجرح والقتل، قال تعـــالى: "r.ûÉ Ï`B ûÉi%x.ur ÄcÓÉ<¯R ã@tG»s% ¼çmyètB tbqÏ-În/Í ×ÏW2 $yJsù (#qãZydur !$yJÏ9 öNåku5$|¹r& Îû È@Î6y «!$# $tBur (#qàÿè|Ê $tBur (#qçR%s3tFó™$# 3 ª!$#ur =Ïtä tûïÎŽÉ9»¢Á9$#"(2).

ثم عقب القرآن على ما أصاب المسلمين في معركة أحُد من بلاء ومصائب، وأشار إلى أنّ ذلـــك إنّما كان بمثابة اختبار وامتحان تميز به الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنـــافق، وتبـــين بـــه المؤمن القوي من المؤمن الضعيف، قال تعـــالى: "$B tb%x. ª!$# u‘xuŠÏ9 tûüÏZÏB÷sßJø9$# 4’n?tã !$tB óOçFRr& Ïmøn=tã 4Ó®Lym uŽÏJtƒ y]ŠÎ7sƒø:$# z`ÏB É=Íh‹©Ü9$#"(3).

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي لا بد أن يعقد شيئاً من المحنة ويظهر فيه وليه، ويفـــضح به عدوه، يعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر، يعني بذلك يوم أحُد الذي امـــتحن الله بـــه المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله –صـــلى الله عليـــه

---

(1) الرازي: **التفسير الكبير**، مرجع سابق، 13/9-14.
(2) آل عمران: آية 146.
(3) آل عمران: آية 179.

وسلم– وهتك به أستار المنافقين، فظهرت مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله – صلى الله عليه وسلم–"[1].

ثم أشار القرآن الكريم إلى الطمأنينة والهدوء الذي أنزله الله عليهم وملأ به قلوبهم فثبّـتهم بعـد عاصفة الغمّ والارتباك التي أصـابت نفوسـهم، قـال تعـالى: "pZB& ÉóØ$Ï%è/ . `Ï Nä3ø‹n=tæ A"R& §N¢" Uèbe"[2][3].

الابتلاء نعمة يتميز بها الصف المسلم

"وهكذا يتكشف أن الابتلاء من الله نعمة لا تصيب إلا من يريد الله بـه الخيـر، فـإذا أصـابت أولياءه، فإنّما تصيبهم لخير يريده الله لهم –ولو وقع الابتلاء مرتبـاً علـى تـصرفات هـؤلاء الأولياء– فهناك الحكمة المغيبة والتدبير اللطيف، وفضل الله على أوليائه المؤمنين، وهكذا تستقر القلوب، وتطمئن النفوس، وتستقر الحقائق الأصلية البسيطة في التّـصور الإسـلامي الواضـح المستقيم، ولقد شاءت حكمة الله وبره بالمؤمنين، أن يميزهم من المنافقين، الـذين اندسـوا فـي الصفوف تحت تأثير ملابسات شتى، ليس في حب في الإسلام فـي شـيء، فـابتلاهم الله هـذا الابتلاء –في أحد– بسبب تصرفاتهم وتصوراتهم، ليميز الخبيث من الطيب، قال تعـالى: "b%. $B" $!ª Ÿ‹ ‘$Ø3=sBÏZ÷ûü ã?4 B$ &ÑNçR ã‌øn ®Lm4Ó ƒÜ•"$Ø/ƒÎŠ] Ï`$9ÖkÉ "[4][5].

ما لَحقَ النبي –صلى الله عليه وسلم– من الأذى والابتلاء في غزوة أحُد

عن أنس رضي الله عنه قال: "إن رسول الله –صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يـوم أحـد، وشّجّ في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول: "كيف يفلح قوم شجوّا نبيهم، وكسروا رباعيته وهو

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن**، مرجع سابق، 165/2.
(2) آل عمران: آية 154.
(3) باشميل: **غزوة أحد**، مرجع سابق، ص285–288.
(4) آل عمران: آية 179.
(5) قطب سيد: **الظلال**، مرجع سابق، 524/1–525.

يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عــز وجــل؟ "[illegible]
[illegible]"[1][2].

وعن سهل بن سعد قال: "جُرح وجه رسول الله –صلى الله عليــه وســلم– وكــسرت رباعيتــه وهشّمت البيّضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تغــسل الــدم وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها الماء بالمِجَن، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الــدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم"[3].

أمّا ما لحق بالصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بعدما اشتَد الكرب بالمؤمنين، وتداعت الصفوف حكمة من الله عز وجل، استشهد سبعون من أصحاب الرسول وقام –صلى الله عليه وسلم– على الشهداء وقال: "أنا شهيد عليكم عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة" وصفهم ودعا لهم –صلى الله عليه وسلم– وأمر أن يدفن الثلاثة والأربعة في قبر وقال: أيهما أكثر أخذاً للقرآن فقــدموه إلـــى القبلة[4].

الدروس والعبر المستفادة من ابتلاء المؤمنين في غزوة أحد

1. إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– كان في هذه الغزوة قدوة لكــل قائــد فـــي الثبــات والشجاعة والإقدام والصبر، لقد ثبت في المعركة ثبــوت الــشمّ الرواســي، لا يبــالي بالردى، ولا يستسلم لليأس، لقد قاتل –عليه الصلاة السلام– قتال الأبطال بسيفه، ورمـــى بقوسه حتى تكسر وانقطع وتره وقذف بالحربة[5].

(1) آل عمران: آية 128.
(2) سبق تخريجه،ص72.
(3) سبق تخريجه، ص72
(4) القرني: **قصة الرسالة وروائع السيرة**، مرجع سابق، ص178.
(5) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **امتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع**. لجنة التأليف والنشر، مصر، القاهرة، 1941، صححه وشرحه محمود محمد شاكر. 139/1.

2. إن الآلام التي حلّت بالمسلمين في أحد من قتل وجرح بيّنت أن من حكمة ذلك الابتلاء والاختبار والامتحان للفئة المؤمنة ومن ينتسب إليها، ليظهر كل إنسان على حقيقته، فمن الناس من يريد الدنيا، ومنهم من يريد الآخرة[1].

3. تمييز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، وتنقية الصّف المؤمن ممن دخل الإسلام نفاقاً فمثل هؤلاء لا بدّ أن يظهروا على حقيقتهم للناس، ووسيلة ذلك أن يبتلوا فجاء الابتلاء حتى يميز الخبيث من الطيب[2].

4. إن حكمة الله تعالى وسنته في رسله وأتباعهم، جرت بأن يُدالوا مرة ويُدال عليهم أخرى، لكي تكون لهم العاقبة، فإنهم لو انتصروا دائماً، دخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يميز الصادق من غيره، ولو انتصروا عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن يجمع لهم بين الأمرين؛ لتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة[3].

5. تمحيص الذين آمنوا وتنقيتهم وتخليصهم من الذنوب، فإنه سبحانه خلصهم ومحصهم من المنافقين، فتميزوا عنهم، فحصل لهم تمحيصات: تمحيص من نفوسهم، وتمحيص مما كان يظهر أنه منهم وهو عدوهم[4].

6. إن ما لقيه الرسول –صلى الله عليه وسلم– في غزوة أُحُد من الكفار وما ناله من الأذى يدل دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس ليبتليهم، وهذا الابتلاء سُنّة عامة لا يستثنى منها أحد من الناس حتى لو كان رسولاً نبياً، بل إن المقرر في هذا الدين أن أشد الناس ابتلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[5].

7. إن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين رغم هول المحنة، وفداحة المصيبة.

---

(1) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 219/3–220.

(2) المصدر السابق، 220/3.

(3) أبو فارس: **في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1982، ص98–99.

(4) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 223/3. ابن الجوزي: **زاد المسير**، مرجع سابق، 467/1–482.

(5) ابن القيم: **زاد المعاد**، 223/3.

8. إن هدف المحنة في الصف المؤمن هو التمحيص، بينما هدف القرح في الصف الكافر هو المحق والإبادة.

9. إن ارتباط المؤمن بدينه وعقيدته هو الأصل، أمّا ارتباطه بجماعته وقيادته هو تبع لذلك الأصل، فلا عذر للمؤمن في نكوصه وارتداده إن فقد قيادته[1].

10. إن الله سبحانه يربي هذه الجماعة بهذا الابتلاء بالشّدة بعد الابتلاء بالرخاء، والابتلاء بالهزيمة المريرة بعد الابتلاء بالنصر العجيب؛ لتتعلم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة، ولتزيد طاعة لله، وتوكلاً عليه، ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين[2].

11. إن المسلم لا يستسلم بسبب الضيق والحرج لأنه يعلم أن بعد العسر يسراً.

12. وجوب الحذر واليقظة وعدم الاستهانة بالعدو، لأن الاستهانة تؤدي إلى الفشل والاندحار[3].

13. إن النّصر في المعارك لا يكون بكثرة العدد ووفرة السلاح، وإنما يكون بقوة الروح المعنوية لدى الجيش، والعقيدة التقية، والإيمان والفرح بالاستشهاد، والرغبة في ثواب الله وجنته.

14. إن في إصابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالجراح يوم أحُد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم،أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والضرب،أو قضاء على حياتهم[4].

---

(1) الغضبان: **المنهج التربوي للسيرة النبوية**، مرجع سابق، 1/226-227.

(2) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 1/481.

(3) خطاب، محمد شيت: **الرسول القائد**، دار الفكر، بيروت، لبنان،ط5، 1974. ص32.

(4) السباعي، مصطفى: **السيرة النبوية دروس وعبر**، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط8، 1985. ص112-116.

15. إن الابتلاء صفة لازمة للمؤمن حيث قال النبي –صلى الله عليه وسلم-:"مثـل المـؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد"[1]. وهذا الحديث يكشف عن وظيفة الابتلاء البنائية للجماعـة المسلمة، فإن تعرض الزرع للحركة الدائمة يكسبه قدرة على الثبات أمام الأعاصـير، فـي حين أن الأرزة التي لا تحركها الرياح العادية فإنها لا تقف أمام الأعاصير والرياح الشديدة، ولذلك فإنها تتحطم.

16. إذا علم المؤمن أنه سيبتلى فإنه يبقى دائماً على حذر وخوف من الله، وهذا يدعوه إلـى إحسان العمل والحرص على توافر شروط النصر، والبعد عن أسباب الهزيمة من المعـصية والعجز والكسل والمخالفة لأمر الطاعة[2].

17. وجوب طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم- في أمره فقد قـال للرمـاة: "لا تبرحـوا مكانكم إن نحن نُصرنا أو قهرنا فعصوا أمره ونزلوا، حيث كان الواجـب علـيهم الـسمع والطاعة وأن تكون الأعمال كلها لله غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكـون سـبباً في مصائب عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا والتهوا بالغنائم حتى عوقبوا وأصيبوا[3].

18. اليقين من أن النصر والهزيمة كليهما قدر من أقدار الله؛ لحكمة تتحقق من وراء النصر، كما تتحقق من وراء الهزيمة سواء، وأن مرد الأمر في النهاية إلى الله في كلتا الحالتين وفي جميع الأحوال"[4]. قال تعالى: "Ë‹Åtø$Í ƒ Þèøt$‹ ‹ $ï‰Ÿã ôÏB žwÎ) ãóÇZ9$$Br"[5].

---

(1) رواه مسلم: كتاب القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز، حديث رقم (7023) للحديث (7028) عند أبي هريرة رضي الله عنه، وهناك ألفاظ أخرى، 17/148-149.

(2) سعيد، همام عبد الرحيم: **قواعد الدعوة إلى الله**، دار العدوي، عمان، الأردن، ط1، 1983، ص80.

(3) الخضري، محمد بن عفيف الباجوري، (ت1345هـ): **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، خرج أحاديثه خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2002، ص109.

(4) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 1/469.

(5) آل عمران: آية 126.

الحكم والغايات المحمودة التي كانت في غزوة أُحُد

إنّ الدارس المتدبر لأحداث غزوة أحد يجد فيها دروساً وحِكَماً كثيرة سقنا الدروس والعبر فيما تقدم من بحث ونسوق الآن الحِكَم والغايات المحمودة التالية:

1. إن الله سبحانه وتعالى جلّت قدرته وحكمته، يمنّ على المؤمنين بالنصر وأحياناً يحرمهم من نعمة النصر، ويذيقهم طعم الهزيمة لحكم منها:

أ. لو نصر الله سبحانه وتعالى المؤمنين دائماً، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً، لطغت نفوسهم، وشَمَخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء، والشّدة والرخاء، والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، أنّه بهم خبير بصير[(1)].

ب. تحقيق العبودية الحقة لله سبحانه وتعالى في السّراء والضّراء، في السراء بالشكر وفي الضراء بالصبر، قال ابن القيم يوضح هذه الحكمة: "استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السّراء والضّراء، وفيما يحبون وفيما يكرهون، وفي حال ظفرهم، وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية"[(2)].

ت. اشعارهم بالذلة والحاجة إلى نصر الله وتأييده، ولا يكون ذلك إلا بتذكيرهم عن طريق حرمانهم من النصر أحياناً؛ حتى يذلوا ويخضعوا وينقادوا لله سبحانه وتعالى بتنفيذ أوامره والكف عن معاصيه. وفي هذا يقول ابن القيم: "ومنها أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا، فاستوجبوا منه العز والنصر، فإن خلعة النصر إنّما تكون مع ولاية الذل والإنكسار، قال تعالى: "N̈ĘR&r 9%7Î ª! $ßāž|ÇR ‰)9r

---

(1) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 220/3.

(2) المصدر السابق، 220/3.

&Ë×Ç"[1]. فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره، كسره أولاً ويكون جبره له ونصره على مقدار ذلة وانكساره"[2].

ث. ومن هذه الحكم أن الله سبحانه وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامتــه، لــم تبلغها أعمالهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالابتلاء والمحنة، فقــيّض لهــم الأســباب التــي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هــي مــن جملــة أسباب وصولهم إليها[3].

ج. ومن هذه الحكم "أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانــاً وركونــاً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جَدّها في سيرها إلى الله، والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته، قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك الابتلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه، ويقطع منه العروق المؤلمة؛ لاستخراج الأدواء منه، ولــو تركــه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه"[4].

2. ومن الحكم المستنبطة من غزوة أحُد أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يهلــك أعــداءه ويمحقهم، قيّض لهم الأسباب التي يستوجب بها هلاكهم ومحقهم، ومــن أعظمهــا بعــد كفرهم بغيَهم وطُغيانهم، ومبالغتهم في أذى أوليائه، ومحاربتهم وقتالهم والتسلط علــيهم، فيتمحص بذلك أوليائه من ذنوبهم وعيوبهم، ويزداد بذلك أعداؤه مــن أســباب محقهــم وهلاكهم وقد ذكرالله سبحانه وتعالى ذلك فــي قولــه: "r߆J Å È $!$ª%© ûïÏ ä#B(qã #r/ðs ,
$#3»ÿÏíï úš"[5][6].

---

(1) آل عمران: آية 123.

(2) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 221/3.

(3) المصدر السابق، 221/3.

(4) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 221/3.

(5) آل عمران: آية 141.

(6) ابن القيم: **زاد المعاد**، مرجع سابق، 222/3.

3. ومن الحكم المستنبطة ما ذكره ابن القيم بقوله: "أن الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه، والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحبته على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو"[1].

4. السُنّة في الشهيد أن لا يغسل ولا يُكفّن في غير ثيابه؛ بل يدفن فيها، فشهيد المعركة الصحيح أنه لا يغسل بالماء؛ لأنه طاهر طهره الله بدمه فلا يحتاج إلى ماء[2].

5. ومن السُنّة أن يدفن الشهداء في مصارعهم ولا يُنقلوا وهو الأحسن[3]، وقد رُكّب الشهداء على الجمال ليذهبوا بهم إلى المدينة، فأمر منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن تعود الجمال بالشهداء فعادوا بهم إلى مضاجعهم في أحُد[4].

2. ابتلاء المؤمنين في غزوة الخندق

إن الصراع بين أهل الحق والباطل دائم ما دامت الحياة، وهذا الصراع متعدد الأساليب والصور، يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، وقد يوجد ظرف تكون الجولة فيه لأهل الباطل، فإن ذلك لا يزعج المسلمين؛ لأن العاقبة لهم، حيث النصر والتمكين، وما غزوة الأحزاب[5]، أو غزوة الخندق[6] إلا حلقة من حلقات سلسلة الصراع الطويل بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر.

---

(1) ابن القيم: **زاد المعاد**، المصدر السابق، 3/221-222.

(2) القرني: **قصة الرسالة روائع من السيرة**، مرجع سابق، ص185.

(3) السنة الموافقة لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: "لما كان يوم أحد جاءت عمتي بأبي لتدفنه في مقابرنا فنادى منادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ردوا القتلى إلى مضاجعهم" "أخرجه الترمذي، **كتاب الجهاد**، باب (73) ما جاء في دفن القتيل في مقتله، رقم (1717) مرجع سابق، 4/215.

(4) القرني: **قصة الرسالة روائع من السيرة**، مرجع سابق، ص186.

(5) سميت غزوة الأحزاب بهذا الاسم؛ لأن قبائل العرب من المشركين مع اليهود تحزبوا ضد الرسول -صلى الله عليه وسلم- فاجتمعوا يداً واحدة، وتألبوا وتحزبوا وحبكوا حبكة لإنهاء الإسلام نهاية مميتة في نظرهم. انظر: القرني: **قصة الرسالة روائع من السيرة**، مرجع سابق، ص190.

(6) الخندق: هو الخندق المحفور حول المدينة من الجهة الشمالية للمدينة من الحرة الغربية، الذي حفره الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه عندما علم بتحزب الأحزاب، وقت الغزوة سنة 5هـ. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 2/448. وهذه الجهة الشمالية من المدينة هي التي كانت عورة تؤتى المدينة من قبلها، أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل حتى لا يتمكن العدو من الحرب جهتها. نور اليقين. مرجع سابق، ص122.

وتعتبر هذه الغزوة من تاريخ الحروب العسكرية النبوية فاصلة بين مرحلتين: مرحلـــة الـــدفاع، ومرحلة الهجوم، فقد كانت هذه الغزوة آخر وقعة تشن فيها قريش حرباً هجوميـــة علـــى أرض المسلمين، ويقف فيها النبي –صلى الله عليه وسلم– والمسلمون موقـــف المـــدافع عـــن المدينـــة وأهلها.

لقد وقعت هذه الغزوة في ظروف قاسية: البرد شديد، والريح شـــديدة، والأعـــداء المهـــاجمون كثيرون لا يقوى المسلمون عن مواجهتهم والاشتباك معهم مباشرة، فحفروا الخندق؛ ليعوِّضـــوا هذا الفارق في العدد بين المشركين والمسلمين، وكانت خطة قريش والأحزاب تقضي أن تجتـــاح المدينة بعد القضاء على القلة المؤمنة، إلا أنها فوجئت بالخندق حين رأته فباءت خطتها بالفـــشل وأوقعتها في حيرة وإرباك.

القرآن الكريم يتحدث عن غزوة الخندق

1. تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم كمـــا قـــال تعـــالى: "ﭧ7$‰$% ûïÏ%©#$ $yg•ƒr'¯»tƒ (#rãä.øŒ$# ×pJ÷èÏR «!$# öNä3ø‹n=tæ ŒÎ) Nä3ø?uä!$y_ ׊qãZã_ $uZù=y™ö‘r'sù öNÍköŽn=tæ $\tƒÍ‘ #YŠqãZã_ur öN©9 $ydrçŽs? 4 tb%x.ur ª!$# $yJÎ/ šcqè=yJ÷ès? #·ŽÅÁt/ "[1].

نجد الهدف الرئيس منها ربط هذه القلوب المؤمنة بالله عز وجل الذي أرسل الـــريح والجنـــود، فهزم الأحزاب وحده، وبذلك تنقطع القلوب من الاعتماد على الأسباب وتتصل بـــرب الأربـــاب، وحده لا شريك له. "فأرسلنا عليهم ريحاً" قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يـــوم الخنـــدق حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم[2] وقوله: "وجنوداً لم تروها" قال: يعني الملائكة ولم تقاتل يومئذ"[3].

2. التصوير البديع لما أصاب المسلمين من همّ بسبب إحاطة الأحزاب بالمدينة قـــال تعـــالى: "ŒÎ) Nä.râä!$y_ `ÏiB öNä3Ï%öqsù ô`ÏBur Ÿ@xÿór& öNä3ZÏB øŒÎ)ur ÏMxî#y— ㍻|Áö/F{$# ÏMtón=t/ur ÛUqè=à)ø9$# tÅ_$oYptø:$# tbqœZÝàs?ur «!$$Î/

---

(1) الأحزاب: آية 9.

(2) الظّعْنُ: **السفر والارتحال**، ظَعَنَ، يُظعن ظعناً سافر وارتحل، ظعن القوم قاصدين ديارهم بعد أن هجروها زمناً. ظعن به: سيّره للارتحال. الظعان: **الحبل يُشدّ به الهودج. انظر: المحيط**، مجمع اللغة العربية، 830/2. مرجع سابق.

(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 264/10. السيوطي، جلال الدين: (911هـ)، **الدرر المنثور في التفسير بالمأثور**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ت. 185/5.

$Rqãäà9$"[1]. "زاغت الأبصار" أي شخصت، وقيل مالت، فلم تلتفت إلى عدوها دهشاً مــن فــرط الهول، "وبلغت القلوب الحناجر" أي زالت عن أماكنها من الصدور حتى بلغت الحناجر، وقيــل: هو على معنى المبالغة من شدة الخوف، وقيل بلغ فزعها، والأظهر أنه أراد اضــطراب القلــب وضرباته، أي لشدة اضطرابه بلغ الحنجرة..." [2].

"وتظنون بالله الظنونا" قال: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله ورسوله حق أنه سيظهر على الدين كله"[3].

3. وقوله تعالى: "#%ƒ‰© Z/#"ø-{qé'ãr šc qäBs3Ü$' ïqçt$ 7 ï$Zd"[4].

قال سيد قطب: "إنها صورة الهول الذي روَّع المدينة، والكرب الذي شملها، والذي لم يَنْجُ منــه أحد من أهلها وقد أطبق عليها المشركون من قريش وأعوانهم من يهود بني قريظة[5] مــن كــل جانب من أعلاها وأسلفها فلم يختلف الشعور بالكرب والهول من قلب إلى قلــب، وإنمــا الــذي اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله، وسلوكها في الشدة، وتــصوراتها للقــيم والأســباب والنتائج، ومن ثم كان الابتلاء كاملاً والامتحان دقيقاً والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاســماً لا تردد فيه" [6].

---

(1) الأحزاب: آية 10.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 95/14.

(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 267/10. السيوطي: **الدرر المنثور**، مرجع سابق، 187/5.

(4) الأحزاب: آية 11.

(5) بني قريظة: احدى القبائل اليهودية الثلاث الكبرى في المدينة المنورة (يثرب) تقع إلى الجنوب الغربي من الواحة وأصل تلك القبيلة أن قريظة وهذلاً وعمراً كانوا أولاد الخزرج بن الصريح مارست زراعة النخيل والحبوب في المدينة. انظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة، م.ت هوتسما. ت. و أرنولد. باسيت- هارتمان. إشراف محمد سمير سرحان، مراجعة علمية حسن جبيشي، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، محمد عناني، ط1، 1998. 8292/26-8294.

(6) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 2837/5.

4. الكشف عن نوايا المنافقين السيئة، وأخلاقهم الذميمة، وجبنهم الخـــالع، ومعـــاذيرهم الباطلـــة ونقضهم للعهود قال تعـــالى: "ŏr ÿqè) ûïÏ%©!$# bqà)Ïÿ»oYßJø9$# ãAqà)tƒ øŒÎ)ur" #Yrá‾ã.[1]

5. حض المؤمنين في كل زمان ومكان على التأسّي برسول الله –صلى الله عليه وسـلم– فـي أقواله وأفعاله وجهاده وكل أحواله استجابة لقوله تعـــالى: "ô‰s)©9 tb%x. öNä3s9 'Îû ÉAqß™u‘ «!$# îouqó™é& ×puZ|¡ym" "#ZŽÏVx. ©!$# tx.sŒur tÅzFy$# tPöqu‹ø9$#ur ©!$# (#qã_ötƒ tb%x. `yJÏj9".[2]

6. مدح المؤمنين على مواقفهم النبيلة وهم يواجهون جيوش الأحزاب بإيمان صادق، وفاء بعهـد الله تعالى، قال تعالى: "š`ÏiB šúüÏZÏB÷sßJø9$# ×A%y`Í‘ (#qè%y‰|¹ $tB (#r߉yg»tã ©!$# Ïmø‹n=tã (Nåk÷]ÏJsù `¨B 4Ó|Ós% ¼çmt6øtwU Nåk÷]ÏBur `¨B ãÏàtF⊥tƒ ($tBur (#qä9£‰t/ Wx ƒÏ‰ö7s?".[3]

7. بيان سُنّة من سنن الله التي لا تتخلف وهي جعل العاقبة للمؤمنين والهزيمة لأعــدائهم، قـــال تعـــــــــالى: "Št‘ur ª!$# šúïÏ%©!$# (#rãxÿx. öNÎgÏàøŠtóÎ/ óOs9 (#qä9$uZtƒ #ZŽöyz 4 ‘s"x.ur ª!$# šúüÏZÏB÷sßJø9$# tA$tFÉ)ø9$# 4 šc%x.ur ª!$# $†ƒÈqs% #Y“ƒÍ•tã".[4]

8. امتنانه سبحانه على عباده المؤمنين حيث نصرهم على بني قريظة، وهـم فـي حـصونهم المنيعة بدون قتال يذكر حيث ألقى الله سبحانه الرعـب فـي قلـوبهم فنزلـوا علـى حكـم الله ورسوله[5]، قال الله تعالى: "tAt“Rr&ur tûïÏ%©!$# Nèdrãyg»sß ô`ÏiB È@÷dr& É=»tGÅ3ø9$# `ÏB öNÍkŽÏ¹$uŠ|¹[6] y$s%ur 'Îû ãNÍkÍ5qè=è%"

(1) الأحزاب: آية 12.
(2) الأحزاب: آية 21.
(3) الأحزاب: 23.
(4) الأحزاب: آية 25.
(5) آل عابد، أبو بدر محمد بن بكر: **حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، د. ت، 1/490-491.
(6) صياصيهم: **الصياصي**، الحصون، من صياصيهم، من حصونهم جمع صيصية وتعني ما يُتحصن به. انظر: **مختار الصحاح**، مرجع سابق، ص181. أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، 220/5.

$dqëÜ? ŠÐ©$Ê ö‰r ŠÐç qß‰r Šèd•»ƒŠr ŠÐåÎ ö‰ Šã0‘ŧ‰r ÇÏÈ $Zƒìù šc rŽÅ ûr šc qè©ø? $Zƒìù |=ã•9$
.(2)(1) "#•ƒÏ‰% äô« è@à2 4?ã ª! $šc %.r

واشتدت الحال بالمسلمين واستمر الحصار مدة شهر وصاحب هذا الحصار ضيق علـى فقـراء المدينة، والذي زاد الشدة عليهم ما بلغهم من أن يهود بني قريظة الذين يسكنونهم في المدينة قـد انتهزوا الفرصة لنقض العهود، والانقضاض على المدينة ونهب ما فيها(3).

الدروس والعبر المستفادة من الابتلاء من موقف المنافقين ويهود بني قريظة

1. إن الكفر ملة واحدة، والذي أكد هذه الحقيقة تضامن يهود بني النـضير وبنـي قريظـة والمنافقين وكفار قريش وسائر قبائل المشركين جميعاً لحـرب المـسلمين واستئـصال شأفتهم.

2. هدف اليهود وسائر الكفار والمنافقين بالنسبة للإسلام وأهله تدمير الإسلام وإبادة أهله.

3. إن الكفار واليهود إذا شعروا بقوة لهم وضعف المسلمين فإنهم لا يرقبون في مـؤمن إلا ولا ذمة وينقلبون إلى وحوش كاسرة، ويفقدون آدميتهم.

4. إن الكفار واليهود يحافظون على العهود مع المسلمين إذا كانوا ضـعافاً، لـيس لطيـب نفوسهم، وحبهم للوفاء بالعهد بل لعجزهم عن الأذى والحاق الضرر بالمـسلمين، ومـع هذا فهم لا يسكتون وهم ضعفاء بل يسلكون كل مسلك للتشكيك باللسان وحض الآخرين على الحاق الأذى بالمسلمين في كل وقت وحين(4).

5. بيان حكمة الابتلاء، وعاقبة نقض المنافقين لعهدهم مع الله ووفاء المؤمنين المخلـصين ورد الأمر في هذا كله لمشيئته سـبحانه، فقـال: " ‹ƒ ì“ $! ª$9 Á‰»ïü Î Åï¶Ûš ãèÉ<

(1) الأحزاب: الآيات 26-27.

(2) انظر: **المنهج التربوي للسيرة النبوية**، مرجع سابق، 2/177-223. علي محمد محمد الصلابي: **فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، 2003. ص81-82.

(3) الخضري: **نور اليقين**، مرجع سابق، ص123.

(4) أبو فارس: **في ظلال السيرة النبوية غزوة الأحزاب**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، 1983، ص143-149.

$#Y»ÿEü úš bĵ ©$ä &r ųq> æšĝN bĵ$®. %b îąqY#§mïšV$ "[1]. قال أبو السعود: "كأنــه قيل: وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قــولاً وفعلاً، و"يعذب المنافقين" بما صدر عنهم من الأعمال والأقــوال المحكيّــة "إن شــاء" تعذيبهم "أو يتوب عليهم" إن تابوا"[2].

سُنّة الله في التمحيص

من سنن الله في الابتلاء امتحان المؤمنين بالشدائد قال تعـــالى: "&mÅöçOÏ &b ?% èz(qè#$ f pY r9$#

ųïäN B@$%ïû z-ö(# Bٌ ` %ôâN B ¡ä&ŠäS$%79™‘ä $#9‘Žžä $#£ ä(qè m Ó4 ƒ)qàA$S9$‘ßAqß r $!%ïû #äB(#qç è B¼

LB4Ó S Ç‹ŽŠ$# « &w bĵ S Ç‹Ž$# « %ì ƒ Ó"[3].

قال أكثر المفسرين: "نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصـــابهم مـــن الجهد والشدة، والبرد، وسوء العيش وأنواع الشدائد"[4].

ومعنى الآية: أم ظننتم أن تدخلوا الجنة قبل أن تُختبروا وتُمتحنوا كما امتُحن الذين من قبلكم من الأمم مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا أي خُوفّوا من الأعداء تخويفاً شديداً، وامتحنوا امتحانـــاً عظيماً، حتى أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– والذين أمنوا معـــه أخـــذوا يـــستفتحون علـــى أعدائهم، ويدعون الله بقرب الفرج من الضيق الذي هم فيه، وكان الجواب لـــدعاء المـــؤمنين أن قال لهم الله: "ألا إن نصر الله قريب"[5].

هذه هي سنة الله في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة، وليكونوا أهلاً لهـــا: أن يـــدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم، وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشّدة والضرّ، وأن يتراوحـــوا بين النصر والهزيمة، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم، لم تزعزعهم شدة، ولم ترهبهم قوة، ولم يهنوا

---

(1) الأحزاب: آية 24.

(2) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، 220/5.

(3) البقرة: آية 214.

(4) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، 24/3.

(5) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، 445/1. انظر: الطبري، **جامع البيان**، 354/2. الماوردي: النكت والعيون، 293/2. الرازي: **التفسير الكبير**، 17/3. ابن كثير: **تفسير القرآن** العظيم، 445/1.

تحت مطارق المحنة والفتنة... استحقوا نصر الله، لأنهم يومئذ أمناء على ديـــن الله، صـــالحون لصيانته والذود عنه، واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف، وتحررت من الـــذل، وتحررت من الحرص على الحياة، أو على الدِّعة والرخاء فهي عندئذٍ أقرب ما تكون إلى عـــالم الجنة، وأرفع ما تكون عن عالم الضيق...

إن هذا السؤال من الرسول –صلى الله عليه وسلم– والذين أمنوا معه "متى نصر الله؟" ليُـــصور مدى المحنة التي تزلزل مثل هذه القلوب الموصولة، ولن تكون إلا محنة فوق الوصـــف، تلقـــي بظلالها على مثل هاتيك القلوب، فتبعث منها ذلك السؤال المكروب، "متى نصر الله؟".

"إنه مدَّخر لمن يستحقونه، ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية، الذين يثبتون على البأسّـــاء والضراء، الذين يصمدون للزلزلة، الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة، الـــذين يـــستيقنون أن لا نصر إلا من عند الله وحده، هذا هو الطريق، إيمان وجهاد.. ومحنة وابتلاء.. صـــبر وثبـــات.. وتوجه إلى الله وحده، ثم يجيء النصر ويجيء النعيم"(1).

نعم إنه طريق الابتلاء الذي لا يعفى منه أحد من المؤمنين، ولا من الرســـل الكـــرام –علـــيهم الـــصلاة– وأتـــم التـــسليم قـــال تعـــالى: "öNä3¨Rquè=ö7oYs9ur 4Ó®Lym zNn=÷ètR ûïÏ‰Îg»yfßJø9$# óOä3ZÏB ûïÎÉ9»¢Á9$#ur (#uqè=ö7tRur ö/ä.u‘$t7÷zr&"(2).

ومن صور هذا التمحيص الإبتلاء بالجهاد:

ومن سُنّته تعالى امتحان عباده المؤمنين بالجهاد بأن تتهيأ ظروفه وأسبابه فيجب على المؤمنين، فيظهر عند ذلك من يقوم بهذه الفريضة ويصبر على مقتضياتها؛ فيستحق الجنة بفضل الله تعالى وبحسب وعده وسّنته قال تعالى: "÷Pr& óOçFö6Å¡ym br& (#qè=äzô‰s? sp¨Yyfø9$# $£Js9ur ÄNn=÷ètƒ ª!$# tûïÏ%©!$# (#r߉yg»y_ óOä3ZÏB zNn=÷ètƒur ûïÎÉ9»¢Á9$#"(3).

---

(1) سيد قطب: **الظلال**، مرجع سابق، 218/1–219.

(2) محمد: آية 31.

(3) آل عمران: آية 142.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تمتحنوا بالقتال والـشدائد؟ أي لا يحصل لكم دخول الجنّة حتى تمتحنوا ويرى الله تعالى منكم المجاهدين في سـبيله، والـصابرين على مقاومة الأعداء"(1).

الدروس والعبر المستفادة من ابتلاء المؤمنين في غزوة الخندق

1. الرسول -صلى الله عليه وسلم- القدوة، إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يقف موقـف المتفرج من الصحابة وهم يحفرون الخندق في البرد الشديد والريح الشديدة، ولم يقف موقف المشجع على الحفر بالكلام بل شاركهم الفعل بالعمل معهم حتى "أغمر وأغبر التراب بياض بطنه"(2)، وهذا يوضح لك حقيقة المساواة التي يرسمها المجتمع الإسلامي بين جميع أفـراد المسلمين.

2. إن حفر الخندق وسيلة حديثة لم يعهدها العرب من قبل، بل هي فكرة فارسـية وأخـذ بهـا الرسول -صلى الله عليه وسلم- وهذا دليل على مشروعية الأخذ عن غير المـسلمين فـي وسائل الحرب وخططها ما دامت هذه الوسائل والخطط لصالح المسلمين، والأخذ بها يعجـل في النصر، والحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها(3).

3. انتقال المسلمين من دور الدفاع إلى دور الهجوم بعد نتائج المعركة، وقد أشار إلى ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: "الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم"(4)(5).

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، 121/2.

(2) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الخندق رقم (4104) عن البراء رضي الله عنه، 452/7. رواه مسلم، وفيه لفظ وارى، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم (4646) عن البراء رضي الله عنه. 179/12.

(3) أبو فارس: **غزوة الأحزاب**، مرجع سابق، ص103. القرني، روائع من السير، مرجع سابق، ص199. خطاب **الرسول القائد**، مرجع سابق، ص238. **فقه السيرة البوطي**، مرجع سابق، ص296-297.

(4) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الخندق، حديث رقم (4110) 459/7. عن البراء، مرجع سابق.

(5) الصلابي: **فقه النصر والتمكين**، مرجع سابق، ص82. خطاب: الرسول القائد، مرجع سابق، ص239.

4. أظهرت هذه الغزوة حقيقة المنافقين وكشفت زيف إدعائهم للإيمان، وأظهرت حقيقة المغضوب عليهم اليهود وموقفهم من العهود والمواثيق التي يعطونها، ثم ينقضونها غيلة وغدراً وبصورة قبيحة خسيسة، في أحلك الظروف وأصعبها[1].

5. أن غزوة الأحزاب أكدّت أن الله سبحانه وتعالى إذا علم أن أمته قد وصلت إلى مستوى إيماني رفيع، وإخلاص في القول والعمل؛ فإنه ييسر لها من أسباب النصر مالا يخطر على قلب بشر، فجنود الله تعالى كثيرون يسخرهم لنصرة عباده المؤمنين، قال تعالى: "Ð÷èƒ $Br qèl ž×vĵ 7ĥ' Šqžã"[2][3].

6. كشفت غزوة الأحزاب حقيقة صدق إيمان المسلمين وحقيقة المنافقين وحقيقة بني قريظة، فكان الابتلاء بغزوة الأحزاب تمحيصاً للمسلمين، وإظهار حقيقة المنافقين واليهود[4].

7. إن النصر لا يكون إلا بعد الصبر والابتلاء والكرب، وهذا يعلم الدعاة أن الله وحده هو الذي يجعل بعد عسرٍ يسراً، وبعد الضيق مخرجاً، وبعد الصبر على الشدة فرجاً، وصدق الله تعالى إذ يقول: " bî'ù ì B #Žô£ç|¡ãèø9$# ÇÎÈ bÎ) ì B #Žô£ç|¡ãèø9$# "[5][6].

مما سبق يتبين لنا:

إن الله تعالى امتحن المؤمنين بالجوع فصبروا، وبالخوف فثبتوا، وبالجهد فحفروا وعملوا، وبالقتال فقاتلوا واستبسلوا، وبالبرد الشديد فصبروا، إلى أن منّ الله بعد ذلك عليهم بتفريج الكرب، واستجابة الدعاء، والنصر بإزالة هذه الغمة والبلاء عنهم بأن أرسل ريحاً شديدة عاصفة في يوم بارد، خلعت الخيام، وكفأت القدور، وذرّت الرمال في قدورهم وفي أعينهم، حتى استحالت أسباب الحياة والمكوث في هذا المكان، لقد هزم الله وحده الأحزاب وأجلاهم عن

---

(1) الصلابي: **فقه النصر والتمكين**، مرجع سابق، ص82. أبو فارس، غزوة الخندق، مرجع سابق، ص83.
(2) المدثر: آية 31.
(3) أبو فارس: **غزوة الأحزاب**، مرجع سابق، ص188-189.
(4) الصلابي: **فقه النصر والتمكين**، مرجع سابق، ص83. أبو فارس، غزوة الخندق، مرجع سابق، ص129.
(5) الشرح: الآيات 5-6.
(6) أبو فارس: **غزوة الأحزاب**، مرجع سابق، ص182.

المدينة فرجعوا خائبين خاسرين بغيظهم وحنقهم ولم يشف الله صدورهم، ولم ينالوا خيـــراً ممـــا كان في أنفسهم من الظفر والمغنم، وهكذا نصر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم وأعز جنـــده، وكبت الأحزاب المهاجمين، ورد كيدهم عن المؤمنين، وبالتالي انكشف ضلال المنافقين ومرضى القلوب، وخطأ تصوراتهم للموقف حيث أحبط الله كيدهم، وجعل العاقبة للمتقين، قال تعالى: "Š‘r

$!ª$%ïû .ÿãr(îóàûĝÑ 9Ó ƒZ$%qª(zõŽ# r."’$!ª$%3sBZüû$%É)F$A r.% cš$! ª%È£$ ã•íY#"[1].

(1) الأحزاب: آية 25.

المبحث الثاني

صور من ابتلاء المؤمنين بمكر المنافقين

كان على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– طائفة من المنافقين من أهل المدينة ومن الأعراب، وقد استطاعت هذه الفئة من الناس أن تُظهر الإسلام وتبطن الكفر، وتتقن كتم نفاقها عن المسلمين، ولهذا كان لهم مواقف شتى في التآمر على المؤمنين والكيد لهم والمكر بهم في الخفاء، إلا أنهم في بعض الظروف والأزمات الحادة التي كانت تحدق بالنبي –صلى الله عليه وسلم– والمسلمين، كانوا يقفون مواقف علنية فيها كيد ومكر ودس، وعليها طابع من النفاق ظاهر، كما رأينا ذلك واضحاً في غزوتي "أحد" و"الخندق" في المبحث السابق.

وقد احتوت الآيات القرآنية التي نزلت في شأن هؤلاء المنافقين صوراً كثيرة من مواقفهم المتنوعة في الأذى والكيد، والسخرية بالله ورسوله وآياته، والتناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، والتثبيط عن الجهاد والتخادع فيه، وإثارة الفتن والأحقاد، وإشاعة الفاحشة والإرجاف بين المسلمين بما يثير قلقهم ويزعزع الثقة في نفوسهم، ومما تضمنته الآيات الكريمة زيادة على ذلك سوء أخلاقهم، وتعرضهم لنساء المسلمين بالأذى والمكر، وتضامنهم في النهي عن المعروف والأمر بالمنكر، ومخالفة أوامر النبي –صلى الله عليه وسلم– وجهرهم بالدعوة إلى مقاطعة المهاجرين وعدم مساعدتهم، وعقدهم الصلات الوثيقة باليهود الذين هم أشد الناس عداوة للمؤمنين، وتأكيدهم لهم أنهم معهم كلما خلوا إليهم وأن تظاهرهم بالإسلام ليس إلا استهزاء وخداعاً للمسلمين.

هذا إلى غير ذلك من وصف أحوالهم ومواقفهم الكيدية وتآمرهم ضد النبي والإسلام والمسلمين، وفي هذا المبحث اقتصر على عرض نماذج من ابتلاء المؤمنين بمكر هؤلاء المنافقين وهي كما يلي:

1. تعرض المنافقين لنساء المسلمين بالأذى
2. زعيم المنافقين يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين

1. تعرض المنافقين لنساء المسلمين بالأذى

قال الله تعالى: " ÇÎÈ $YÝûB $X#‹ã ÎNç £ãår ô•Å¡Ÿ$ $‹R‰9$'Î ª! $Ñãè9 ¼ãqß'‘r ©!$šc rèŒ÷ƒ ûïÏ%©!$bÎ)
$Kš»7ƒ ÇÎÌÈ $YYÎB $VJøOÎ)r $ZYFöç ¤qèJFôm$ ‰)ù (qç¡Kò2 $$B Îéöî ÏM»YÏB÷sßJø9$ šú üÏZÏB÷sßJø9$šc rèŒ÷ƒ ûïÏ%©!$
ûïÏŒ÷ƒ Ÿxù `øÿèãb& #T$š& 7Ï9ºŒ £ÎgÎ6Î=»_ `ÏB £Íköä šú üÏR÷ƒ ûüÏZÏB÷sßJø9$ià$¡Îr 7Ï?$Z/r 7Å_°rør& @è% ÓÉ<Z9$
þZƒÏ‰J9$ 'Î šc qãÅ_ì¢ßJø9$ ÖÜ •B Nûg/Îqè=è% 'Î ûïÏ%©!$ bqàÿ»YßJø9$ ihG^ƒ óO©9 ûÈõ* ÇÎÌÈ $VŠÏm§‘ #Yqàÿî ª! $šc %.r
pZß' ÇÌ:È WxŠÏø? (qè=Ïètø (rä Ï{ é&(þqàÿÏèø$JZƒ& šú üÏRqãèù ÇÌ:È Wx‹Î% žwÎ) $kŽÏù š•Rrâr$qä Ÿw ¢OèO Nûg/Î š• Zƒ÷Ìøó9
.[(1)]"WxƒÏ‰ö7? «! $þZ÷Ï9 ‰ÅgB `9r @ö% `ÏB (#ö=z šú ïÏ%©! † Î«! $

لقد تضمنت فواتح هذه الآيات الكريمة إشارات إلى مواقف كيدية من الأشرار المنحرفين والمنافقين والذين في قلوبهم مرض، فيها أذى وسوء أدب إزاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وأهله والمؤمنين والمؤمنات عامة، وإلى ما كانوا يسعون فيه من نشر مقالة السوء عنهم، وتدبير المؤامرات لهم، وإشاعة النقائص والعيوب ضدهم كذباً وزوراً وبهتاناً، وبما هم برآء منه. قال أبو السعود عند تفسير هذه الآية: "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً" إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علياً -كرم الله وجهه- ويسمعونه ما لا خير فيه. وقيل: "في أهل الإفك"، وقيل: في زناة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضاً جهلاً أو تجاهلاً للاتحاد الكلي في الزي واللباس، والظاهر عمومه لكل ما ذكر، ولما سيأتي من أراجيف المرجفين"[(2)].

وبعد أن مضى السياق في تحذير الذين يؤذون النبي -صلى الله عليه وسلم- أو في أهله، وفي تفظيع الفعلة التي يقدمون عليها وبشاعتها وقبحها وشناعتها، وبعد ما بين الله تعالى سوء حال المؤذين للمؤمنين والمؤمنات، ووصفهم بالإثم والبهتان، زجراً وردعاً لهم عن الإيذاء، أمر الله سبحانه وتعالى النبي – صلى الله عليه وسلم- أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة بإرخاء جلابيبهن عند الخروج لقضاء الحاجة؛ حتى يتميّزن بهذا الزي السابغ الساتر فيعلم أنهن

---

(1) الأحزاب: الآيات 57-62.

(2) أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، مرجع سابق، 238/5.

حرائر فلا يتعرّض لهن ذوو السيرة السيئة، والنية الخبيثة من المنافقين والمرجفين والفُسّاد بأذى ولا ريبة.

2. زعيم المنافقين يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين

قـــــال الله تعـــــــالى: "ûï%$Ñè bq®qà)ãƒ ZèŸw 4?ã (qàÿZè? ôB %Ÿä ß'qß$Ė« ®m 4_ Zƒÿ qÒ(‡ r ‡-z "ÉfΒ

$!9 ¡J»q°N Ï $!$ƒö Ü)r 9»Å£$!$Z»ÿ ÉüúΒ Ÿw ƒ9$) §Ëq® bq®qà)ã ÇÉè$ û_§ èŸ$ ‹'$!$J‰ƒÿŸ pŸã ÷ì _Æ $ƒ-"ã ßÏ]Ÿ$

$!ƒ«Ė‹ r -$!$ë‹ã r!9•ƒß‹qî¼ r ÿ9ü3sB‹Ž ü úš r9»Å£$!$3Y»ÿ ÏüÉ úš Ÿw ƒ=è‹ bq®"(1).

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: "هم الذين يقولون": يعني المنافقين هم الذين يقولون لأصـــحابهم "لا تنفقوا على من عند رسول الله" من أصحابه المهاجرين حتى "ينفضوا" يقول: "حتى يتفرقـــوا عنه" وقيل نزلت في عبد الله بن أبّي بن سلول[2]، حينما قال لأصحابه: "لا تنفقوا على من عنـــد رسول الله فإنكم لوما تنفقوا عليهم قد انفضوا"[3].

لما سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بأن بني المطلق[4] يجمعون له، خرج إلـــيهم حتـــى لقيهم على ماء لهم يقال لها "المريسيع"[5] فتزاحم الناس عليه واقتتلوا، ومع عمر بـــن الخطـــاب أجير له اختصم مع حليف للخزرج فضرب الأجير الحليف حتى سال دمـــه فاستـــصرخ بقومـــه الخزرج، واستصرخ الأجير بالمهاجرين، فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتلون لولا أن خـــرج

---

(1) المنافقون: الآيات 7-8.

(2) هو عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري من بني عوف بن الخزرج وسلول امرأة من خزاعة وهي أم أبي بن مالك بن الحارث، رأس المنافقين، شديد العداء للرسول –صلى الله عليه وسلم–، مات على النفاق. انظر: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: كتاب **الوافي بالوفيات**، دار صادر، بيروت، ط1، 1991. رقم (9)، 11/17-12.

(3) الطبري: **جامع البيان**، مرجع سابق، 104/12-105.

(4) قال الحافظ في **فتح الباري**، 487/7: "المصطلق فهو بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء وكسر اللام بعدها قاف وهو لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بطن من بني خزاعة"، كانوا يسكنون قديراً وعسفان على طريق المدينة إلى مكة تبعد 12كم من المدينة، وكانت خزاعة يسودها الشرك إلا أنهم كانوا مسالمين للمسلمين. انظر. عمر رضا كحالة: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مرجع سابق، 1104/3. معجم البلدان، مرجع سابق، 729/2. محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت230هـ): **طبقات ابن سعد، الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، د.ت.

(5) المريسيع: هو اسم نبع ماء لبني خزيمة في ناحية قديد إلى ساحل البحر الأحمر. **معجم البلدان**، مرجع سابق، 139/5. وقديد: اسم موقع قرب مكة (الماء الذي بين قديد وعسفان). **معجم البلدان**، مرجع سابق، 357/4.

عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "ما بال دعوى الجاهلية؟" فأخبر الخبر، فقال: "دعوا هذه الكلمة فإنها فتنة"، فلما بلغ عبد الله بن أبّي هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج فقال: "ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها؟ نافرونا في ديارنا والله ما عدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: "سمن كلبك يأكلك، أما والله "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منا الأذل"[1]. ثم التفت إلى من معه وقال: "هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضاً للمنايا فقتلم دون محمد فأيتمتم أولادكم، وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من عنده، وكان في مجلسه شاب حديث السن قوي الإسلام اسمه زيد بن أرقم[2]، فأخبر رسول الله الخبر فتغير وجهه وقال: يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت"، فقال: والله يا رسول الله لقد سمعته، قال: لعله أخطأ سمعك فاستأذن عمر الرسول في قتل ابن أبي أو أن يأمر أحداً غيره بقتله فنهاه عن ذلك، وقال: "كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"[3]، ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك –عليه الصلاة والسلام– شغل الناس عن التكلم في هذا الموضوع فجاء أسيد بن حضير[4] وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت؟ فقال: "أما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل" قال: أنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم سار عليه الصلاة والسلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مّس الأرض؛ حتى وقعوا نياماً وكلّم رجال من الأنصار عبد الله بن أبّي في أن يطلب من الرسول –صلى الله عليه وسلم– الاستغفار فلوى رأسه واستكبر، وهنا نزل على

---

(1) المنافقون: آية 8.

(2) هو زيد بن أرقم بن قيس بن النعمان بن مالك الأنصاري الخزرجي. شهد مع الرسول –صلى الله عليه وسلم 17 غزوة، سكن الكوفة، وتوفي سنة 68هـ. انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 342/2–344.

(3) رواه البخاري: دون قوله "ما بال دعوى الجاهلية"، مرجع سابق، 741/8. كتاب المغازي، باب يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، حديث رقم (4907) عن جابر بن عبد الله، باب المنافقون إذا جاءك المنافقون ص742. وكتاب التفسير، 734/8. باب المنافقون حديث رقم 4900 عن زيد بن أرقم.

(4) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع الأنصاري الأوسي الأشهلي، أحد النقباء، كان من أصحاب الاشراف والعقلاء وذوي الرأي، مات سنة 20هـ ودفن في البقيع. انظر: **سير أعلام النبلاء**، مرجع سابق، 340/1–343. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 111/1–113.

رسول الله سورة المنافقين التي فضحت عبد الله بن أبي واخوانه وصدّقت زيد بن أرقم، ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبّي[1]،استأذن رسول الله في قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد، فأمره -عليه الصلاة والسلام- بالرفق به والإحسان إليه[2].

قال ابن كثير: "لما وقفوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبي على باب المدينة واستل سيفه، فجعل الناس يمرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبّي قال له ابنه: وراءك فقال: مالك؟ ويلك! فقال: والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فإنه العزيز وأنت الذليل، فلما جاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكان إنما يسير في ساقه فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه، فقال ابنه عبد الله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: أما إذ أذن لك رسول الله -صلى الله عليه وسلم – فجز الآن"[3].

ومن هذه الأحداث يتبين لنا ان زعيم المنافقين عبد الله بن أبّي بن سلول هو الذي كان يدعو إلى مواقف كيدية للمسلمين، ولعل مما كان يدفعه إلى ذلك ما في نفسه من البغض والمكر للمسلمين، ومن اللؤم والخبث والجبن، وانطماس القلب والبصيرة، فقد كان يرى ما بين الأنصار والمهاجرين من مودة وإخاء فيكره ذلك ويتمنى زوالهما، ومن ثم يطلق بينهم الفتن لتحرق تلك العلاقات الطيبة الحميدة، وقد ذكر الله تعالى طرفاً من فسقه وقبائحه كما ذكرت سابقاً.

---

(1) هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث الأنصاري الخزرجي من فضلاء الصحابة كان امسه الخباب فسماه الرسول -صلى الله عليه وسلم- عبد الله شهد بدراً واحداً استشهد يوم اليمامة في عهد أبي بكر سنة 12هـ. انظر: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، مرجع سابق، 297/3-298.

(2) ابن هشام: **السيرة النبوية**، مرجع سابق، 185/3.

(3) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، مرجع سابق، 23/7.

نتائج البحث

وفي ختام هذا البحث، فإنني أخلص إلى دروس وعبر أهمها:

الدرس الأول: أن الابتلاء درسٌ من دروس التوحيد والإيمان والتوكل، وهو يطلعك عَملياً على حقيقة نفسك، لتعلم أنك عبد ضعيف لا حول لك ولا قوة إلا بربك، فتتوكل عليه حق التوكل، وتلجأ إليه حق اللجوء، حينما يسقط الجاه والتيه والخيلاء، والعجب والغرور والغفلة، وتفهم أنّك مسكين وضعيف يلجأ إلى القوي العزيز سبحانه.

الدرس الثاني: أن الابتلاء يكشف لنا حقيقة الدنيا وزيفها وأنها متاع الغرور، وأن الحياة الصحيحة الكاملة الخالدة وراء هذه الدنيا، في حياة لا مرض فيها ولا تعب: "žr c $!$#‘FyÅ•o 9ĝ ‘$#t‹ø$#q‹ä 9ö ö2Ÿ$ŒqçR ŧ ôĝ=Ŗq c š"[1]. أما هذه الدنيا فنكد وجهد وكبد: "9)‰ z =ýZ$$M$Yš ¡ »` Î’ 6‰%"[2]. فهذا شأن الدنيا وهذه طبيعتها، فبينما هي مقبلة إذا بها مدبرة، وبينما هي ضاحكة إذ بها عابسة، فما أسرع العبوس من ابتسامتها، وما أسرع القطع من وصلها، وما أسرع الابتلاء من نعمائها، ولكنك تنسى –أخي الحبيب– فيأتي الابتلاء فيذكرك بحقيقتها؛ لتستعد للآخرة.

الدرس الثالث: أن الابتلاء يذكرنا بفضل نعمة الله علينا بالعافية، فإن هذه المصيبة تشرح لك بأبلغ بيان وأصرح برهان معنى العافية التي كنت تتمتع بها سنين طويلة، ولم تتذوق حلاوتها ولم تقدِّرها حق قدرها وصدق من قال: "الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى".

الدرس الرابع: أن الابتلاء يذكرنا، فلا نفرح فرحاً يطغينا، ولا نأسَ أسىً يفنينا فإن الله عز وجل يقول: "B$ & ¹ $ > B` BÃŠ6ÿ7 Î’$ }Rö ÇÚ r÷ ïÎþ &Rã Åš Ö3š ÎŽ Î’ 2ÅG» =5 B` 6%è@ &bÎ Ö0Žš$d bÎ ŒÏ9 š•ã ?’" "$ »Å ŽÈ Ç JŠ3Ž Ÿ Ú™qö 4ã ?$B ?$ù 3Ö6 qä•ñä (Î ÷J$ 9# ä?96 àÖ6 $! ªw ÷ Ÿ ä@ èæF$ #5 ùû ,qã A"[3].

(1) العنكبوت: آية 64.

(2) البلد: آية 4.

(3) الحديد: الآيات 22-23.

الدرس الخامس: أن الابتلاء يذكرك بعيوب نفسك لتتوب منها، والله عز وجل يقول: "7 /$| ¹ & $Br `ã ‡(qãèƒr ô3ƒ‰÷& ôM6|¡. $J6ù p7šÅÁ B `B Nà6 7» ¹ & $Br" "[1]، ويقول سبحانه: "7 Å¡ø R `Ïù p7ÿh™ `B NÏ) ƒËã9r" "[2]، فالابتلاء فرصة للتوبة قبل أن يحلّ العذاب الأكبر فإن الله تعالى يقول: "ÿ9 IW. šc qãÅ_ ö tƒ N6= è9 Î9øF$ Ë # ‹ èø9$ br ß4 T šF$ Ë # ‹ èø9$ šÆ B"[3]، والعذاب الأدنى هو نكد الدنيا ونغصها.

الدرس السادس: أن الابتلاء درس تربوي عملي يربينا، ويربي النفوس المؤمنة على الصبر، وما أحوجنا إلى الصبر في كل شيء، فلن نستطيع البعد عن الباطل إلا بالصبر عن معصية الله، ولن نستطيع السير في مناحي الحياة المختلفة إلا بالصبر على أقدار الله المؤلمة، وما أجمل الصبر في ذلك كله، فهو زادنا إلى جنة الخلد والرضوان، قال الله سبحانه وتعالى في ذلك: "$Br $g9)=ã$) w) šú ï% !$ (rç9 ¹ $Br $g9)=ã$) w) 7 ã m r@ ŠÜ 5 b "[4].

---

(1) النساء: آية 79.

(2) الشورى: آية 30.

(3) السجدة: آية 21.

(4) فصلت: آية 35.

الخاتمة

إنّ الاستعداد وإعداد الزّاد أمر لا بد منه لمواجهة الابتلاء، وأساس ذلك هو الإخلاص، لأن كـــل عمل لا يراد به وجه الله باطل، والاخلاص يقتضي إعمار القلب بالإيمان والصبر والثبات علـــى الحق مهما تكن الظروف والأحوال من فتن وابتلاءات.

ولا يسعني في هذه الخاتمة تفصيل الحديث عن ذلك، ولكني أشير إلى أهـــم الأمـــور الواجـــب إعدادها في نقاط:

1. الإيمان والعمل الصالح:

مما لا شك فيه أن الإيمان هو أهم زاد يتزودّ به الإنسان للصبر على مصائب الحياة وقـــسوتها، وعدة لمصائب الحياة وابتلاءاتها قال تعـــالى: "B$ & ¹ $> Ë` B Ã Š6þ Î)ž Îfî $Èb « rB` ãsB` .$ « ö‰Ï
½6ç $!ª î3ê@ « óä æt Ò" [1].

- فلا بد من الإيمان لمواجهة ابتلاءات الحياة ومصائبها، وتحمل أعبائها وتبعاتهـــا، ومواجهـــة الفتن ومضلاتها، والحذر من مزالقها ومخاطرها.

- ولا بد من الإيمان حتى يقلّل الإنسان عثرته ويقوي عزيمته، ويجبر كسره وضـــعفه وذلـــك بصلته بخالق هذا الوجود صاحب القوة والجبروت.

- ولا بدّ من الإيمان حتى يعلم العبد علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطـــأه لـــم يكن ليصيبه قال تعالى: "B$ & ¹ $> Ë` B Ã Š6 7Î ’$ {ö Ú Ç r Ÿ Îû R& Å ãN Ÿ Î)ž Îû '2 ÅG» =5 B Ë` %6@è &b
R0Ž d$ Î) b Œ9Ï ž• š ã?’ $ « Å„ž ÈË Ç (38 Ÿ X ù?™ öq) ã?4 B$ ù?$ ã N ?y ö • ã q) Î J$ ä#?9 6 à N $!ª ÿ ä Ï t ä=
ä@ à $F B5 ù ã q A" [2].

1) التغابن: آية 11.

2) الحديد: الآيات 22-23.

- ولا بدّ من الإيمان حتى ينال الإنسان معيّة ربّه وحفظه وتأييده، فالله سـبحانه يؤيـد عبـاده المؤمنين ويحفظهم ويدافع عنهم قال تعالى: "Ï c ž$©!$ã‰%Î ßÇã $#©!ïû ä#Bu(qþ# Ï(b $©!$ ÷Wt=ä@ Aq.5#§z"[1].

- ثم لا بدّ من الإيمان حتى ينعم الإنسان بالأمان ولا تصيبه المخاوف والأحزان، قال تعالى: " &wÏ c ž&r#Šš$ä#$! «!$ ÷Wz qö 'ê æ%ôÛOr ÷W dN ‘t“øtqç c š ÈÏç$!%ïú ä#šB(qZr 2Ÿ$qç(qà)f c š"[2].

وقال سبحانه: $!%ïû ä#Bt(qZr 9O ö ƒt=ù6 Ý(qþ#) J ƒ»ZßO Ïî/Ü=ùOér& 9Í7 »ï¹ 7 !9ßN $#{FBß ß dN Nd r &ßGô%tb r"[3].

2. لا بد من الصبر والشكر وهما متعلقان بالنقطة السابقة، فالصبر والشكر من أهـم متطلبـات الإيمان، بل إن الإيمان يُبنى عليهما، فالإيمان نصفه صبر ونصفه شكر، والمؤمن هـو الوحيـد الذي يجمع بين الأمرين كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم حيـث قـال: "عجبـاً لأمـر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لـه، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"[4].

3. إن المصائب والشدائد التي تحل بالعباد إما أن تكون جزاء وعقوبة وإمـا أن تكـون ابـتلاء وتربية، والناس كثيراً ما يخلطون في ذلك، لجهلهم بهذه الحقيقة من جهة، وجهلهم بما عليه واقع العباد من جهة أخرى، والتمييز بينهما يحتاج بصيرة بالأمرين. وهذا اللون من الابـتلاء يهـدف إلى امتحان صبر الإنسان ومدى تحمله، والحد من طغيانه وغروره وتجبره، قـال تعـالى: "q9r ‘q±Yªë NßG» .r ±øZ$ $B Nßgî/ Ï` ÑhÅÊ=©Bf'q(Î î' ÛÊøö» Šš Nßgî/ ƒèJ»`qßg b"[5].

4. إن سنة الابتلاء سنة شاملة تشمل جميع أفراد الأمة دون اسـتثناء أو محابـاة لأحـد حتـى الأنبياء، فهي لا تتوقف في زمن دون زمن أو مكان دون مكان، فحياة الإنسان كلها ابتلاء علـى

(1) الحج: آية 38.
(2) يونس: الآيات 62-63.
(3) الأنعام: آية 82.
(4) رواه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير، رقم الحديث (7692) مرجع سابق، 18/161-163.
(5) المؤمنون: آية 75.

هذه الأرض إما بالسراء وإما بالضرّاء، فإن كانت السرّاء فليشكروا وإن كانت الضرّاء فليصبروا، ومن رحمة الله تعالى أن جعل الابتلاء على قدر إيمان الإنسان وتحمله، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث "أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتلي حسب دينه، فما يبرح الابتلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة"(1).

5. إن الصبر على الشدائد والمحن والابتلاءات –مهما تعاظمت وامتدت– لا تدوم على أصحابها، ولا تخلد على مصابها، بل إنها أقوى ما تكون اشتداداً وامتداداً واسوداداً، أقرب ما تكون انقشاعاً وانفراجاً وانبلاجاً، عن يسر وفرج وهناءة وحياة رضّية مشرقة وضّاءة، فيأتي العون من الله والإحسان، عند ذروة الشدّة والامتحان، وهكذا نهاية كل ليل غاسق، فجرٌ صادق.

6. إن المستبصر في هذه الحياة يجد أنها لا تكاد تصفو لأحد، وأنها مجبولة بالأكدار حتى في نعيمها وخيراتها، مشوبة بالتنغيص ومعرّضة للزوال، قال تعالى: "9(‰ z=ö)Z$$M¡SM} $¡«`Î ’.6‰%"(2).

وفي هذا تنبيه على أن الإنسان خلقه الله تعالى على حالة لا ينفك عن المشاق.

7. إن المحن والشدائد من شأنهما أن يكشفا عن الفطرة ويزيلا عنها الحجب فتلجأ إلى خالقها مُتضرعة إليه لائذةٍ بجنابه، داعية إياه أن يكشف عنها ما حلّ بها من ابتلاء وفي هذا يقول القرآن الكريم: "rB$ Îâ N`B `ÏèJ÷R ÏiB `Üù $« Oê #Œ) B ¡¡#$ãN9$Ø ž ùî ÏøB ægø "brã(3). وقوله تعالى: "rÎ)Œ#

B §¡$#9Z$ ¨ ÕŽ @šãö(®£N B Ž•Îûü)öØ ÏB Oê)Œ# &Œ#%ÅO BZ‘ q÷H) Œ# ùÏ•ÛB N]ã B Îg»ç ÎÔ ö"bqã(4).

8. إن سنة الله في العطاء أن النعم تُمنح لكل العباد، وتعرفها شتى النفوس وتُمتحن بها مختلف الفئات، ولكن النتيجة ليست واحدة، فالمؤمن يزداد حساسية ويقظة وشكراً، وكلما أحدث له مولاه نعمة أحدث له عبودية، وغيره تُبطره النعمة ويتلفه الرخاء، ويضله الابتلاء، وكلما أحدث الله له نعمة ازداد كفراً وطغياناً وتعالياً وتكذيباً كما قال الله تعالى عن أمثال هؤلاء: "rB@šèq b ÷ø%ãBN

(1) سبق تخريجه، ص34.

(2) البلد: آية 4.

(3) النحل: آية 53.

(4) الروم: آية 33.

bqߥ3êNãR&"(1)، والقرآن الكريم يبيّن لنا نسبة النجاح في هذا الابتلاء بقولـه: "r%Î‹@ Èô ã6$Š “
$9#±äâqä"(2). كثيرون يصبرون على الجراح والكفاح، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الدعة والمراح.

9. أن يعلم المسلم كذلك أن السعادة لا ترتبط بكثرة المـال والمتـاع، وإنّمـا تـرتبط بالهدايـة والإيمان، بل قد يكون كثرة المال والمتاع سبباً في الشقاء لا في السعادة والقرآن الكـريم يـشير إلى هذا بقوله:"r&B$ $#âöè÷Ð b¨3ù q#/&ßs÷Zã ±Ë , ù $ZŠt b&æöÇè Jß$ öø‹Z$ r 2àÿ÷ý#"(3). ومن هنا نعلم بأن الخير قد يكون في المنع لا في العطاء وأن تضييق الرزق وحرمان المتاع قد يكون لمصلحة العبد وإرادة الخير له، كما أن العطاء كذلك قد يكون لحرمانه وإرادة المكر به.

10. ليس المراد بالحديث عن الابتلاء والمحن وصورها المتنوعة والمفزعة أن ألقي الرعب في نفوس أصحاب الإيمان، بل أريد من الذين ابتلوا أو في طريق الابتلاء أن يوطنوا أنفسهم علـى هذا، وأن يستعدوا لتجاوز هذه المرحلة بالصبر والمصابرة والثبات على العقيـدة مهمـا كانـت الظروف؛ بنفوس رضية، وعزائم قوية، وقلوب مؤمنة بنصر الله ترقب بزوغ فجره.

11. على المؤمن أن لا يضيق ذرعاً إذا ما أصابته المحنة والابتلاء، فمن المحال دوام الحـال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، والأيام دول، والدّهر متقلّب، والحكيم كل يوم هو شأن، ولعـل الله يحدث بعد ذلك أمراً وإن مع العسر يسراً.

12. إن عقيدة الإسلام التي تتركز في الإيمان بالله عز وجل والرضا بما قدره سبحانه، تـسكب في قلب المؤمن الطمأنينة والسكينة وهو يواجه الصّعاب والآلام، وأن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك وقرت في ضميرك صارت البلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جـوائز وأوسـمة، ومن يرد الله به خيراً يصب منه، فلا يُصيبك قلق من مرض أو موت أو مصيبة أو ابتلاء، فـإن الباري قدَّر وقضى والاختيار هكذا والخيرة لله وحده، فما على المسلم إلا الإطمئنان إلى أن كـل

---

(1) الواقعة: آية 82.

(2) سبأ: آية 13.

(3) الكهف: آية 80.

شيء في هذا الكون يجري بقدر، وأن الله وراء كل حدث، وفوق كل نفس، وهو فعّال لما يريــد، وغالب على أمره، ولا معقب لحكمه، وإليه يرجع الأمر كله.

13. إن ابتلاء المؤمن في هذه الدار يكون للتمحيص، وللكافر إقامة الحجة ومحقٌ للشرور، وهذا ما يؤيده قوله تعالى: "šú ïÌÿ»3$$, sðƒr {q߀#ä ûïÏ%©!$# Ès)ßJóstƒur"[1]، فالابتلاء وســيلة لتنقيــة الصف المؤمن من غيره، ومعرفة الصادق من الكاذب، وتمييز الخبيث من الطيب قــال تعــالى: "$B 4?ã ûüÏZÏB÷sßJø9$#' ‹ÏŠuŽÉ9 ª!$# tb%. $B"[2]، وقوله تعــالى: "ûüÎ/É»3$#$£J=è‹9r {q%‰ ¹ šú ïÏ%©!$# £J=è‹=u"[3].

14. ومن السنن التي تتحقق في ظل الابتلاء، انتصار الحق وأهله، واندحار الباطل وأهله وذلــك لا يتم دون وجود صراع وتدافع بين الحق والباطل، وهو من ابتلاء الخلق بعضهم ببعض. بــل إن الحياة تتوقف حركتها، وتفسد طبيعتها، والخير يركد ويتعفن دون هذا التدافع، قــال تعــالى: "Ùß ôÏF$Ñ%¡ ÿ©Ù è7Î ÓßÒè/ ¨ $Y9$<¬ $ßÒ ŠÿÏqr"[4].

15. إن الصبر على الابتلاء والمحن مهما طال الزمن فسينتهي إلى النــصر، والعاقبــة تكــون للمؤمن بعد جهاد مضنٍ، ومحن كثيرة، هذا هو الطريق طريق الرسل جميعــاً، دعــوة، صــبر، نصر. في النهاية قال تعــالى مخاطبــاً الرســول صــلى الله عليــه وســلم: "$¨ ‹Ï Ž$b) ÎŽÉè$#$b)ö6p šú üÉ)GßJù=Ï9"[5].

16. على المؤمن أن يصبر، وأن يفوض الأمر إلى الله، ويتوكل عليه، ويثق بوعــده ويرضــى بصنيعه، ويحسن الظن به، وينتظر الفرج منه، فإن ذلك من أعظم ثمرات الإيمان، ومــن أجــلّ صفات المؤمنين، وحينما يطمئن العبد إلى حسن العاقبة ومواتاة الإحسان، عند نهاية الامتحــان،

(1) آل عمران: آية 141.
(2) العنكبوت: آية3.
(3) آل عمران: آية 179.
(4) البقرة: آية 251.
(5) هود: آية 49.

ويعتمد على ربه في كل شأنه يجد الرعاية والولاية والكفاية، والتأييد والنصرة، فإن المحن أولها شّدة حالكة وظلام مدلهم على أصحابها وآخرها صُبْح منير ونَعيم غامر لهم.

17. إن التشبث بالصبر والتمسك بالعقيدة هما الضابطان الأمينان اللـذان يحكمـان التـصرفات ويوجهان الطّاقات والسّلوك، ويتوقف على مدى انضباطهما وأحكامهما كل ما يصدر عن الـنفس البشرية من كلمات أو حركات، فاصبر أيّها المؤمن مها ادلهمت الخطـوب، وأظلمـت أمامـك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

18. أيها المؤمن المبتلى بالمحن والشدائد:

– لا تحزن إن كنت فقيراً، فغيرك محبوس في دين، وإن كنت لا تملك وسيلة نقل، فسواك مبتور القدمين، وإن كنت تشكو من الألم فغيرك يرقد على الأسّرة البيضاء.

– لا تحزن لأنّك مسلم آمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً وبالملائكـة واليـوم والآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره.

– لا تحزن إن أذنبت فتب، وإن أسأت فاستغفر، وإن أخطأت فأصلح، فالرّحمة واسعة، والبـاب مفتوح، والغفران جمّ، والتوبة مقبولة.

19. مما يعين على الصبر والثبات، اليقين بأن فرج الله آتٍ لا ريب فيه، وأن ما وعـد الله بـه الصابرين بالسعة بعد الضيق وبالعافية بعد الابتلاء وبالرخاء بعد الشدة، وباليسر بعد العسر، وما وعد به المتبلين من العوض والأخلاف لا بدّ أن يتحقق بإذن الله، وفي هـذا يقـول الله تعـالى: "Š™ õèõ@$! ª /è‰ ã ¬9$# ¨ çÈ"(1)، فما على المؤمن إلا الصبر، وعدم اليأس، وأن يكون أمله فـي الله، وثقته بالمستقبل، وأن الله لن يضيع صبره وعمله، وبأن وعد الله حق، قـال تعـالى: "Ÿwr ¼çR] «!$# (¨bÎ) ¼çR] ö«!$# žwÎ) ãPöqs)ø9$# ä3ÎtÿÅ3ø9$#"(2). وقوله تعالى: "÷É9ô¹$$sù ¨bÎ) yôãr ‰«!$# A,ym"(3).

(1) الطلاق: آية 7.

(2) يوسف: آية 87.

(3) غافر: آية 55.

هذه بعض لمحات في الطريق تعين العبد على تجاوز المحنة وتخطّي الامتحان، وتخفيــف شـــدّة البلاء.

وفي الختام أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من عباده الشاكرين الصّابرين الفائزين إنه نعم المولى ونعم النّصير وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ وعلـــى آلـــه وصـــحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مسرد الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	البقرة	47	110
[illegible]	البقرة	49	24
[illegible] الإسراء: آية 2. [illegible]	البقرة	53	111
[illegible]	البقرة	155	39
[illegible]	البقرة	157-155	38، 39
[illegible]	البقرة	124	97
[illegible]	البقرة	191	27
[illegible]	البقرة	211	109، 111
[illegible]	البقرة	217	20، 147
[illegible]	البقرة	214	163
[illegible]	البقرة	251	19، 179

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
141	51-50	آل عمران	[illegible]
143	52	آل عمران	[illegible]
144	53	آل عمران	[illegible]
12، 13	137	آل عمران	[illegible]
15، 149	139-140	آل عمران	[illegible]
157	123	آل عمران	[illegible]
155	126	آل عمران	[illegible]
72	128	آل عمران	[illegible]
30، 157، 179	141	آل عمران	[illegible]
148، 164	142	آل عمران	[illegible]
150	146	آل عمران	[illegible]
30، 151	154	آل عمران	[illegible]
31، 150، 151، 179	179	آل عمران	[illegible]

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			[illegible]
117 ،39 ،32	186	آل عمران	[illegible]
14 ،12	26	النساء	[illegible]
174	79		[illegible]
28	101	النساء	[illegible]
1	16	المائدة	[illegible]
28 ،27	49	المائدة	[illegible]
121 ،14	10	الأنعام	[illegible]
28	23	الأنعام	[illegible]
126	33		[illegible]
129 ،119	34	الأنعام	[illegible]
47	44	الأنعام	[illegible]
176	82	الأنعام	[illegible]

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]		141	114
[illegible]	الأنعام	165	44 ،40
[illegible]	الأعراف	66	128
[illegible]	الأعراف	168	46 ،17
[illegible]	الأعراف	183	140
[illegible]	الأنفال	28	74
[illegible]	الأنفال	30	135
[illegible]	الأنفال	38	13
[illegible]	الأنفال	46	118
[illegible]	الأنفال	60	147 ،21
[illegible]	التوبة	48	28
[illegible]	التوبة	51	66
[illegible]	التوبة	126	27

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
176	63-62	يونس	[illegible]
29	85	يونس	[illegible]
106	98	يونس	[illegible]
128	27	هود	[illegible]
76	43-42	هود	[illegible]
179	49	هود	[illegible]
130	91	هود	[illegible]
136	102	هود	[illegible]
140	102	هود	[illegible]
180 ،179	87	يوسف	[illegible]
113	29-28	إبراهيم	[illegible]
41	33-32	إبراهيم	[illegible]

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	إبراهيم	34	46
[illegible]	النحل	53	177
[illegible]	النحل	110	28
[illegible]	النحل	122−120	97
[illegible]	الإسراء	9	1
	الإسراء	2	111
[illegible]	الكهف	8−7	33
[illegible]	الكهف	42−32	57

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]			
[illegible]	الكهف	80	178
[illegible]	الكهف	110	34
[illegible]	مريم	46	42، 131
[illegible]	مريم	54	101
[illegible]	طه	42−47	138
[illegible]	طه	71−73	135
[illegible]	طه	82	45، 115
[illegible]	الأنبياء	5	125

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	الأنبياء	35	24 ،23
[illegible]	الأنبياء	36	122
[illegible]	الأنبياء	83	67
[illegible]	الأنبياء	84−83	87
[illegible]	الأنبياء	88−87	104
[illegible]	الحج	38	176
[illegible]	المؤمنون	44	128
[illegible]	المؤمنون	75	176
[illegible]	النور	33	41
[illegible]	الفرقان	37	128
[illegible]	الفرقان	41	121
[illegible]	الشعراء	116	130
[illegible]	الشعراء	142−141	128
[illegible]	النمل	62	65
[illegible]	القصص	40	138
[illegible]	القصص	82−76	52

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]			
[illegible]	القصص	78	56
[illegible]	القصص	80	52
[illegible]	العنكبوت	2−3	28، 35، 179
[illegible]	العنكبوت	27	98
[illegible]	العنكبوت	64	55، 173
[illegible]	الروم	33	177

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]			
[illegible]	السجدة	21	174
[illegible]	الأحزاب	9	159
[illegible]	الأحزاب	10	160
[illegible]	الأحزاب	11	161
[illegible]	الأحزاب	12	161
[illegible]	الأحزاب	21	161
[illegible]	الأحزاب	23	163
[illegible]	الأحزاب	24	161، 167
[illegible]	الأحزاب	25	162
[illegible]	الأحزاب	26–27	13
[illegible]	الأحزاب	38	169

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	الأحزاب	62–57	178
[illegible]	سبأ	13	14 ،13
[illegible]	فاطر	43	122
[illegible]	الصافات	15–14	100
[illegible]	الصافات	111–101	100
[illegible]	الصافات	102	102
[illegible]	الصافات	107–103	123

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]			
[illegible]	الصافات	15-14	123
[illegible]	الصافات	148-139	
[illegible]	الصافات	162	28
[illegible]	ص	4	125
[illegible]	ص	14	128
[illegible]	ص	42	68
[illegible]	ص	43	66
[illegible]	ص	44	66
[illegible]	غافر	5	136
[illegible]	غافر	24-23	128 ،127
[illegible]	غافر	26	69
[illegible]	غافر	28	134 ،137
[illegible]	غافر	37-36	180

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
174	55	غافر	[illegible]
1	35	فصلت	[illegible]
147 ،140	42-41	فصلت	[illegible]
49	24	الشورى	[illegible]
174	27	الشورى	[illegible]
121	30	الشورى	[illegible]
123	7-6	الزخرف	[illegible]
95	33-32	الجاثية	[illegible]
164	4	محمد	[illegible]
21 ،13	31	محمد	[illegible]
26	23	الفتح	[illegible]
128	3	الحجرات	[illegible]
128	14	ق	[illegible]
128	18	القمر	[illegible]
133	26-23	القمر	[illegible]
178	2-1	الرحمن	[illegible]

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	الواقعة	82	42
[illegible]	الحديد	7	26
[illegible]	الممتحنة	10	173، 175
[illegible]	الحديد	23-22	170، 171
[illegible]	المنافقون	8-7	175
[illegible]	التغابن	11	74، 75، 82
[illegible]	التغابن	15-14	180
[illegible]	الطلاق	7	79
[illegible]	التحريم	11-10	83
[illegible]	الملك	15	41
[illegible]	القلم	6-5	29

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
[illegible]	القلم	33-17	115 ،112
[illegible]	المدثر	31	166
[illegible]	النازعات	26-25	139
[illegible]	البروج	11-1	94 ،28 ،27
[illegible]	البلد	4	177 ،173
[illegible]	الشرح	6-5	166 ،69
[illegible]	الفجر		48

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
’?ã b‰. bĵ M‡ä‘& Ç‡È #©9 #Œĵ #‰ôã ÇÈ 4 SŽƒ “ ï‰$M‡ä‘&" Ł>èƒ Ó9& Ç‡È #‹q?r >¤ . bĵ M‡ä‘& Ç‡È #‍ q)©9$¨ •B& ‡& Ç‡È # ‰ô)$ þ/É» . ©Šï¹ $R Ç‡È þŠï¹ $Z9$¨ $ðÿó Y9 ïnG^ƒ Ó©ûÍ! žx . Ç‡È 3‘ •ƒ ©$b'Î ¤èÜ¨èW žx . Ç‡È p‹Ï$/"9$á‹ô Z™ Ç‡È ¼¤ƒŠ$R á‹ô‹ù Ç‡È ©¥Û‰ { ">Î!‰$ ‰Ó3ó™$	العلق		131

مسرد الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
.1	ابتلاه الله بالطهاره	ابن عباس	99
.2	إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه	أنس بن مالك	64
.3	إذا رأيت الله يعطي العبد	عقبة بن عامر	47
.4	أشد الناس بلاءً الأنبياء	سعد بن أبي وقاص	34، 39
.5	أغمر واغبر التراب بياض بطنه	البراء بن عازب	165
.6	أما والله إني لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم	سلمة بن دينار	73
.7	أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل	ابن عباس	126
.8	إن الدنيا حلوة خضرة	أبو سعيد الخدري	33
.9	إن الله ليملي للظالم	أبو موسى الأشعري	136
.10	أن الله يعطي الدنيا من يحب	ابن مسعود	49
.11	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحُد	أنس بن مالك	72
.12	إن عظم الجزاء من عظم البلاء	أنس بن مالك	64
.13	الآن نغزوهم ولا يغزونا	البراء بن عازب	165
.14	أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم	عروة بن الزبير	132
.15	بينما النبي صلى الله عليه وسلم ساجد وحوله ناس من قريش	عبد الله بن عمر	70
.16	بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حِجر الكعبة	عبد الله بن عمرو بن العاص	69
.17	جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته	سهل بن سعد	72، 152
.18	رؤيا الأنبياء وحي	ابن عباس	100
.19	سيأتي على الناس سنوات خَدّاعات	أبو هريرة	133
.20	شجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحُد	أنس بن مالك	72
.21	فوالله لو دعا نادية	ابن عباس	131
.22	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع إلى قومك فأخبرهم	أبو ذر الغفاري	132

الرقم	طرف الحديث	الراوي	الصفحة
23.	قال: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً	ابن عباس	131
24.	قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء أبو جهل	ابن عباس	69، 131
25.	كان ملك فيمن كان قبلكم	صهيب الرومي	92
26.	لا تزال طائفة من أمتي	عبد الله بن عمر	19
27.	لما كان يوم أحُد جاءت عمتي	جابر بن عبد الله	158
28.	ما بال دعوى الجاهلية	جابر بن عبد الله	171
29.	ما لعبدي المؤمن عندي جزاء	أبو هريرة	74
30.	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة	أبو هريرة	39، 74
31.	مثل المؤمن كمثل الزرع	أبو هريرة	155
32.	من رأى صاحب بلاء	عبد الله بن عمر	66
33.	يا معشر المهاجرين	عبد الله بن عمر	16

مسرد الأعلام

1. ابن الأعرابي
2. الألوسي
3. أحمد مصطفى المراغي
4. أُسيد بن الحُضّيْر
5. ابن تيمية
6. الجرجاني
7. جمال الدين القاسمي
8. أبو حازم
9. الحسن البصري
10. الدَّامغاني
11. أبو ذر الغفاري
12. الرازي
13. الراغب الأصفهاني
14. الزمخشري
15. زيد بن أرقم الأنصاري
16. زيد بن حارثة
17. سعد بن أبي وقاص
18. سعد بن مالك
19. أبو السعود
20. أبو سفيان
21. سهل بن سعد
22. الشوكاني
23. صهيب الرومي
24. الطبري
25. العباس بن عبد المطلب
26. عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري
27. عبد الله بن عباس
28. عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول
29. عبد الله بن عمر
30. عبد الله بن عمرو بن العاص
31. عبد الله بن مسعود
32. ابن العربي
33. عروة بن الزبير
34. عقبة بن أبي معيط
35. عقبة بن عامر
36. عمرو بن هشام
37. فاطمة بنت محمد
38. الفضيل بن عياض
39. الفيروزأبادي
40. القرطبي
41. ابن قيمّ الجوزية
42. ابن كثير
43. الماوردي
44. متولي الشعراوي
45. النضر بن الحارث
46. هرقل
47. أبو هريرة
48. أبو هلال العسكري

1. ابن الأعرابي:

هو أبو عبد الله محمد بن زياد، المعروف بابن الأعرابي الكوفي صاحب اللغة؛ وهو من موالي بني هاشم، وكان أبوه زياد عبداً سندياً، كان أحد العالمين باللغة المشهورين بمعرفتها يقال لم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصرين منه، وكان رأساً في كلام العرب، له تصانيف كثيرة منها "النوادر" "معاني الشعر" "تفسير الأمثال" "تاريخ القبائل" ولد سنة 150هـ، وتوفي سنة 231هـ، بسامراء(1).

2. الألوسي:

هو عبد الله بهاء الدين بن محمود شهاب الدين بن عبد الله الألوسي: فقيه بغدادي، من قضاة الشافعية، تخرج بأبيه، وترفع عن مناصب الدولة وعكف على التدريس، سافر إلى استنبول فاعترضه قطّاع الطرق فعاد إلى بلده صفر اليدين، تولى قضاء البصرة مدة سنتين، أكلت الحُمى جسمه فرجع إلى بغداد وتوفي فيها سنة 1291هـ، له مصنفات متعددة أشهرها تفسير القرآن المسمى "روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني" "الواضح في النحو"(2).

3. أحمد مصطفى المراغي:

هو أحمد بن مصطفى المراغي، مفسر، مصري، من العلماء تخرج من دار العلوم سنة 1909م، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها، ولي نظارة بعض المدارس، وعين أستاذاً للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غورون بالخرطوم، توفي بالقاهرة سنة 1952م، وله كتب قيمة، منها: "الحسبة في الإسلام"، "الوجيز في أصول الفقه"، "تفسير المراغي"، "علوم البلاغة"(3).

---

(1) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 4/306-308، مرجع سابق.

(2) الزركلي: **الأعلام**، 4/136، مرجع سابق.

(3) الزركلي: **الأعلام**، 1/258، مرجع سابق.

4. أُسيد بن الحُضَيْر:

هو أُسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل، الإمام أبو يحيى، وقيل أبو عتيك الأنصاري، الأوسي الأشهلي، أحد النقباء الاثنى عشر ليلـــة العقبـــة، أسلم قديماً، كان أُسيد يُعد من عقلاء الأشراف وذوي الرأي، آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين زيد بن حارثة وله رواية أحاديث، روت عنه عائشة وكعب بن مالك، كان من أحـــسن الناس صوتاً بالقرآن، مات أسيد سنة 20هـــ، وصلى عليه عمر بن الخطاب -رضي الله عنـــه- ودفن بالبقيع[1].

5. ابن تيمية:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخـــضر النميـــري الحرّانـــي الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين بن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران وتحـــول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، ورحل إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، ثم رجع إلى دمشق، واعتقل بها سنة 720هـــ، واطلق سراحه ثم أعيد، ومات معتقلاً في سجن قلعة دمشق فخرجـــت دمشق كلها في جنازته، له كتب ومصنفات كثيرة أشهرها: "مجموعة فتاوى ابن تيمية" "الـــسياسة الشرعية"، "منهاج السنة"، "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وغيرها مـــن الكتـــب، تـــوفي ســـنة 728هـــ[2].

6. الجرجاني:

هو علي بن محمد بن علي الجرجاني، الحسيني الحنفي، ويعرف بالسيد الـــشريف أبـــو الحـــسن عالم، حكيم، مشارك في أنواع من العلوم، ولد بجرجان وتوفي في شيراز ســـنة 816هـــــ، لـــه تصانيف كثيرة منها "حاشيّته على تفسير البيضاوي" "التعريفات"[3].

---

(1) الذهبي: **سير أعلام البنلاء**، 340/1-343، مرجع سابق.

(2) الزركلي: **الأعلام**، 144/1، مرجع سابق.

(3) كحالة: **معجم المؤلفين**، 216/4، مرجع سابق.

7. جمال الدين القاسمي:

هو جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق مـــن ســـلالة الحـــسين السبط، إمام الشام في عصره، عالماً بالدين متضلعاً في فنـــون الأدب ولـــد فـــي دمـــشق ســـنة 1283هـــ، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، درّس وأفاد العلم في سورية، ثم رحل إلى مـــصر وزار المدينة، ولما عاد إلى بلده أتهمه قومه بتأسيس المذهب الجمالي، له تصانيف كثيرة منهـــا: تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، "دلائل التوحيد"، "إصلاح المساجد"، توفي فـــي دمـــشق سنة 1332هـــ(1).

8. أبو حازم:

هو سلمة بن دينار الفقيه العابد أبو تمام المدني حدث عن أبيه وزيد بن أسلم وسهيل، والعلاء بن عبد الرحمن، قال أحمد بن حنبل: لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من ابن أبي حازم، توفي وهـــو ساجد في سنة 184هـــ(2).

9. الحسن البصري:

هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري سيد التابعين، أبو سعيد مولى الانصار، كان شيخ أهل البصرة. قال محمد بن سعد فيه: "كان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً، كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً، تولى قضاء البصرة زمن خلافة عمر بـــن عبـــد العزيـــز ثـــم استعفى؛ ادرك بعض صفين ورأى مائة وعشرين صحابياً. قال حماد بن سلمة عن حميد قـــرأت القرآن على الحسن ففسره على الإثبات يعني على اثبات القدر، توفي سنة 110هـــ، وهـــو ابـــن 88 سنة(3).

---

(1) المرجع السابق، 135/2.

(2) انظر: الذهبي: **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، 626/2. البستي: **كتاب الثقات**، 17/7. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـــ): **تذكرة الحفاظ**، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1374هـــ، 268/2-269.

(3) ابن حجر العسقلاني: **تهذيب التهذيب**، 231/2-236، مرجع سابق.

10. الدَّامغاني:

هو الحسين بن محمد بن علي بن محمد بن حسن بن عبد الملك بن عبد الوهاب، أبـــو عبـــد الله الدامغاني، شيخ الحنفية في زمانه، يوصف بقاضي القضاة، ولد بدامغان وتفقه بها وبنيسابور، ثم ببغداد سنة 418هـــ، وولي القضاء سنة 447 وطالت أيامه وانتشر ذكره، بقي في القضاء نحـــو ثلاثين سنة، وكان مثل القاضي أبي يوسف في أيامه حشمة وجاهاً وعقـــلاً، لـــه كتـــب متعـــددة أشهرها: "قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن "[1].

11. أبو ذر الغفاري:

هو جندب بن جناده، صاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهو من قبيلة غِفَار، وغِفَـــار: قبيلة من كنانة، وهو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، اسلم أبو ذر بمكة المكرمة ولم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق لأنه حين أسلم رجع إلى بلاد قومه، فأقـــام فيها حتى مضت هذه المشاهد، ثم قدم إلى المدينة، سيِّره عثمان بن عفان –رضي الله عنه– إلـــى الرَّبذة فمات فيها سنة 32هـــ، وليس له عقب[2].

12. الرَّازي:

هو فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب الفقيـــه الـــشافعي فريد عصره، فاق أهل زمانه في علم الكلام، له تصانيف كثيرة منها تفـــسير القـــرآن المـــسمى "التفسير الكبير" "البيان والبرهان" "تحصيل الحق" "شرح اسماء الله الحسنى" كـــان يعـــظ النـــاس باللسانين العربي والعجمي، ولد بالري سنة 543هـــ، وتوفي سنة 606هـــ، ودفـــن فـــي قريـــة فرداخان، وهي قرية بالقرب من هراة[3].

---

(1) الزركلي: **الأعلام**، 276/6، مرجع سابق.

(2) ابن قتيبة: المعارف، ص252، مرجع سابق.

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 248/4–252، مرجع سابق.

13. الراغب الأصفهاني:

هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب. أديب من الحكماء العلماء من أهل أصبهان سكن بغداد اشتهر حتى كـان يقـرن بالإمـام الغزالـي، مـن كتبـه: "محاضرات الأدباء"، "الذريعة إلى حكام الشريعة"، المفردات في غريب القرآن"، "تحقيق البيـان في اللغة والحكمة"، وكتاب أفانين البلاغة، توفي سنة 502هـ[1].

14. الزمخشري:

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم، مـن أئمـة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر من قرى خوارزم وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة 538هـ، أشهر كتبه "الكشاف في تفسير القـرآن"، "أسـاس البلاغـة"، وكـان معتزلـي المذهب[2].

15. زيد بن أرقم الأنصاري:

هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النّعمان بن مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بـن الحارث بن الخزرج بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، كنيته أبو عمر، وقيل أبو عامر، روى عنـه ابن عباس، وأنس بن مالك، وروي عنه من وجوه أنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسـلم سبع عشرة غزوة، واستصغر يوم أحُد، وكان يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة، وسار معه إلى مؤته، ويقال أن أول مشاهدة له المريسيع، سكن الكوفة، وتوفي فيها سنة ثمان وستين شهد مـع علي صفين، روى أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم[3].

---

(1) الزركلي: **الأعلام**، 255/2، مرجع سابق.

(2) الزركلي: **الأعلام**، 178/7، مرجع سابق.

(3) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 342/2-344. مرجع سابق.

16. زيد بن حارثة:

هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد الُعزّي بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة يكنى أبا أسامة، وهو مولى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وهو أشهر مواليه، وهو حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أصابه سباء في الجاهلية لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن فأغارت عليهم خيل بني القَينْ بن جسر فأخذوا زيداً فاشتراه حيكم بن خرام لعمته خديجة بن خويلد، فوهبته خديجة للنبي –صلى الله عليه وسلم– بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثماني سنين فأعتقه وتبناه، آخى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، شهد بدراً، جعله الرسول –صلى الله عليه وسلم– أميراً على الجيش إلى الشام، استشهد في مؤتة من أرض الشام سنة 8هـ(1).

17. سعد بن أبي وقاص:

هو سعد بن مالك بن وهيب، وقيل: أهيب بن عبد مناف بن زُهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن كنانة القرشي الزهري، يكنى أبا اسحاق، أسلم بعد إسلام ستة من أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة، شهد بدراً وأحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأبلى يوم أحد بلاءً عظيماً، وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عنه (هذا خالي فليرني امرؤ خاله) كان أمير الجيش الذي هزم الفرس بالقادسية، كان مستجاب الدعوة، توفي سنة 55هـ بالعقيق على بعد سبعة أميال من المدينة(2).

18. سعد بن مالك:

هو أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر بن عوف بن الحارث الأنصاري الخُدري، كان من الحفاظ لحديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– المكثرين ومن العلماء الفضلاء العقلاء. روي عن أبي سعيد قال: عُرضت على رسول الله –صلى الله عليه

---

(1) المرجع السابق، 350/2–353.

(2) ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 452/2–456. مرجع سابق.

وسلم- يوم الخندق وأنا ابن ثلاث عشرة، فجعل أبي يأخذ بيدي ويقول: يا رسول الله، إنه عَبْل[1] العظام فردني، مات سنة 74هـ[2].

19. أبو السعود:

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود، مفسر، شاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية ودرس ودرّس في بلاد متعددة، تقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي، أضيف إليه الافتاء سنة 952هـ، كان حاضر الذهن، سريع البديهة، كان يتكلم العربية، والفارسية، والتركية، صاحب التفسير المعروف "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" كان مهيباً حظياً عند السلطان يؤخذ عليه أنه كان يميل إلى أصحاب الرئاسة توفي سنة 982هـ وهو مدفون إلى جوار أبي أيوب الانصاري[3].

20. أبو سفيان:

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور باسمه وكنيته، وكان يكنى أيضاً أبا حنظلة، وهو والد معاوية، أسلم عام الفتح، وشهد حنيناً والطائف، وكان قبل ذلك رأس المشركين يوم أحُد ويوم الأحزاب، مات سنة 34هـ في آخر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه[4].

21. سهل بن سعد:

هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعده بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، يكنى أبا العباس، وقيل أبو يحيى، شهد قضاء الرسول - صلى الله عليه وسلم- في المتلاعنين، وأنه فرق بينهما، وكان اسمه حزناً فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- سهلاً، روى عن سهل وأبو هريرة وسعيد بن المسيب والزّهري وأبي

(1) أي ضخم العظام يقول أبوه: إن جسمه أكبر من سنه، والعبل: الضخم من كل شيء، **لسان العرب**، 2789/4.

(2) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 138/6. مرجع سابق.

(3) الزركلي: **الأعلام**، 59/7، مرجع سابق.

(4) ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 412/3-415، مرجع سابق.

حازم، توفي سنة سنة 88هـ، وهو ابن 96سنة ويقال أنه آخر من بقي من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– بالمدينة(1).

22. الشّوكاني:

هو علي بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله اليمني الصنعاني، الحنبلي، المعروف بابن الشّوكاني، من علماء اليمن الأفاضل، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء تولى القضاء سنة 1229هـ، كان يرى تحريم التقليد له 114 مؤلفاً منها، "نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار" "فتح القدير في التفسير" "إرشاد الفحول في أصول الفقه" توفي في صنعاء سنة 1250هـ(2).

23. صهيب الرومي:

هو صهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندله بن جذيمة بن كعب الرَّبعي النّمري، يكنى أبى يحيى، كناه بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وقيل له الرومي، لأن الروم سبوه صغيراً، وكان أبوه وعمه عاملين على كسرى، وكانت منازلهم على دجلة عند الموصل، فأغارت الروم عليهم فأخذت صهيباً وهو صغير فنشأ بالروم. آخى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بينه وبين الحارث بن الصُمَّة، لما هاجر تبعه نفر من قريش يريدونه فحذرهم وقال لهم هل أدلكم على مالي وتدعوني وشأني قالوا نعم فدلهم عليه، ولما لحق بالرسول –صلى الله عليه وسلم– قال رسول الله "ربح البيع أبا يحيى" شهد بدراً، وأحُداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وكان في لسانه عجمة شديدة توفي في المدينة سنة 38هـ، وهو ابن 73 سنة(3).

---

(1) المرجع السابق، 575/2–576.

(2) الزركلي: **الأعلام**، 298/6، المصدر السابق.

(3) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 38/3–41، مرجع سابق.

24. الطبري:

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبرين الإمام، العلم، المجتهد، عالم عصره، صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستان، ولد سنة 224هـ، طلب العلم بعد الأربعين ومئتين، وأكثر الترحال، لقي نبلاء الرجال، كان من أفراد الدّهر علماً، وذكاءً، وكان أحد ائمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، كان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين، له مصنفات كثيرة أشهرها "تاريخ الأمم والملوك" "وكتابة التفسير" "جامع البيان في تأويل أي القرآن" "وتهذيب الآثار" توفي سنة 310هـ، ودفن في داره في بغداد(1).

25. العباس بن عبد المطلب:

هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي، أبو الفضل عم النبي –صلى الله عليه وسلم– شهد معه بيعة العقبة ولم يكن أسلم يؤمئذ قيل أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وشهد الفتح وحنيناً والطائف، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يكرمه ويعظمه ويجله ويقول: هذا عمي وصنو أبي، كان رئيساً في الجاهلية، وإليه السقاية وعمارة المسجد، كان له من الولد عشرة بنين وثلاث بنات، توفي سنة 32هـ، عن 88 سنة، وكان أبيضاً نقياً جميلاً، معتدل القامة(2).

26. عبد الله بن أبي بن سلول الأنصاري:

هو عبد الله بن أبّي بن سلول الأنصاري من بني عوف من الخزرج وسلول امرأة من خزاعة، كان رأس المنافقين ومن تولى، كبِرَ الافك في عائشة –رضي الله عنها–، لم يخلص للإسلام، أظهر النفاق حسداً وبغياً، هو الذي قال يوم تبوك: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن منها الأعز الأذل" فقال ابنه عبد الله لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–، هو الذليل يا رسول الله وأنت العزيز، طلب ابنه عبد الله من الرسول –صلى الله عليه وسلم– بقتل أبيه فلم يقبل الرسول –

---

(1) الذّهبي: **سير أعلام النبلاء**، 267/4–282، مرجع سابق.

(2) المكي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، 313/4–314. مرجع سابق.

صلى الله عليه وسلم– بذلك وأمره أن يحسن رفقة والده، كان ابنه عبد الله من خيار الصحابة، مات في المدينة[1].

27. عبد الله بن عباس:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو العباس القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كني بابنه العباس، وهو أكبر ولده، كان يسمى البحر لسعة علمه، ويسمى حبر الأمة، ضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علّمه الحكمة" استعمله علي كرم الله وجهه على البصرة، فبقي عليها أميراً ثم فارقها قبل أن يقتل علي وعاد إلى الحجاز، وشهد مع علي صفيّن، وكان أحد الأمراء فيها، وكان جميلاً أبيض طويلاً، صبيح الوجه فصيحاً، توفي سنة 68هـ بالطائف وهو ابن 70 سنة[2].

28. عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول:

هوعبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم بن الخزرج الانصاري الخزرجي كان عبد الله من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يكنى أبا الحُباب، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، شهد بدراً، وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، استشهد يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر الصديق سنة 12هـ[3].

29. عبد الله بن عمر:

هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقيل أن إسلامه قبل إسلام أبيه، شهد الخندق، ومؤتة مع جعفر بن أبي طالب، وشهد اليرموك، وفتح مصر، وافريقية، كان كثير الاتّباع لآثار رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أقام بعد النبي –

(1) الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 11/17-12، مرجع سابق.
(2) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 291/3-295، مرجع سابق.
(3) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 297/3-298، مرجع سابق.

صلى الله عليه وسلم- ستين سنة يفتي الناس في الموسم وغير ذلك، كان شديد الاحتياط والتّوقي لدينه في الفتوى، كان يكثر الحج والصدقة، أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوماً بجسده وقال له: يا عبد الله، كن في الدنيا كأنك غريب أو كأنك عابر سبيل وعدّ نفسك من أهل القبور"، توفي سنة 73هـ، وهو ابن 86سنة(1).

30. عبد الله بن عمرو بن العاص:

هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن كعب بن لؤي القرشي السَّهمي، يكنى أبا محمد، أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة، استأذن النبي -صلى الله عليه وسلم- في أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله، اكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: "نعم، فإني لا أقول إلا حقاً" قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب، شهد مع أبيه فتح الشام، واليرموك، وشهد صفين، توفي سنة 63هـ، وكان عمره 72 سنة(2).

31. عبد الله بن مسعود:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن هذيل بن مضر أبو عبد الرحمن الهُذَلي حليف بني زهرة، وكان إسلامه قديماً أول الإسلام، وهو أول من جهر بالقرآن في مكة ولما أسلم أخذه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليه، وكان يخدمه، ويمشي معه وأمامه ويستره إذا اغتسل، ويوقظه إذا نام، وكان يعرف في الصحابة بصاحب السّواد والسواك هاجر الهجرتين جميعاً إلى الحبشة وإلى المدينة، وصلى القبلتين، وشهد بدراً، وأحُداً والخندق، وبيعة الرضوان، وشهد اليرموك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أجهز على أبي جهل في بدر، وشهد له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، طلب منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يقرأ عليه القرآن فقال: اقرأُ

---

(1) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 336/3-341، مرجع سابق.

(2) المرجع السابق، 345/3-349.

عليك وعليك أُنزل؟ قال:" إني أحب أن أسمعه من غيري" شهد اليرموك بالشام، سيّره عمر بن الخطاب إلى الكوفة معلماً ووزيراً، توفي بالمدينة سنة 32هـ، ودفن في البقيع وكان عمره بضعاً وستين سنة[1].

32. ابن العربي:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي، الاشبيلي، المالكي، المعروف بابن العربي أبو بكر، عالم مشارك في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ وغير ذلك، ولد باشبيلة، وولي القضاء بها، ودخل بغداد وسمع بها، ولقي بالقاهرة والاسكندرية جماعة من المحدثين، ثم عاد إلى الأندلس، وتوفي بالعدوة، ودفن بفاس، له تصانيف كثيرة منها: شرح الجامع الصحيح للترمذي، المحصول في الأصول، وله كتاب في التفسير أحكام القرآن توفي سنة 543هـ[2].

33. عروة بن الزبير:

هو أبو عبد الله عروة بن الزّبير بن العّوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، أبوه الزبير أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، أصابته الأكلة في ساقه، فدعي الجزار لقطعها، فقيل له نسقيك الخمر حتى لا تجد لها ألماً فقال: لا أستعين بحرام الله على ما أرجو من عافية. مات سنة 93هـ في ناحية الرّبذة بينها وبين المدينة أربع أميال قال ابن سعد وهي سنة الفقهاء رضي الله عنهم[3].

---

(1) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 381/3-387، مرجع سابق.

(2) كحالة: **معجم المؤلفين**، 242/5-243، مرجع سابق.

(3) ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، 255/3-258، مرجع سابق.

34. عقبة بن أبي معيط:

هو عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس من كبار قريش في الجاهليـــة، كنيتـــه أبـــو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الـــدعوة الإســـلامية، أســـره المسلمون يوم بدر وقتلوه ثم صلبوه مات 2هـــ، في غزوة بدر[1].

35. عقبة بن عامر:

هو عقبة بن عامر بن عبس بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عديّ بـــن غـــنم بـــن الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني، يكنى أبا حماد، وقيل: أبو لبيد كان مـــن أصـــحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي له مصر وسكنها، وتوفي فيها سنة ثمان وخمسين، وكان يخـــضب بالسواد، روى عنه ابن عباس، وأبو العباس، وأبو أيوب، وأبو امامة وغيرهم، شهد صفين مـــع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بن الخطاب بفتح دمشق، وكان من أحـــسن الناس صوتاً بالقرآن[2].

36. عمرو بن هشام:

هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشد الناس عداوة للنبي –صـــلى الله عليـــه وسلم– في صدر الإسلام، وهو أحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، وكان يقال لـــه "أبو الحكم" فدعاه المسلمون "أبا جهل" استمر على عناده يثير الناس على محمـــد رســـول الله – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، لا يفتر عن الكيد للإسلام وأهله، حتى كانت وقعة بدر فشهدها مع المشركين، فكان من قتلاها سنة 2هـــ[3].

---

(1) الزركلي: **الأعلام**، 240/4، مرجع سابق.

(2) ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، 51/4–52. مرجع سابق.

(3) الزركلي: **الأعلام**، 87/5، مرجع سابق.

37. فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب:

هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، ولدت في مكة، وقريش تبني الكعبة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- ابن 35 سنة، وذلك قبل النبوة بخمسة سنين، وكانت تلقب بالزهراء، وهي أصغر بنات الرسول -صلى الله عليه وسلم- تزوجها الإمام علي -كرم الله وجهه- وكان عمرها خمس عشرة سنة، وكان سن علي احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، قال عليه الصلاة والسلام، إنك سيدة نساء العالمين، روت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثمانية عشر حديثاً، لحقت بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة 11هـ وهي ابنة تسع وعشرين سنة[1].

38. الفضيل بن عياض:

هو الفضيل بن عياض بن مسعود الطلقاني الأصل الزاهد العابد، الثقة، الإمام المشهور، كان من العباد النُّساك، كان صحيح الحديث، صدوق اللسان، شديد الهيبة للحديث، كان كثير الوعظ والإرشاد للناس، ومواعظه مؤثرة، كثير قيام الليل، كثير العبادة والتهجد روى عن الفضيل الأعلام والأئمة، منهم سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وغيرهم، من مواعظه: إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك لله، توفي بالكوفة سنة 187هـ[2].

39. الفيروزأبادي:

هو محمد بن يعقوب بن محمد أبو طاهر مجد الدين الشيرازي إمام في اللغة والأدب، صاحب "القاموس المحيط" توفي سنة 817هـ، له كتاب تحفة الأبية فيمن نسب إلى غير أبيه[3].

---

(1) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1992، 1893/4-1899. كحالة: من نساء أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، 108/4-132. مرجع سابق.

(2) انظر: الأصفهاني: **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 84/8، مرجع سابق.

(3) أبو زيد: **طبقات النّسابين**، ص214، مرجع سابق.

40. القرطبي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي القرطبـي المـالكي، صاحب التصانيف الكثيرة، في التفسير كتابه "الجامع لأحكام القرآن" "التذكرة"، كان عالماً من الغواصين في معاني الحديث، حسن التصانيف، جيد النقل، توفي بمنية بني خصيب من صعيد مصر سنة 671هـ(1).

41. ابن قيّم الجوزية:

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي، المجتهد المطلق المفسر النحوي الأصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية، كان عالماً بالتفسير وبأصول الدين امتحن وأوذي مرات عديدة وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة. له تصانيف كثيرة أهمها "إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان"، الهجرتين وباب السعادتين"، "زاد المعاد في هدى خير العباد"، "الروح"، "صفة الجنة"، "الداء والدواء" وغيرها، توفي سنة 751هـ(2).

42. ابن كثير:

هو عماد الدين اسماعيل بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي، ولد سنة 700هـ، وقدم دمشق أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية، ولازم الإمام المزي وتزوج بابنته انتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، من أشهر مؤلفاته "البداية والنهاية" "تفسير القرآن العظيم" توفي سنة 774هـ(3).

---

(1) الحنبلي: **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**، 335/5، مرجع سابق.

(2) الحنبيلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 168/6-171، مرجع سابق.

(3) الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 231/6-232، مرجع سابق.

43. الماوردي:

هو علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، فقيه، أصـــولي، مفـــسر، أديـــب، سياسي، درس بالبصرة وبغداد، ولي القضاء ببلدان كثيرة وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه، توفي في بغداد سنة 450هـــ، له تصانيف كثيرة منها الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي، تفـــسير القرآن، أدب الدنيا والدين، الأحكام السلطانية(1).

44. متولي الشعراوي:

هو الشيخ محمد متولي الشعراوي ولد عام 1911م، بقرية دقادوس احدى قرى محافظة الدقهلية بالقاهرة، حفظ القرآن الكريم في قريته وتلقى التعليم في معهـــد الزقـــازيق الـــديني الابتـــدائي، والثانوي، ثم التحق بكلية اللغة العربية، حصل على الشهادة العالمية سنة 1941م، حصل علـــى شهادة الدكتوراه مع إجازة التدريس سنة 1943م، عمل بالمملكة العربية السعودية مدرساً بكليـــة الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز، عين مديراً للأوقاف سنة 1961، ثم وزيراً للأوقـــاف ســـنة 1976م، ثم عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة 1980م، أشهر مؤلفاته "تفـــسير الـــشعراوي" "قصص الأنبياء" "القضاء والقدر" "اليوم الآخر" توفي بالقاهرة سنة 1999م(2).

45. النضر بن الحارث:

هو النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بـــن قـــصي بـــن كـــلاب القرشي العبدري، أسر يوم بدر وقتل كافراً قتله علي بن أبي طالب بأمر من رسول الله –صـــلى الله عليه وسلم–، وأجمع أهل المغازي والسير، أنه قتـــل كـــافراً، كـــان شـــديد الأذى للإســـلام والمسلمين، قتل يوم بدر سنة 2هـــ(3).

---

(1) كحالة: **معجم المؤلفين**، 189/4، مرجع سابق.

(2) انظر سيرة حياته: **قصص الأنبياء، للشعراوي**، 11/1–13، مرجع سابق.

(3) المكي: **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، 159/6–160، مرجع سابق.

46. هرقل:

هو هرقل ملك الروم، وهرقل اسمه، ولقبه قيصر، كان هرقل خليقاً باسمه ولقبه، اعتلى عـرش الدولة البيزنطية في وقت كانت تعاني فيه من اضطرابات سياسية ومشكلات دينيـة وتتعـرض لهجمات خارجية على حدودها ولا سيما هجمات الفرس بقيادة كسرى، الـذي هـاجم فلـسطين والشام، ثم جاء التهديد من العرب المسلمين، فلم يفلح هرقل في الوقوف فـي وجـه الفتوحـات العربية والإسلامية في فلسطين والشام، هزم جيشه في معركة اليرموك سنة 15هـ، وتسلم عمر ابن الخطاب مدينة القدس في عهده سنة 15هـ، ولد هرقل عام 575م، مات سنة 641م(1).

47. أبو هريرة:

هو عبد الرحمن بن عامر بن عبد ذي الشرى بن طريف بن عتاب بن سعد بن ثعلبة بن غنم بن دوس بن كعب بن صخر الدوسي، كان يسمى في الجاهلية عبد شمس فسماه الرسول –صلى الله عليه وسلم– عبد الرحمن، اشتهر بكنيته أبو هريرة لأنه كانت له هرة صغيرة يهتم بها في الليـل والنهار فكنوه بها كان من أحفظ الناس للأحاديث، ومن أكثر الصحابة رواية لحديث الرسـول –صلى الله عليه وسلم–، وكان يقول: لم يكن من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أكثر حديثاً مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب، توفي سنة 57هـ(2).

48. أبو هلال العسكري:

هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال، عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، له مصنفات كثيرة منهـا: "التلخـيص فـي اللغة"، "معجم في اللغة"، "جمهرة الأمثال"، "الأوائل"، "الفرق بين المعـاني"، "ديـوان المعـاني"، وغيرها، توفي سنة 395هـ(3).

---

(1)انظر: **الموسوعة السياسية**، 11/7، أسسها عبد الوهاب كيالي، وشارك في الإعداد د. محمود بشير الكافي، د. محمد عمارة، د. عبد الرحمن منيف وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.

(2) ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 7/425–445، مرجع سابق.

(3) الزركلي: **الأعلام**، 196/2، مرجع سابق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابراهيم، عبدالمنعم: **تربية البنات في الاسلام**، مكتبة اولاد الشيخ للتراث، القاهرة، ط 2، (2002).

ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض، الشيخ عادل احمد عبدالموجود، قدم له محمد عبدالمنعم البري، عبدالفتاح ابو سنة، جمعة طاهر النجار، دار المعرفة، بيروت، لبنان ط1، (1994).

الأزهري، أبو منصور محمد ابن أحمد: **تهذيب اللغة**، تحقيق يعقوب بن عبدالنبي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية، مطابع سجل العرب القاهرة، د.ط، د.ت

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت 430 هـ): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1،(1988).

الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502 هـ): **مفردات الفاظ القرآن**، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط 1،(1992).

الألباني، محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي، دمشق،(د.ط)، (1972).

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي (ت 1291 هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني**، طبعه وصححه علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1994).

أمحزون، محمد: **منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة**، دار السلام، القاهرة، ط1، (2002).

باشميل، محمد أحمد: **من معارك الاسلام الفاصلة، غزوة أُحد**، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأخيرة، (1983).

البستي، أبو حاتم محمد بن حيان بن احمد التميمي (ت 354 هـ): **الثـقـــات**، دار المعـــارف العثمانية بحيدر أباد، الركن الهندي،(1981).

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر (ت 885 هـ): **نظـم الدُّرر في تناســـب الآيـــات والسور**، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبدالرازق غالب المهـدي، دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1995).

البوطي، محمد سعيد رمضان: **الإنـســان وعـــدالة الله فـي الأرض**، مؤســسة الرســالة، بيروت، مكتبة الفارابي، دمشق، ط5،(1983).

ـــــــــ: **فـــقه الســـــيرة**، دار الفكـر، بيروت، لبنان، ط 2، (1980).

البيضاوي، عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الـشيرازي (ت 685 هـــ): **أنـوار التنزيـل وأسرار التأويل**، المسمى تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، لبنان، د .ط، د .ت.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت297هـ): **الجـــامع الـصـــحيح سـنن الترمذي**، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مصطفى البابي الحلبي، ط 1، (1962).

ابن تيمية، تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بـن أبـي القاسـم الحرّانـي (ت 728هـ): **جامـــع الرســائل**، تحقيق محمد رشاد سالم، مطبعة المدني القاهرة، (د.ط، د.ت)

ــــــــ: **مجموعة فتاوى شيخ الاسلام أحمـد بن تيمية** ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم وبمساعدة ابنه محمد، (د .ط، د .ت)

جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: **قصص القرآن**، دار الكتب العلمية، بيـروت، لبنـان دار احياء التراث العربي، د . ط، د .ت.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني (ت 816 هـ): **التعريفات**، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح،(1969).

الجزائري، أبو بكر جابر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، دار لينة، أضواء المنار، المملكـة العربية السعودية، المدينة المنورة، ط 2،(1419 هـ) .

الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بني علي بن محمد (ت 597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، خرّج آياته أحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، (1994) .

ــــــــــ: **صفوة الصفوة**، مطبعة الأصيل، حلب، ط1، (1969) .

الجوهري، اسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيــة**، تحقيق أحمــد عبــدالغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط1،(1956)، القاهرة، ط2، (1979).

الحازمي، خالد بن حامد: **مساوئ الأخلاق واثرها على الأمــة**، وكالــة المطبوعــات، المملكــة العربية السعودية، ط1، (1425 هـ).

الحاكم، أبو عبدالله النيسابوري: **المستدرك على الصحيحين**، دار الكتاب العربي، بيــروت، د.ط، د.ت

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ): **الإصابة فــي تمييــز الصحابة**، حقق أصوله وضبط اعلامه ووضع فهارسه علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيــروت ط 1، (1992).

ــــــــــ: **تهذيب التهذيب**، دار الفكر، ط1،(1984).

ــــــــــ: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، حقق اصلها عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها محمد فؤاد عبدالباقي، قام بتصحيحها ومراجعتها محمد شحادة ابــراهيم، عادل عبدالباسط محمد، دار المنار، القاهرة، ط1، (1999).

الحسيني، تقي الدين محمد بن أحمد المكي (ت832هـ): **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمــين**، تحقيق وتعليق ودراسة، محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1998) .

الحلبي، علي برهان الدين (ت 1042 هـ): **أنساب العيون في ســيرة الأمــين والمــأمون**، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط1، (1964).

الحمصي، أحمد فائز: **قصص الرحمن في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنـــان، ط1، (1995) .

ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني (ت 241هــ): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، دار الفكر، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ط، د. ت .

الحنبلي، أبو عبدالله محمد بن محمد المنبجي (ت 785هــ): **تسلية أهــل المــصائب**، شـــرح وتعليق محمد حسن الحمصي، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط3، (1988).

الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن عماد (ت 1089هــ): **شذرات الذهب في أخبار مــن ذهــب**، دار المسيرة، بيروت، ط2، (1979). .

أبو حيان، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلــسي الغرنـــاطي (ت 754هـــــ): **البحــر المحيط**، دار الفكر، بيروت، ط2 (1978) .

الخضري، محمد بن عفيف الباجوري (ت 1345هــ): **نور اليقين في سيرة سيد المرســلين**، خرّج أحاديثه خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ط2، (2002) .

خطّاب، محمود شيت: **الرســول القــــائد**، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 5، (1974) .

الخطيب، عبدالكريم: **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، (1967).

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (681 هــ): **وفيـــات الأعيـــان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 1، (1968) .

الدامغاني، الحسين بن محمد بن علي بن محمد (ت478هـــــ): **قـــاموس القـــرآن أو إصـــلاح الوجوه والنظائر**، أعاد ترتيبه وخرّج آياته وقدم له وفهرسه حسين أحمد علي الدراويش، مطبعة دار الأيتام، القدس، ط 1، (1995).

الدرويش، محيي الدين : **إعراب القرآن الكريم وبيانـــه**، دار ابن كثير، دمـــشق، بيـــروت، دار اليمامة، ط4، (1994).

دوفش، محمد يوسف أحمد: **الابتلاء في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير غير منـــشورة، الأردن، عمان، الجامعة الاردنية، (1988) .

الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هــ): **ســير أعــلام النـــبلاء** أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرســالة ، بيــروت، ط 7، (1990).

ـــــــــــ: **ميزان الإعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، د .ط ، د .ت

ـــــــــــ: **تذكــرة الحـــــفاظ**، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت، لبنان، (1374 هــ).

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علـــي التميمـــي (ت 606هـــ): **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، (1990) .

ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن شهاب الدين البغدادي: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم**، دار المعرفة، بيروت، د .ط، د.ت .

رضا، محمد رشيد (ت1935): **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، الهيئة المــصرية للكتاب، (1972) .

الزرقاني، محمد بن عبدالباقي الزرقاني المالكي: **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للعلامـــة القسطلاني**، المطبعة الأزهرية المصرية، ط 1 ، (1325هــ) .

الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط 14، (1999).

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت538هــ): **أساس البلاغة**، حققــه وقدم له ووضع حواشيه مزيد نعيم، شوقي المعري، مكتبة لبنان، بيروت ، ط1، (1998).

ـــــــــــ: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجــوه التأويــل**، رتبــه وطبعه وصححه محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1، (1995).

أبو زيد، بكر بن عبدالله: **طبــقات النّسّـــابين**، مؤســسة الرســالة، بيــروت، لبنــان، ط 2، (1998) .

زيدان، عبدالكريم: **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1 ، (1993).

ـــــــــــــ: **أصـــول الدعـــوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 9 ، (2001) .

السِّباعي، مصطفى:**السيرة النبوية دروس وعــبر**، المكتب الاسلامي، بيروت، دمــشق، ط 1 (1985) .

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكي المكنى بأبي عبدالله (ت 230هـــ): **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت د .ط ، د. ت .

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982 هـــ): **إرشاد العقل الــسليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 ، (1999).

سعيد، همام عبدالرحيم: **قواعــــد الدعــوة الـــى الله**، دار العــدوي، عمـــان، الأردن ، ط1، (1983)

السلمي، محمد بن صامل: **كيـــــف نفـــسر التاريخ**، مجلة البيان، عدد (50) ، (1992).

السيوطي، جلال الدين (ت911هــــ): **الــــدّر المنثـــور فـــي التفـــسير بالمــــأثور**، دار المعرفة، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د .ت.

الشّامي محمد بن يوسف الصالحي (ت942هـــــــ): **سبل الهدى والرشاد في ســيرة خيــر العباد**، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـــــ1، (1993).

الشعراوي، محمد متولي (ت1999): **قصـــــص الأنبيـــــاء**، جمع المادة العلميـــة منـــشاوي غانم جابر، كتب الحواشي وراجعها مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـــــ 1، (1996).

ـــــــــــ: **مريم والمسيح عليهما السلام**، دراسة وإعداد وتحقيق مركز التــراث لخدمــة الكتاب والسنة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، إشراف توفيق الشعلان، طــ ــ1، (1999).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1250هـــ): **فتح القدير الجامع بين فنــي الروايــة والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، لبنان، طـــ 2، (1964).

الصابوني، محمد علي: **قبس من نــــور القرآن الكريم**، دار السلام، طــ1، (1997).

ـــــــــــ: **الـــنبوة والأنبيـــــاء**، مكتبة الغزالي، طـــ 2،(1980).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الــوافي بالوفيــات**، دار صـــادر، بيــروت، طــــــ1، (1991).

الصلابي، علي محمد محمد: **فقه النصر والتمكين في القــرآن الكــريم**، دار الفجــر للتــراث، القاهرة، طـــ1، (2003).

طاحون، أحمد بن محمد: **أمثال ونماذج بشرية من القرآن الكريم**، مكتبة التــراث الإســلامي، عابدين، مصر، طـــ2، (1993).

طبّاره، عفيف عبد الفتاح: **مع الأنبياء فـــي القــرآن الكــريم**، دار العلــم للملايــين، بيــروت، لبنان،طـــ17، (1989).

الطّبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر البغدادي (ت310هــــ): **تــاريخ الأمــم والملوك**، مطبعة الإستقامة، القاهرة، (1939).

ـــــــــــ: **جامع البيان في تأويل القرآن**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،طــ3، (1999).

الطنطاوي، محمد السيد: **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، دار الــشروق، القــاهرة، طــــــ1، (1997).

الطويل، السيد رزق: **بنو إسرائيل في القرآن تاريخ وتحقيق**، دار المعارف، القاهرة، طــــــ1، (1975).

آل عابد، أبو بدر محمد بن بكر: **حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار الغرب الإسلامي بيروت،لبنان، ط1، د.ت.

عباس، فضل حسن: **القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط1، (1987).

عبد الباقي، محمد فؤاد: **اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**،المطبعه العصرية بالكويت، وزارة الاوقاف، الكويت،د.ط، (1977).

ــــــــ:**المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت،لبنان، (1987).

ابن عبد البر، أبو عمر عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: **الإستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، (1992).

عبد العزبز، أمير: **التفسير الشامل للقرآن الكريم**، دار السلام، القاهرة، ط1، (2000).

ابن العربي، محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأندلسي المالكي أبو بكر (ت543هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، د.ط، د.ت.

أبو العز، القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (ت732هـ): **شرح العقيدة الطحاوية**،حققه وعلق عليه وخرّج أحاديثه وقدم له عبد الله بن عبد المحسن التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، (1997).

أبو عزيز، سعد يوسف: **قصص القرآن دروس وعبر**، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط1، (1999) .

علوان، عبد الله ناصح: **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام، حلب، ط3، (1981).

العمر، ناصر سليمان: **حقيقة الانتصار**، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1،(1412هـ).

الغزالي، أبو حامد بن محمد بن محمد (ت 505هـ): **إحياء علوم الدين**، تحقيق الشحات الطحان، عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الازهر، ط1،(1996).

الغضبان، منير محمد: **المنهج التربوي للسيرة النبوية**، مكتبة المنار،الزرقاء،الأردن،طـ2، (1982).

ابن فارس، أبو الحسين بن زكريا (ت395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الفكر، طبع المجمع العلمي العربي الإسلامي، (1979).

أبو فارس، محمد عبد القادر: **الابتلاء والمحن في الدعوات**، دار الفرقان، عمان،الأردن، طـ1،(1986).

ـــــــ:**في ظلال السيرة النبوية غزوة أحد**، دار الفرقان، عمان، الأردن، طـ2، (1982).

ـــــــ:**في ظلال السيرة النبوية غزوة الأحزاب**، دار الفرقان، عمان، الأردن،طـ1، (1983).

فايز، أحمد:**طريق الدعوة في ظلال القرآن**،مؤسسة الرسالة،بيروت، طـ2، (1985).

الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم (ت817هـ): **القاموس المحيط**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طـ1، (1995).

القاسمي، محمد جمال الدين (ت 1914): **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل**، وقف على طبعه وتصحيحه ورقمه وخرّج آياته وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، (1978).

قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت276هـ): **المعارف**، حققه وقدم له ثروت عكاشة، دار المعارف، ط2، (1969).

القرضاوي، يوسف: **الصبر في القرآن الكريم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط7، (1988).

القرني، عائض: **قصة الرسالة روائع من السيرة**، مؤسسة الريان، بيروت،لبنان،ط1، (2005).

قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط15، (1988).

ـــــــ: **معالم في الطريق**، دار الشروق، ط1، (1981).

قطب، محمد: **حول التفسير الإسلامي للتاريخ**، المجموعة الإعلامية، دط، (1988).

ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي (ت751هـ): **الفوائد**، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط1،(2003).

ـــــــــــــ: **الداء والدواء**، خرّج أحاديث خالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان، ميدان الأزهر، ط1، (2002).

ـــــــــــــ: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه شعيب

الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط14، (1990).

ـــــــــــــ: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق حامد الفقي، دار الفكر،د.ط،د.ت .

ـــــــــــــ: **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، رتبه وطبعه وخرّج أحاديثه محمد عبدالسلام ابراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط2، (1993).

ـــــــــــــ: **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، حقّقه وضبط نصه وخرّج أحاديثه وعلق عليه حسان عبدالمنان، عصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان ط1،(1994).

ـــــــــــــ: **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د.ط، د.ت.

ـــــــــــــ: **مفتاح دار السعادة**، تحقيق الشيخ محمد بيومي، مكتبة الإيمان بالمنصورة، أمام جامعة الأزهر، القاهرة، د.ط،د.ت.

الكاندهلوي، محمد يوسف: **حياة الصحابة**، قدم له وعلق عليه محمد بكر اسماعيل، دار الحديث، القاهرة، ط1، (1997).

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ): **البداية والنهاية**، اعتنى بالطبعة ورتبها عبدالرحمن اللادقي، محمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، (1998).

ـــــــــ: **تفسير القرآن العظيم**، دار الأندلس، بيروت، ط1،(1966).

ـــــــــ: **قصص القرآن**، جمعه ورتبه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ميدان الأزهر، القاهرة، ط1، (2003).

ـــــــــ: **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى عبدالواحد، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (1964).

كحالة،عمر رضا: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، لبنان ط3، (1977).

ـــــــــ: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار لإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دمشق، ط1، (1957).

ـــــــــ: **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، (1982).

الكيالي، عبدالوهاب: **الموسوعة السياسية**، شارك في الإعداد محمد بشير الكافي، وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، (1994).

اللخمي، أديب اللخمي وآخرون: **المحيط**، مجمع اللغة العربية، تقديم محيي الدين صابر، بيروت، ط2،(1994).

ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ): **صحيح ابن ماجة**، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1،(1986).

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي أبو الحسن (ت450هـ): **النكت والعيون تفسير الماوردي**، راجعه وعلق عليه السيد عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط،د.ت.

المجلس الأعلى للشؤون ا لإسلامية : **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، لجنة القرآن والـسنة، القاهرة، مصر، طـ8،(1981).

مجمع اللغة العربية: **معجم ألفاظ القرآن**، الهيئة العامة للتأليف، طـ2، (1970).

المدني، الشيخ محمد محمد: **القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، اللجنة العامة للقرآن والسنة، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضه، الكتاب الأول ، (1964).

المراغي، أحمد مصطفى (ت1952): **تفسير المراغي** ، طـ3،(1974).

المصري، محمد عبد الهادي: **أهل السنة والجماعة (معالم الإنطلاقة الكبرى)**، الرياض، المملكة العربية السعودية، طيبة للنشر والتوزيع، طـ3، (1989).

مصطفى، ابراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، معجمع اللغة العربية، أشرف على طبعه عبد السلام هارون، مطبعة مصر،(1961).

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع**، لجنة التأليف والنشر، مصر، القاهرة، (1941).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري: **لسان العرب**، دارصادر، بيروت، د.ط،(1990).

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكه: **الأخلاق الإسلامية و أسسها**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، طـ4،(1996).

ـــــــــــــــــــ: **العقيدة الإسلامية و أسسها**، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،طـ8، (1997).

ـــــــــــــــــــ: **فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دار القلم، دمشق ، طـ1، (1996).

النابلسي، محمد راتب: **موسوعة أسماء الله الحسنى**، دار المكتبي، سورية، حلبوني، جادة ابن سينا ، ط3،(2004).

النّحاس، أحمد بن محمد بن اسماعيل (ت338هـ):**إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق علية عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، ط1،(2001).

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات (ت701هـ): **تفسير القرآن الجليل المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، المكتبة الأموية، بيروت، دمشق، مكتبة الغزالي، حماه، د.ط، د.ت.

نوح، السيد محمد: **آفات على الطريق**، دارالوفاء، المنصورة، القاهرة، ط2، (1988).

النووي، محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (ت676هـ): **رياض الصالحين**، حققه وخرّج أحاديثه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط، دار المأمون للتراث، دمشق، ط3، (1980).

ــــــــــــ: **صحيح مسلم بشرح النووي**، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3،(1996).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري (ت213هـ) **السيرة النبوية**، حفظها وضبطها وشرحها، مصطفى السقا، ابراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، وضع فهارسها معروف زريق، دار الخير، دمشق،بيروت، ط1،(1996).

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد بن مهران: **الفروق في اللغة**، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، (1973).

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ): **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،(1967).

م .ت . هوتسما .ت . وأونولد .باسيت . هارتمان: **دائرة المعارف الإسلامية**، إشـــراف محمـــد سمير سرحان، مراجعة علمية حسن احبيشي، عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، محمـــد عنـــاني، مركز الشارقة للإبداع، طـــ1، (1998).

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي البغـدادي، (ت626هــــــ): **معجـم البلدان**، تحقيق مزيد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،طـــ1،(1990).

يوسف، محمد السيد: **التمكين للأ مة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة**، دار السلام، القـاهرة، طـــــ1، (1997).

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The Tribulation Approach in the Holy Qur'an

Prepared by
Rajab Nasr Moosa Al-anas

Supervised by
Professor Mohammad Hafiz Alshraideh

Submitted in Partial Fulfillment for the Requirements for the Degree of Master in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National University, Nablus, Palestine
2007

The Tribulation Approach in the Holy Qur'an
Prepared by
Rajab Nasr Moosa Al-anas
Supervised by
Professor Mohammad Hafiz Alshraideh

Abstract

This research camein five chapters and a conclusion. In the first chapter I talked about the meaning of God's approach tribulation, and the meainig of oradeal and attraction. Then I explained the Almighty God's approach in thorough examining, which is a general approach applied to all people.

In chapter two, I tackled sorts of tribulation through explaining tribulations in property, body, offspring and wife citing examples.

In chapter three, I dealt with sorts of tribulation in various aspects such as creed obedience and affluences with examples.

In chapter four, I approached tribulation in the context of the work for God's sake, I showed with examples the methods adopted by the idols in hindering the work for the sake of the religion.

In chapter five, I dealt with the tribulation in the life of prophet Mohammad, peace by upon him and his companions in Almadeenah Almonawarh. I demonstrated some features of tribulation imposed on the prophet and his companions during Al'gazawat (i-e campaigns) and I cited examples from Gazwat Ohod and Gazwat Alkhndaq. Then I mentioned some examples related to the tribulation of believers practiced by the hypocrites. I concluded the research in brief to the necessity and importance of adherence to patience and creed whatever the circumstances might be.